

الذمعة الساجدة في أحوال النبي وآل بيته الطاهرة

مؤلف

العالم المحقق والفاضل المذوق
المولى محمد باقر بن عبد الكريم البهبهاني
الوفد سنة ١٢٨٥ هـ

ملاحظات

مكتبة المصنوع المسماة
للمسماة البهين
مؤسسة الأعلی المطبوعات
ببيروت - لبنان

الدَّامِعَةُ السَّابِقَةُ فِي أَحْوَالِ النَّبِيِّ وَالْعَبْدَةِ الطَّاهِرَةِ

تَأْلِيفُ

العالم المحقق والفاضل المدقق
المولى محمد باقر بن عبد الكرم البهبهاني
الترغفة سنة ١٢٨٥ هـ

صححه وعلق عليه

العلامة الشيخ حسين الأعلمي

الجزء الخامس

مَنْشُورَات

مؤسسة الأعلمي للطبوعات
بيروت - لبنان

مكتبة العلوم العامة
المنامة - البحرين



الطبعة الأولى
جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناس
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلي - ص.ب. ٧١٢٠

الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول

فيما ظهر له صلوات الله عليه وأصحابه بعد قتلهم من الكرامات

في العوالم والمنتخب والبحار روي عن طريق أهل البيت عليهم السلام أنه لما استشهد الحسين عليه السلام بقي في كربلاء صريعاً ودمه على الأرض مسفوحاً ، وإذا بطائر أبيض قد أتى تمسح بدمه وطار والدم يقطر منه . فرأى طيوراً تحت الظلال على الغصون والأشجار وكلّ منهم يذكر الحبّ والعلف والماء ، فقال لهم ذلك الطير المتلطف بالدم : يا ويلكم أتشتغلون بالملاهي وذكر الدنيا والمناهي والحسين عليه السلام في أرض كربلاء في هذا الحرّ ملقى على الرّمضاء ظمىء مذبوح ، ودمه مسفوح ، فعادت الطيور كلّ منهم قاصداً كربلاء ، فرأوا سيّدنا الحسين عليه السلام ملقى في الأرض جثة بلا رأس ولا غسل ولا كفن ، قد سفت عليه السّوافي وبدنه مرضوض قد هشمته الخيل بحوافرها ، زوّاره وحوش القفار ، وندبته جنّ السّهول والأوعار . قد أضياء التراب من أنواره ، وأزهر الجوّ من إزهاره .

فلما رآته الطيور تصايحن وأعلنن بالبكاء والثبور ، وتواقعن على دمه يتمرغن فيه ، وطار كل واحد منهم إلى ناحية يعلم أهلها عن قتل أبي عبدالله ، فمن القضاء والقدر أن طيراً من هذه الطيور قصد مدينة الرسول وجاء يرفرف والدم يتقاطر من أجنحته ودار حول قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله يعلن بالنداء : ألا قتل الحسين بكر بلاء ، ألا ذبح الحسين عليه السلام بكر بلاء ، فاجتمعت الطيور عليه وهم ييكون عليه وينوحون ، فلما نظر أهل المدينة من الطيور ذلك النوح وشاهدوا الدم يتقاطر من الطير لم يعلموا ما الخبر حتى انقضت مدة من الزمان ، وجاء خبر مقتل الحسين علموا أن ذلك الطير كان يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل ابن فاطمة البتول وقرّة عين الرسول صلى الله عليه وآله .

وقد نقل أنه في ذلك اليوم الذي جاء فيه الطير إلى المدينة كان في المدينة رجل يهودي وله بنت عمياء زمنا طرشاء مشلولة والجذام قد أحاط ببدنها ، فجاء ذلك الطير والدم يتقاطر منه ووقع على شجرة ويبكي طول ليلته ، وكان اليهودي قد أخرج ابنته تلك المريضة إلى خارج المدينة إلى بستان ، وتركها في البستان الذي جاء الطير ووقع فيه ، فمن القضاء والقدر أن تلك الليلة عرض لليهودي عارض فدخل المدينة لقضاء حاجته فلم يقدر أن يخرج تلك الليلة إلى البستان التي فيها ابنته المشلولة والبنت لما نظرت أباهما لم يأتها تلك الليلة لم يأتها نوم لوحدها لأن أباهما كان يحدثها ويسليها حتى تنام ، فسمعت عند السحر بكاء الطير وحينه ، فبقيت تتقلب على وجه الأرض إلى أن صارت تحت الشجرة التي عليها الطير ، فصارت كلما حن ذلك الطير تجاوبه من قلب محزون ، فبينما هي كذلك إذ وقع قطرة من الدم فوقعت على عينها ، ففتحت ثم قطرة أخرى على عينها الأخرى فبرئت ، ثم قطرت على يديها فعوفيت ، ثم على رجليها فبرئت وعادت كلما قطرت قطرة من الدم تلتطخ به جسدها فعوفيت من جميع مرضها من بركات دم الحسين عليه السلام .

فلما أصبحت أقبل أبوها إلى البستان فرأى بنتاً تدور ولم يعلم أنها ابنته ، فسألها أنه كان لي في البستان ابنة عليلة لم تقدر أن تتحرك ؟ فقالت ابنته : والله أنا ابنتك ، فلما سمع كلامها وقع مغشياً عليه ، فلما أفاق قام على قدميه فأتت به إلى ذلك الطير فرآه واكراً على الشجرة يأن من قلب حزين محترق مما رأى مما فعل بالحسين عليه السلام .

فقال له اليهودي : أقسمت عليك بالذي خلقتك أيها الطير أن تكلمني بقدرة الله تعالى ، فنطق الطير مستعبراً ثم قال : إني كنت واكراً على بعض الأشجار مع بقية الطيور عند الظهيرة ، وإذا بطير ساقط علينا وهو يقول : أيها الطيور تأكلون وتتعمون والحسين عليه السلام في أرض كربلاء في هذا الحر على الرمضا طريحاً ظامياً ، والنحر دام ورأسه مقطوع على الرمح مرفوع ، ونساؤه سبايا حفاة عرايا .

فلما سمعن بذلك تطايرن إلى كربلاء فرأيناه عليه السلام في ذلك الوادي طريحاً الغسل من دمه والكفن الرمل السافي عليه ، فوقعنا كلنا عليه ننوح ونتمرغ بدمه الشريف ، وكان كل منا طار إلى ناحية فوقعت أنا في هذا المكان ، فلما سمع اليهودي ذلك تعجب وقال : لو لم يكن الحسين عليه السلام ذا قدر رفيع عند الله تعالى ما كان دمه شفاء من كل داء ، ثم أسلم اليهودي وأسلمت البنت وأسلم خمسمائة من قومه .

وروى السيد نعمة الله الجزائري في أنواره ، وفي البحار والعوالم والمنتخب حكى عن رجل أسدي قال : كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال العسكر عسكر بني أمية ، فرأيت عجائب لا أقدر أن أحكي إلا بعضها ، منها أنه إذا هبت الرياح تمر علي نفحات كنفحات المسك والعنبر ، وإذا سكنت أرى نجومًا تنزل من السماء إلى الأرض وترقى من الأرض إلى السماء مثلها ، وأنا منفرد مع عيالي ، ولا أرى أحداً أسأله عن ذلك ، وعند غروب الشمس يقبل أسد من القبلة فأولّي عنه إلى منزلي ، فإذا أصبح الصبح وطلعت الشمس وذهبت من منزلي أراه مستقبل القبلة

ذاهباً ، فقلت في نفسي : إن هؤلاء خوارج قد خرجوا على عبيد الله بن زياد فأمر بقتلهم ، وأرى منهم ما لم أره من سائر القتلى ، فوالله هذه الليلة لا بدّ من المساهرة لأبصر هذا الأسد يأكل من هذه الجثث أم لا . فلما صار غروب الشمس وإذا به أقبل فخفته وإذا هو هائل المنظر ، فارتعدت منه وخطر ببالي إن كان مراده لحوم بني آدم فهو يقصدني وأنا أحاكي نفسي بهذا فمثلته وهو يتخطى القتلى حتى وقف على جسد كأنه الشمس إذا طلعت فبرك عليه ، فقلت : يأكل منه وإذا به يمرّغ وجهه عليه وهو يهمهم ويدمدم .

فقلت : الله أكبر ما هذه إلا أعجوبة ، فجعلت أحرسه حتى اعتكر الظلام ، وإذا بشموع معلقة ملأت الأرض ، فإذا بكاء ونحيب ولطم مفجع ، فقصدت تلك الأصوات فإذا هي تحت الأرض ، ففهمت من ناع فيهم يقول : وا حسيناه وإماماه ، فاقشعر جلدي فقربت من الباكي ، وأقسمت عليه بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله من تكون ، فقال : إنا إناث من الجنّ ، فقلت : وما شأنكن ؟ قلن : في كلّ يوم وليلة هذا عزائنا على الحسين الذبيح العطشان ، فقلت : هذا الحسين الذي يجلس عنده الأسد ؟ قلن : نعم أتعرف هذا الأسد ؟ قلت : لا . قلن : هذا أبوه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله ، فرجعت ودموعي تجري على خدي :

سلّوا سيوف محمد بمحمد ففروا بها هامات آل محمد
فكأن عترة أحمد أعدائه وكأنما الأعداء عترة أحمد

وزاد السيد في أنواره بعدما قلن له هذا أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام فهممت أن أرجع ودموعي تجري على خدي حزناً عليه ، وإذا أنا برجال لم أر أطول منهم ذوي أسلحة كثيرة ، فكاد فؤادي أن يطير ، وإذا بهم قائل يقول : أرجع فرجعت خائفاً ، وقيل : هذا الرجل هو الذي دفن الحسين عليه السلام .

وفي شرح شافية أبي فراس للسيد الأديب محمد بن الأمير الحاج الحسيني ، عن كتاب مناقب السعداء ، عن هلال بن معاوية قال : رأيت رجلاً يحمل رأس الحسين عليه السلام في مخلاة فرسه فسمعت إذ نادى ووعى قلبي والرأس يقول : فرقت بين رأسي وجسدي فرّق الله بين لحمك وعظمك ، وجعلك آية ونكالا للعالمين ، فرفع سوطاً كان معه ولم يزل يضرب به الرأس الشريف حتى سكن .

قال : فرأيت ذلك الرجل وقد أتى به لعنه الله المختار فيشرح لحمه ويلقيه إلى الكلاب وهو حيّ ، وكلّما قطعت منه قطعة صاح وغلب على عقله فيرتسل حتى يؤب إليه عقله . ثم يفعل به مثل ذلك حتى بقي عظاماً مجردة ، ثم أمر به فقطعت مفاصله ، فأتيت المختار فأخبرته بفعله وبما سمعت من الرأس الشريف .

أقول : وفي نقل آخر روى الحميري وهو من الثقة أنه قال : سمعت يوم أصيب به الحسين عليه السلام بكربلاء أصواتاً حوله ، وبكاءً عالياً ما سمعت إذ نادى ولا رأت عيناى أمراً أعظم منه ، ولا أكثر باكياً من ذلك اليوم .

قال صاحب الحديث : لما اجتزّ الشمر لعنه الله رأس الحسين عليه السلام أخذه وعلّقه على فرسه ، فسمعت إذ نادى ونظرت عيناى ووعى قلبي ورأس الحسين عليه السلام يكلمه بلسان فصيح ويقول : يا شمر يا شقيّ الأشرقياء ، يا عدوّ الله ورسوله ، فرقت بين رأسي وجسدي فرّق الله بين لحمك وعظمك ، وجعلك نكالا للعالمين . قال : فرفع اللعين سوطاً كان بيده ولم يزل يضرب الرأس حتى سكّت عن الكلام ، فقلت : لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ، وأنا والله لا أستطيع قتال اللعين بن اللعين الذي يضرب رأس الحسين ، وليس بيدي سيف ولا كعب رمح ، ولكن صبرت حتى يحكم الله تعالى وهو خير الحاكمين .

وفي البحار والمنتخب عن سعيد بن المسيّب قال : لما استشهد

سيدي ومولاي الحسين عليه السلام ، وحجّ الناس من قابل دخلت على علي بن الحسين عليهما السلام ، فقلت له : يا مولاي قد قرب الحج ، فماذا تأمرني ؟ فقال عليه السلام : امض على نيتك وحجّ ، فحججت فيينما أطوف بالكعبة وإذا أنا برجل مقطوع اليدين ووجهه كقطع الليل المظلم ، وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم ربّ هذا البيت الحرام اغفر لي وما أحسبك أن تفعل بي ولو تشفع فيّ سكّان سمواتك وأراضيك وجميع ما خلقت لعظم جرمي .

قال سعيد بن المسيّب : فشغلت وشغلت وشغل الناس عن الطوف حتى حَفَّ به النَّاسُ ، واجتمعنا عليه فقلنا له : يا ويلك لو كنت إبليس ما كان ينبغي لك أن تيأس من رحمة الله ، فمن أنت؟ وما ذنبك؟ فبكى وقال : أنا أعرفُ بنفسي وذنبي وما جنيت . فقلنا له : تذكره لنا ، فقال : أنا كنت جَمَلاً لأبي عبد الله الحسين عليه السلام ، فلما خرج من المدينة إلى العراق وكنت أراه إذا أراد الوضوء للصلاة يضع سراويله عندي ، فأرى تكته تغشى الأبصار بحسن إشراقها ، وكنت أتمناها تكون لي إلى أن صرنا بكرلاء . فقتل الحسين عليه السلام وهي معه ، فدفنت نفسي في مكان من الأرض .

فلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ خرجت من مكاني فرأيت من تلك المعركة نوراً لا ظلمة ونهاراً لا ليلاً ، والقتلى مطرحين على وجه الأرض ، فذكرت لحيفي وشقائي التكة ، فقلت : والله لأطلبنّ الحسين عليه السلام وأرجو أن تكون التكة في سراويله فأخذها . فلم أزل أنظرُ في وجوه القتلى حتى أتيت إلى الحسين عليه السلام ، فوجدته مكبواً على وجهه وهو جثة بلا رأس ، ونوره مشرق مرمّل بدمائه والرياح سافية عليه ، فقلت : هذا والله الحسين ، فنظرت إلى سراويله كما كنت أراها ، فدنوت منه وضربت بيدي إلى التكة فإذا هو قد عقدها عقداً كثيرة ، فلم أزل أحلّها حتى حللت آخر عقدة منها ، فمدّ يده اليمنى وقبض على التكة ، فلم أقدر على أخذ يده عليه

السلام عنها ولا أصل إليها ، فدعنتي النفس الملعونة إلى أن أطلب شيئاً أقطع به يديه ، فوجدت قطعة سيف مطروح فأخذتها وانتكبت على يده ، ولم أزل أجزّها حتى فصلتها عن زنده ثم نحييتها عن التكة ، ومددت يدي إلى التكة لأحلّها فمدّ يده اليسرى ، فقبض عليها ، فلم أقدر على أخذها ، فأخذت قطعة السيف ولم أزل أجزّها حتى فصلتها عن التكة ومددت يدي إلى التكة لأخذها فإذا الأرض ترجف والسماء تهتز ، وإذا بغلبة عظيمة وبكاء وتداء وقائل يقول : وا أبتاه وا مقتولاه وا ذبيحاه وا حسيناه وا غريباه يا بنيّ قتلوك وما عرفوك ، ومن شرب الماء منعوك .

فلما رأيت ذلك صعقت ورميت نفسي بين القتلى ، وإذا بثلاثة نفر وامرأة وحولهم خلّاق وقوف ، وقد امتلأت الأرض بصور الناس وأجنحة الملائكة ، وإذا بواحد منهم يقول : يا أبتاه يا حسين فداك جدّك وأبوك وأمّك وأخوك ، وإذا بالحسين عليه السلام قد جلس ورأسه على بدنه وهو يقول : لبيك يا جدّاه يا رسول الله ويا أبتاه يا أمير المؤمنين ، ويا أمّاه يا فاطمة الزهراء ، ويا أخاه المقتول بالسم ، عليكم مني السّلام ، ثم أنّه بكى وقال : يا جدّاه قتلوا والله رجالنا يا جدّاه والله سلبوا نساءنا ، يا جدّاه نهبوا والله أطفالنا ، يا جدّاه يعزّ والله عليك أن ترى حالنا ، وما فعل الكفّار بنا ، وإذا هم جلسوا ييكون حوله ما أصابه وفاطمة عليها السلام تقول : يا أبتاه يا رسول الله أما ترى ما فعلت أمّتك بولدي ، أتأذن لي أن آخذ من دم شبيهه وأخضب به ناصيتي وألقى الله عزّ وجلّ وأنا مختضبة بدم ولدي الحسين عليه السلام . فقال صلّى الله عليه وآله لها : خذي وناخذي فاطمة فرأيتهم يأخذون من دم شبيهه عليه السلام وتمسح به فاطمة عليها السلام ناصيتها والنبي وعلي والحسن عليهم السلام يمسحون به نحورهم وصدورهم وأيديهم إلى المرافق .

وسمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : فديتك يا حسين يعزّ والله عليّ أن أراك مقطوع الرأس ، مرمّل الجبين ، دامي النحر ، مكبواً

على قفاك قد كساك الذاري من الرمول ، وأنت طريح مقتول مقطوع
الكفين ، يا بني من قطع يدك اليمنى وثني اليسرى ، فقال : يا جداه كان
معي جمال من المدينة ، وكان يراني إذا وضعت سراويلي للوضوء فيتمنى
أن تكون تكتي له ، فما منعتني أن أدفعها إليه إلا لعلمي أنه صاحب هذا
الفعل .

فلما قتلت خرج يطلبني بين القتلى ، فوجدني جثة بلا رأس ، فتعقد
سراويلي فرأى التكة وقد كنت عقدتها عقداً كثيرة ، فضرب بيده إلى التكة
فحل عقدة منها ، فمدت يدي اليمنى فقبضت على التكة ، فطلب في
المعركة فوجد قطعة سيف مكسور ، فقطع به يميني ، ثم حل عقدة أخرى
فقبضت على التكة بيدي اليسرى كي لا يحلها فتكشف عورتني ، فجز
يدي اليسرى .

فلما أراد حل التكة حس بك فرمى نفسه بين القتلى .

فلما سمع النبي صلى الله عليه وآله كلام الحسين عليه السلام بكى
بكاء شديداً وأتى إلى بين القتلى إلى أن وقف نحوي فقال صلى الله عليه
وآله : ما لي وما لك يا جمال تقطع يدين طالما قبلهما جبرئيل وملائكة الله
أجمعون ، وتباركت بهما أهل السموات والأرضين ، أما كفاك ما صنع به
الملاعين من الذل والهوان هتكوا نسائه من بعد الخدور وانسدال الشور ،
سود الله وجهك يا جمال في الدنيا والآخرة ، وقطع الله يديك ورجليك
وجعلك في حزب من سفك دمائنا ، وتجراً على الله فما استتم دعائه
صلوات الله عليه وآله حتى شلت يداي وحسست وجهي كأنه ألبس قطعاً
من الليل مظلماً ، وبقيت على هذه الحالة فجئت إلى هذا البيت أستشفع
وأنا أعلم أنه لا يغفر لي أبداً . فلم يبق في مكة أحد إلا وسمع حديثه
وتقرب إلى الله تعالى بلعنته ، وكل يقول : حسبك ما جنيت يا لعين
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

الفصل الثاني

في كيفية دفن الحسين عليه السلام وأصحابه ومن دفنهم رضي الله عنهم

قال المفيد رحمه الله : ولما رحل ابن سعد لعنه الله خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاصرية إلى الحسين وأصحابه ، فصلوا عليهم ودفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الآن ، ودفنوا ابنه علي بن الحسين الأصغر عند رجله وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام ، وجمعوهم ودفنوهم جميعاً معاً ، ودفنوا العباس بن علي عليهما السلام في موضعه الذي قتل فيه علي طريق الغاصرية ، حيث قبره الآن .

وفي البحار قال : قال ابن شهر آشوب وكانوا يجدون لأكثرهم قبوراً ويرون طيوراً بيضاً .

أقول : وفي بعض الكتب المعتبرة عن كتاب أسرار الشهادات روي أنه لما ارتحل عمر بن سعد لعنه الله من كربلاء وساروا بالسبايا والرؤوس إلى الكوفة نزل بنو أسد مكانهم وبنوا بيوتهم وذهبت نسائهم إلى الماء ، إذا هن رأين جثثاً حول المسناة وجثثاً نائية عن الفرات ، وبينهن جثة قد جللتهم بأنوارها وعطرتهم بطيها ، فتصارخن النساء وقلن : هذا والله جسد الحسين وأهل بيته عليهم السلام ، فرجعن إلى بيوتهن صارخات ، وقلن : يا بني أسد أنتم جلوس في بيوتكم وهذا الحسين وأهل بيته وأصحابه مجزرون كالأضاحي على الرمال ، وتسفي عليهم الرياح . فإن كنتم ما نعهده فيكم من المحبة والموالة فقوموا وادفنوا هذه الجثث . فإن لم تدفنوها نتولى دفنها بأنفسنا .

فقال بعضهم لبعض : إنا نخشى من ابن زياد وابن سعد لعنهم الله أن تصبحنا خيولهم فينهبوننا أو يقتلون أحدنا . فقال كبيرهم : الرأي أن

نجعل لنا عيناً تنظر إلى طريق الكوفة ونحن نتولى دفنهم . فقالوا : إن هذا الرأي لسديد ، ثم أنهم وضعوا لهم عيناً وأقبلوا إلى جسد الحسين عليه السلام وصار لهم بكاء وعويل ، ثم إنهم اجتهدوا على أن يحركوه عليه السلام من مكانه ليشقوا له ضريحاً فلم يقدروا أن يحركوا عضواً من أعضائه .

فقال كبيرهم : ما ترون؟ قالوا : الرأي أن نجتهد أولاً في دفن أهل بيته ، ثم نرى رأينا فيه . فقال كبيرهم : كيف يكون لكم دفنهم وما فيكم من يعرف من هذا ومن هذا وهم كما ترون جثث بلا رؤوس قد غيرتهم الشمس والتراب من الريح ، فلربما نسأل عنهم فما الجواب .

فبينما هم في الكلام إذ طلع عليهم أعرابي على متن جواده ، فلما راوه انكشفوا عن تلك الجثث الزواكي .

قال : فأقبل الأعرابي ونزل عن ظهر جواده إلى الأرض ، وصار منحنياً كهيئة الراكع حتى أتى ورعى بنفسه على جسد الحسين عليه السلام وجعل يقبله تارة ويشمه أخرى ، وقد بل لشامه من دموع عينيه ، ثم رفع رأسه ونظر إلينا فقال : ما كان وقوفكم حول هذه الجثث ؟ فقالوا : أتينا لتتفرج عليها . فقال عليه السلام : ما كان هذا قصدكم . فقالوا : نعم يا أخ العرب الآن نطلعك على ما في ضمائرنا . أتينا لندفن جسد الحسين عليه السلام فلم نقدر أن نحرك عضواً من أعضائه ، ثم اجتهدنا في دفن أهل بيته وما فينا من يعرف من هذا ومن هذا وهم كما ترى جثث بلا رؤوس قد غيرتهم الشمس والتراب ، فبينما نحن في الكلام إذ طلعت علينا ، فخشينا أنك من أصحاب ابن زياد لعنه الله فانكشفنا عن تلك الجثث .

قال : فقام فخط لنا خطاً وقال : احفروا ههنا ، ففعلنا فيها فقال : قدموا هذا وأخروا هذا فوضعنا سبعة عشر جثة بلا رأس ، ثم خط لنا خطاً فقال : احفروا ههنا ، ففعلنا فوضعنا فيها باقي الجثث واستثنى منها جثة

واحدة ، وأمر لنا أن نشق لها ضريحاً مما يلي الرأس الشريف ، ففعلنا ، فدقناها ثم أقبلنا إليه لنعينه على جسد الحسين عليه السلام ، وإذا هو يقول لنا بخضوع وخشوع : أنا أكفيكم أمره ، فقلنا له : يا أخا العرب كيف تكفيننا أمره وكلنا قد اجتهدنا على أن نحرك عضواً من أعضائه فلم نقدر عليه . فبكى بكاء شديداً فقال عليه السلام : معي من يعينني ثم أنه بسط كفيه تحت ظهره الشريف وقال : بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله ، هذا ما وعدنا الله تعالى ورسوله وصدق الله ورسوله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم أنزله وحده ولم يشرك معه أحداً منا ، ثم وضع خدّه بنحرة الشريف وهو يبكي فسمعناه يقول : طوبى لأرض تضمنت جسدك الشريف ، أما الدنيا فبعدك مظلمة والآخره فبنورك مشرقة .

أما الحزن فسرمد والليل فمسهد حتى يختار الله لي دارك التي أنت مقيم بها ، فعليك مني السلام يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته ، ثم شرج عليه اللبن وأهال عليه التراب ، ثم وضع كفّه على القبر وخطه بأنامله وكتب هذا قبر حسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً . ثم التفت إلينا وقال : انظروا هل بقي أحد؟ قالوا : نعم يا أخا العرب قد بقي بطل مطروح حول المسناة وحوله جثتان ، وكلما حملنا جانباً منه سقط الآخر لكثرة ضرب السيوف والسهام . فقال : امضوا بنا إليه ، فمضينا إليه . فلما رآه انكب عليه يقبله ويبكي ويقول : على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم ، فعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته ، ثم أمر لنا أن نشق له ضريحاً ففعلنا ، ثم أنزله وحده ولم يشرك معه أحداً منا . ثم شرج عليه اللبن وأهال عليه التراب ، ثم أمرنا بدفن الجثتين حوله ، ففعلنا ثم مضى إلى جواده فتبعناه ودرنا عليه لنسأله عن نفسه وإذا به يقول : أما ضريح الحسين عليه السلام فقد علمتم ، وأما الحفيرة الأولى ففيها أهل بيته والأقرب إليه ولده علي الأكبر ، وأما الحفيرة الثانية ففيها أصحابه ، وأما القبر المنفرد فهو حامل لواء الحسين عليه

السلام حبيب بن مظاهر ، وأما البطل المطروح حول المسئلة فهو العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام .

وأما الجثنان فهما من أولاد أمير المؤمنين عليه السلام ، فإذا سألكم سائل فاعلموه ، فقلنا له : يا أخا العرب نسألك بحق الجسد الذي واريته بنفسك وما أشركت معك أحداً منا من أنت؟ فبكى بكاء شديداً فقال : أنا إمامكم علي بن الحسين عليه السلام ، فقلنا : أنت علي ؟ فقال : نعم فغاب عن أبصارنا .

وروى الكشي عن محمد بن مسعود عن جعفر بن أحمد ، عن حمدان بن سليمان ، عن منصور بن العباس ، عن اسماعيل بن سهل ، عن بعض أصحابنا ، وسألني أن أكتب اسمه . قال : كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه علي بن أبي حمزة وابن السراج وابن المكارى ، فقال له ابن أبي حمزة بعد كلام جرى بينهم وبينه عليه السلام في إمامته إنا روينا عن آبائك عليهم السلام أن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله ، فقال له أبو الحسن عليه السلام : فأخبرني عن الحسين بن علي عليهما السلام كان إماماً أو غير إمام؟ قال : كان إماماً . قال : فمن ولي أمره؟ قال : علي بن الحسين ، وأين كان علي بن الحسين عليه السلام؟ قال : كان محبوساً بالكوفة في يد عبيد الله بن زياد لعنه الله . قال : خرج وهم لا يعلمون حتى ولي أمر أبيه عليه السلام ، ثم انصرف فقال له أبو الحسن عليه السلام : إن هذا أمكن علي بن الحسين عليه السلام أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه ثم ينصرف ، فهو يمكن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد ويلوي أمر أبيه ، ثم ينصرف وليس في حبس ولا في أسر (الحديث) .

وروى ابن قولويه في كامل الزيارات عن أبي عيسى ، عن سعيد بن محمد ، عن محمد بن سلامة الكوفي ، عن أحمد بن محمد الواسطي ، عن عيسى بن أبي شيبة القاضي ، عن نوح بن دراج ، عن قدامة بن زائدة ، عن أبيه قال : قال علي بن الحسين عليهما السلام : بلغني يا

زائدة أنك تزور قبر أبي عبدالله عليه السلام أحياناً؟ فقلت : إن ذلك لكما بلغك . فقال عليه السلام لي : فلماذا تفعل ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا؟ فقلت : والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله ، ولا أحفل بسخط من سخط ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه .

فقال عليه السلام : والله إن ذلك لكذلك ، فقلت : والله إن ذلك لكذلك يقولها ثلاثاً . فقال عليه السلام : أبشر ثم أبشر فلا تخبرنك بخبر كان عندي في النخب^(١) المخزون أنه لما أصابنا بالطّف ما أصابنا وقتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه عليه السلام من ولده وإخوته وسائر أهله وحملت حرمة ونسائه على الأقتاب يراد بنا الكوفة ، وجعلت أنظر إليهم صرعى ، ولم يواروا فيعظم ذلك في صدري ويشتدّ لما أرى منهم قلقي فكادت نفسي تخرج وتبينت ذلك مني عمّتي زينب بنت علي الكبرى . فقالت : ما لي أراك تجود بنفسك بما بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟ فقلت : وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مصرعين بدمائهم مرمليين بالعراء مسلمين لا يكفنون ولا يوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر ، كأنهم أهل بيت من الدّيلم والخزر . فقالت : لا يجزئك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى جدك وأبيك وعمّك . ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السموات ، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطّف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء عليه السلام لا يدرس أثره ولا يغفور رسمه على كرور الليالي والآيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياء الضلالة في محوه وتطميمه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً .

(١) النخب بضمّين جمع نخبة وهي المختار (من ق) .

فقلت : وما هذا العهد وما هذا الخبر؟ فقالت : نعم حدثتني أم أيمن أن رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيام ، فعملت له حريرة وأتاه علي عليه السلام بطبق فيه تمر ، ثم قالت أم أيمن : فأتيتهم بعس^(١) فيه لبن وزبد ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم من تلك الحريرة ، وشرب رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وشربوا من ذلك اللبن ، ثم أكل (ص) وأكلوا من ذلك التمر بالزبد ، ثم غسل رسول الله (ص) يده وعلي (ع) يصب عليه الماء .

فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام نظراً عرفنا فيه السرور منه فني وجهه ، ثم رمق بظرفه نحو السماء ملياً ثم وجهه نحو القبلة وبسط يديه صلى الله عليه وآله يدعو ثم خر ساجداً وهو ينشج^(٢) . فاطالة النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر ، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام وحزنت معهم لما رأينا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهبناه أن نسأله حتى إذا طال ذلك قال له علي عليه السلام وقالت له فاطمة عليها السلام : ما يبكيك يا رسول الله (ص) لا أبكي الله عينيك ، فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك؟ فقال : يا أخي سررت بكم .

وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديثه ههنا : فقال : يا أحبتي إني سررت بكم سروراً ما سررت مثله قط ، وإني لأنظر إليكم وأحمد الله تعالى على نعمته علي فيكم ، إذ هبط علي جبرئيل فقال : يا محمد (ص) : إن الله تبارك وتعالى اطلع على ما في نفسك وعرف سرورك

(١) العس بضمّتين الأنية الكبار (ق) .

(٢) نشج الباكي ينشج بالكسر نشجاً إذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب (ق) .

بأخيك وابنتك وسبطيك ، فأكمل لك النعمة وهناك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة ، لا تفرق بينك وبينهم ، يحبون كما تحب ، ويعطون كما تعطى حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا ومكارة تصيبهم بأيدي أناس يتحلون ملئتك ويزعمون أنهم من أمتك براء من الله ومنك ، خبطاً خبطاً^(١) ، وقتلاً قتلاً شتى مصارعهم ناعية قبورهم ، خيرة من الله لهم ولك فيهم فاحمد الله جل وعز على خيرته وارضى بقضائه ، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم .

ثم قال جبرئيل : يا محمد إن أخاك مضطهد^(٢) بعدك مغلوب على أمتك متبوع من أعدائك ، ثم مقتول بعدك يقتله أشد الخلق والخلقة وأشقى البرية نظير عاقر الناقة يبلد تكون إليه هجرته وهو مغرس شيعة وشيعة ولده ، وفيه على كل حال يكثر بك ، ويعظم مصابهم وإن سبطك هذا وأومئ بيده إلى الحسين عليه السلام مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك بضفة^(٣) الفرات بأرض تدعى كربلاء ، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربيه ولا تفى حسرته ، وهي أظهر بقاع الأرض وأعظمها حرمة ، وإنها لمن بطحاء الجنة ، فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله وأحاطت بهم كتائب أهل الكفور واللعة تزعزعت^(٤) الأرض من أقطارها ومادت الجبال ، وكثر اضطرابها واصطفقت^(٥) البحار بأمواجها ، وماجت السموات بأهلها غضباً لك يا محمد ولذريتك واستعظماً لما ينتهك من

(١) خبطه يخبطه ضربه شديداً والبعير بيده الأرض وطأ شديداً والقوم سيفه جلدهم

(٢) أي مقهور مغلوب (ق) .

(٣) ضفة النهر بالكسر جانبه (من بحار) .

(٤) التزعزع التحرك وكذا الميد .

(٥) الاصطفاق الاضطراب ، يقال الريح تصفق الأشجار فتصطفق .

حرمته ، ولشّر ما يكافى به ذريتك وعترتك ولا يبقى شيء من ذلك إلا استأذن الله عز وجل في نصره أهلك المستضعفين المظلومين ، الذين هم حجة الله تعالى على خلقه بعدك ، فيوحى الله تعالى إلى السموات والأرض والجبال والبحار ومن فيهنّ أني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع ، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام . وعزتي وجلالي لأعذبنّ من وتر^(١) رسولي وصفي وانتهك حرمة وقتل عترته ، ونبد عهده ، وظلم أهله ، عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين .

فعند ذلك يضجّ كلّ شيء في السموات والأرضين يلعن من ظلم عترتك واستحلّ حرمته ، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله عز وجل قبض أرواحها بيده ، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنة ، وطيب من طيب الجنة ، فغسلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل وحنطوها بذلك الطيب ، وصلى الملائكة صفّاً صفّاً عليهم ، ثم يبعث الله تعالى قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار ، ولم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية ، فيوارون أجسامهم ويقيمون رسماً لقبر سيّد الشهداء عليه السلام بتلك البطحاء ، يكون علماً لأهل الحق ، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز وتحفّ الملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة يصلّون عليه ويسبحون الله عنده ويستغفرون الله لزوّاره ، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمتك متقرباً إلى الله وإليك بذلك ، وأسماء آبائهم وعشائريهم وبلدانهم ، ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء صلّى الله عليه وآله .

فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور

(١) الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدركه بدمه ، تقول منه وترة بتره وتراً وترة (من بحار) .

تغشى منه الأبصار ، يدل عليهم ويعرفون به ، وكأني بك يا محمد بيني وبين ميكائيل وعلي عليه السلام أماناً ومعناً من ملائكة الله ما لا يحصى عدده ، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه بين الخلائق حتى ينجيهم الله تعالى من هول ذلك اليوم وشدائده ، وذلك حكم الله تعالى وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك لا يريد به غير الله عز وجل ، وسيجد أناس حققت عليهم من الله اللعنة والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا أثره ، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فهذا أبكاني وأحزني . قالت زينب عليها سلام الله : فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله تعالى أبي صلوات الله عليه وآله ورأيت أثر الموت منه ، قلت له : يا أبة حدثتني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت أن أسمعه منك . فقال عليه السلام : يا بني الحديث كما حدثتك أم أيمن ، وكأني بك وبينات أهلك لسبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين ، يخافون أن يتخطفكم الناس فصبراً صبراً ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم .

ولقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله حين أخبرنا بهذا الخبر : إن إبليس في ذلك اليوم يطير فرحاً ، فيجول الأرض كلها في شياطينه وعفاريته ، فيقول : يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة وبلغنا في هلاكهم الغاية ، وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصاة ، فاجعلوا شغلهم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم حتى نستحكم ضلالة الخلق وكفرهم ، ولا ينجو منهم ناج ، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب ، أنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح ، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر .

قال زائدة : ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام بعد أن حدثني

بهذا الحديث خذه إليك أما لو ضربت في طلبه اباط الإبل^(١) حولاً لكان قليلاً .

تذنيب : في عدد المقتولين مع الحسين عليه السلام من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام :

روى المجلسي عليه الرحمة ، عن ابن شهر آشوب وصاحب المناقب ومحمد بن أبي طالب أنه اختلف في عدد المقتولين من أهل البيت عليهم السلام ، فالأكثر على أنهم كانوا سبعة وعشرين ، سبعة من بني عقيل مسلم المقتول بالكوفة وجعفر وعبد الرحمن ابنا عقيل ومحمد بن مسلم وعبد الله بن مسلم وجعفر بن محمد بن عقيل ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل وزاد ابن شهر آشوب عوناً ومحمداً ابني عقيل وثلاثة من ولد جعفر بن أبي طالب محمد بن عبد الله بن جعفر وعون الأكبر بن عبد الله وعبيد الله بن عبد الله ، ومن ولد علي عليه السلام تسعة الحسين عليه السلام والعباس ويقال وابنه محمد بن العباس وعمر بن علي عليه السلام وعثمان بن علي عليه السلام وجعفر بن علي وإبراهيم بن علي عليهم السلام ، وعبد الله بن علي الأصغر (٤) ومحمد بن علي الأصغر وأبو بكر شك في قتله .

وأربعة من بني الحسن عليه السلام : أبو بكر وعبد الله والقاسم وقيل بشر وقيل عمر كان صغيراً وستة من بني الحسين عليه السلام مع اختلاف فيه علي الأكبر وعبد الله وإبراهيم ومحمد وحمزة وعلي وجعفر وعمر وزيد وذبح عبد الله في حجره .

قال الفاضل رحمه الله : ولم يذكر صاحب المناقب إلا علياً وعبد الله وأسقط ابن أبي طالب حمزة وإبراهيم وزيد وعمر .

(١) ضرب أباط الإبل كناية عن الركض والاستعجال فإن المستعجل يضرب رجله باطي الإبل ليعدو أي لو سافرت سافراً سريعاً في طلبه حولاً (من بحار) .

وقال ابن شهر آشوب ويقال لم يقتل محمد الأصغر ابن علي عليه السلام لمرضه ، ويقال : رماه رجل من بني دارم فقتله .

وقال : قال أبو الفرج جميع من قتل يوم الطف من ولد أبي طالب عليهم السلام سوى من يختلف في أمره اثنان وعشرون رجلاً .

وقال ابن نما : قالت الرواة كنا إذا ذكرنا عند محمد بن علي الباقر عليهما السلام قتل الحسين عليه السلام قال : قتلوا سبعة عشر إنساناً كلهم ارتكض في بطن فاطمة يعني بنت أسد أم علي عليه السلام .

الفصل الثالث

في جمل أحوال أولاده وأزواجه عموماً ومدة عمره عليه السلام

قال كمال السدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤل : كان له من أولاد ذكور وإناث عشرة ستة ذكور وأربع إناث . فالذكور : علي الأكبر وعلي الأوسط وهو سيد العابدين عليه السلام ، وعلي الأصغر ومحمد وعبدالله وجعفر فأما علي الأكبر فإنه قاتل بين يدي أبيه عليه السلام حتى قتل شهيداً . وأما علي الأصغر فجاءه سهم وهو طفل فقتله ، وقيل إن عبدالله أيضاً قتل مع أبيه شهيداً .

وأما البنات : فزينب وسكينة وفاطمة وهذا هو القول المشهور .

وقيل : بل كان له أربعة بنين وبتان والأول الأشهر وكان الذكر المخلد والبناء المنضد مخصوصاً من بين بنيه بعلي الأوسط زين العابدين عليه السلام دون بقية الأولاد . آخر كلامه .

أقول : عدد أولاده عليه السلام ذكر بعضاً وترك بعضاً .

وقال المفيد رحمه الله في إرشاده : وكان للحسين عليه السلام ستة أولاد : علي بن الحسين الأكبر كنيته أبو محمد وأمه شاه زنان بنت كسرى

يزدجرد ، وعلي بن الحسين الأصغر قتل مع أبيه عليه السلام بالطّف وقد تقدم ذكره فيما سلف ، وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفية ، وجعفر بن الحسين عليه السلام لا بقيّة له وأمه قضاعية ، وكان وفاته في حياة الحسين عليه السلام ، وعبدالله بن الحسين عليه السلام قتل مع أبيه عليه السلام صغيراً، جاء سهم وهو في حجر أبيه فذبحه وقد تقدم ذكره فيما مضى ، وسكينة بنت الحسين عليه السلام وأُمّها الرّباب بنت امرئ القيس بن عدي كلبية معدية ، وهي أمّ عبدالله بن الحسين وفاطمة بنت الحسين وأُمّها أمّ إسحق بنت طلحة بن عبدالله تميمية .

وفي البحار والعوالم عن ابن شهر آشوب في المناقب أنبأه علي الأكبر الشهيد أمّه برة بنت عروة بن مسعود الثقفي ، وعلي الإمام وهو علي الأوسط وعلي الأصغر وهما من شهر بانويه ، ومحمد وعبدالله الشهيد من أم الرّباب بنت امرأة الحسن وجعفر وأمه قضاعية .

وبناته سكينة أمّها رباب بنت امرئ القيس الكندية ، وفاطمة أمّها أمّ إسحق بنت طلحة بن عبدالله وزينب .

وأعقب الحسين عليه السلام من ابن واحد وهو زين العابدين عليه السلام وابنتين ، وبوابة .

وفيهما عنه أيضاً ذكر صاحب كتاب البدع وصاحب كتاب شرح الأخبار أن عقب الحسين عليه السلام من ابنه علي الأكبر ، وأنّه هو الباقي بعد أبيه عليه السلام ، وأنّ المقتول هو الأصغر منهما ، وعليه نعول ، فإن علي بن الحسين عليه السلام الباقي كان يوم كربلاء من أبناء ثلاثين سنة ، وإن ابنه محمد الباقر عليه السلام كان يومئذٍ من أبناء خمس عشرة سنة ، وكان لعلي الأصغر المقتول نحو اثنتي عشرة سنة ، وتقول الزيدية في الأصغر أنّه كان في يوم كربلاء ابن سبع سنين ومنهم من يقول أربع سنين ، وعلى هذا النسابةون كتاب النسب عن يحيى بن الحسن قال

يزيد لعلي بن الحسين عليهما السلام وا عجباً لأبيك سمى علياً وعلياً ،
فقال عليه السلام : إن أبي أحب أباه فسمى باسمه عليه السلام مراراً .

أقول : وفي الكافي والإرشاد أن الباقر عليه السلام ولد سنة سبع وخمسين من الهجرة كما سيجيء إن شاء الله تعالى في بيان أحواله في محله ، فعلى هذه كان له عليه السلام من العمر عند واقعة جدّه أربع سنين لأن مقتله كان في إحدى وستين على ما في أكثر الروايات الآتية إن شاء الله في عمره عليه السلام في مطالب السؤال .

قال كمال الدين : قد تقدم القول في ولادته عليه السلام أنها كانت في سنة أربع من الهجرة ، وكان انتقاله إلى الدار الآخرة في سنة إحدى وستين من الهجرة فتكون مدة عمره ستاً وخمسين سنة وأشهرًا ، كان منها مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله ست سنين وأشهرًا ، وكان مع أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام ثلاثين سنة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وكان مع أخيه الحسن عليهما السلام بعد وفاة أبيه عشر سنين ، وبقي بعد وفاة أخيه عليه السلام إلى وقت مقتله عشر سنين .

وفي كشف الغمّة قال ابن الخشاب : حدثنا حرب بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : مضى أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن سبع وخمسين سنة في عام الستين من الهجرة في يوم عاشوراء ، كان مقامه عليه السلام مع جدّه النبي صلى الله عليه وآله سبع سنين ، إلا ما كان بينه وبين أبي محمد عليه السلام ، وهو سبعة أشهر وعشرة أيام ، وأقام مع أبيه عليه السلام ثلاثين سنة ، وأقام مع أبي محمد عليه السلام عشر سنين ، وأقام بعد مضي أخيه الحسن عليه السلام عشر سنين ، فكان عمره عليه السلام سبعةً وخمسين سنة إلا ما كان بينه وبين أخيه من الحمل ، وقبض في يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستين . ويقال في يوم عاشوراء يوم الاثنين ، وكان بقائه بعد أخيه الحسن عليه السلام إحدى عشرة سنة .

وفيه أيضاً قال الحافظ عبدالعزيز الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولد في ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وقتل بالطف يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وهو ابن خمس وخمسين سنة وستة أشهر .

وقال أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي في تاريخه واختلفوا في سنة عليه السلام على أقوال : أحدها ست وخمسون سنة قاله الواقدي لأنه ولد سنة أربع من الهجرة ، والثاني خمس وخمسون سنة قاله السدي . والثالث ثمان وخمسون .

ثم قال : وكان مقتله يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر لأنه صلى صلاة الخوف بأصحابه وقيل يوم السبت .

أقول : وقال المفيد في إرشاده ومضى الحسين عليه السلام في يوم السبت العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة بعد صلاة الظهر منه قتيلاً مظلوماً ظمآن صابراً محتسباً على ما شرحناه ، وسنه يومئذ ثمان وخمسون سنة ، أقام منها مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين ، ومع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثين سنة ، ومع أخيه الحسن عليه السلام عشر سنين ، وكانت مدة خلافته بعد أخيه إحدى عشرة سنة .

وكان عليه السلام يختضب بالحناء والكتم^(١) وقتل عليه السلام وقد نصل الخضاب من عارضيه ، وقد جاءت روايات كثيرة في فضل زيارته عليه السلام ، بل في وجوبها .

فروي عن الصادق عليه السلام أنه قال : زيارة الحسين عليه السلام واجبة على كل من يقرّ الحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل .

(١) الكتم بالتحريك نبت يصنع به .

قال عليه السلام : زيارة الحسين عليه السلام تعدل مائة حجة مبرورة ومائة عمرة متقبلة .

وقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : من زار الحسين عليه السلام بعد موته فله الجنة والأخبار في هذا الباب كثيرة . وقد أوردنا منها جملة كافية في كتابنا المعروف بمناسك المزار انتهى كلامه رفع الله تعالى مقامه .

تذنيب :

قال السيد رحمه الله في كتاب تنزيه الأنبياء :

مسألة :

فإن قيل : ما العذر في خروجه صلوات الله عليه من مكة بأهله وعياله إلى الكوفة والمستولي عليها أعدائه والمتأمر فيها من قبل يزيد اللعين بتسلط الأمر والنهي . وقد رأى صنع أهل الكوفة بأبيه وأخيه صلوات الله عليهما ، وأنهم غادرون خوائنون ، فكيف خالف ظنه ظن جميع نصحائه في الخروج وابن عباس رحمه الله يشير إليه بالعدول عن الخروج ويقطع على العطب فيه وابن عمر لما ودعه يقول له : استودعك الله إلى غير ذلك ممن تكلم في هذا الباب .

ثم لما علم عليه السلام بقتل مسلم بن عقيل وقد أنفذه رائداً^(١) له كيف لم يرجع ويعلم الشرور من القوم ويفطن بالحيلة والمكيدة ، ثم كيف استجاز أن يحارب بنفر قليل لجموع عظيمة خلفها مواد لها كثيرة ، ثم لما عرض عليه ابن زياد لعنه الله الأمان وأن يبائع يزيد كيف لم يستجب حقناً لدمه ودماء من معه من أهله وشيعته ومواليه ولم ألقى بيده إلى التهلكة؟

(١) الرائد هو الذي يرسل في طلب الكلاء (ص) .

وبدون هذا الخوف سلم أخوه الحسن عليه السلام الأمر إلى معاوية فكيف يجمع بين فعليهما في الصحة .

الجواب :

قلنا قد علمنا أن الإمام عليه السلام متى غلب على ظنه أنه يصل إلى حقه والقيام بما فوض إليه بضرب من الفعل وجب عليه ذلك ، وإن كان فيه ضرب من المشقة يتحمل مثلها وسيدنا أبو عبد الله صلوات الله عليه لم يسر طالباً الكوفة إلا بعد توثق من القوم وعهود وعقود وبعد أن كاتبوه عليه السلام طائعين غير مكرهين ومبتدئين غير مجبيين . وقد كانت المكاتب من وجوه أهل الكوفة وأشرفها وقرائها ، تقدمت إليه في أيام معاوية وبعد الفتح الواقع بينه وبين الحسن عليه السلام ، فدفعهم فقال في الجواب : ما وجب ثم كاتبوه بعد وفاة الحسن عليه السلام ومعاوية باق فوعدهم ومناهم . فكانت أيام معاوية صعبة لا يطمع في مثلها .

فلما مضى معاوية وأعادوا المكاتب وبذلوا الطاعة وكرروا الطلب والرغبة ورأى عليه السلام من قوتهم على من كان يليهم في الحال من قبل يزيد وتسلطهم عليه وضعفه عنهم ما قوى في ظنه أن المسير هو الواجب تعين عليه ما فعله من الاجتهاد والتسبب ولم يكن في حسبانته عليه السلام أن القوم يغدر بعضهم ويضعف أهل الحق عن نصرته ويتفق ما اتفق من الأمور الغريبة .

فإن مسلم بن عقيل رحمة الله عليه لما دخل الكوفة أخذ البيعة على أكثر أهلها ، ولما ورد بها عبيد الله بن زياد لعنه الله وقد سمع بخبر مسلم ودخوله بالكوفة وحصوله في دار هاني بن عروة المرادي على ما شرح في السيرة وحصل شريك بن الأعور بها جاء ابن زياد لعنه الله عائداً وقد كان شريك وافق مسلم بن عقيل على قتل ابن زياد لعنه الله عند حضوره لعيادة شريك وأمكنه ذلك وتيسر له ، فما فعل واعتذر بعد فوت الأمر إلى شريك

بأن ذلك فتك ، وإن النبي صلى الله عليه وآله قال : إن الإيمان^(١) قيد الفتك ، ولو كان فعل مسلم من قتل ابن زياد ما تمكن منه ووافقه شريك عليه لبطل الأمر ودخل الحسين عليه السلام الكوفة غير مدافع عنها وحسر^(٢) كل أحد قناعه في نصرته ، واجتمع له كل من كان في قلبه نصرته ، وظاهره مع أعدائه .

وقد كان مسلم بن عقيل عليه الرحمة أيضاً لما حبس ابن زياد لعنه الله هائياً سار إليه في جماعة من أهل الكوفة حتى حضره في قصره ، وأخذ بكظمه وأغلق ابن زياد لعنه الله الأبواب دونه خوفاً وجناً حتى بث الناس في كل وجه يرغبون الناس ويرهبونهم ويخذلونهم عن نصره ابن عقيل ، فتعاقدوا وتفرق أكثرهم حتى أمسى في شذمة وانصرف .

وكان من أمره عليه السلام ما كان ، وإنما أردنا بذكر هذه الجملة أن أسباب الظفر بالأعداء كانت لائحة متوجهة ، فإن الاتفاق السيء عكس الأمر وقد هم سيدنا أبو عبد الله عليه السلام لما عرف بقتل مسلم بن عقيل وأشير إليه بالعود فوثب إليه بنو عقيل وقالوا : والله لا ننصرف حتى ندرك ثأره أو نذوق كما ذاق أبونا . فقال عليه السلام : لا خير في العيش بعد هؤلاء ، ثم لحقه الحربن يزيد ومن معه من الرجال الذين أنفذهم ابن زياد لعنه الله ومنعه من الانصراف وسامه^(٣) أن يقدمه على ابن زياد لعنه الله نازلاً على حكمه ، وامتنع عليه السلام .

ولما رأى أن لا سبيل له إلى العود ولا إلى دخول الكوفة سلك طريق

(١) إن الإيمان قيد الفتك : الفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غافل فيشد عليه فيقتله (نهاية).

(٢) حسره حسراً كشفه (ق).

(٣) سام فلاناً الأمر كلفه إياه أو أولاه إياه كسوته وأكثر ما يستعمل في العذاب والشر (ق).

الشام سائراً نحو يزيد بن معاوية لعلمه عليه السلام بأنه على ما به أراف من ابن زياد وأصحابه لعنهم الله . فسار عليه السلام حتى قدم عليه عمر بن سعد لعنه الله في العسكر العظيم ، وكان من أمره ما قد ذكر وسطر وكيف يقال أنه عليه السلام ألقى بيده إلى التهلكة .

وقد روي أنه عليه السلام انه قال لعمر بن سعد لعنه الله : اختاروا مني : إما الرجوع إلى المكان الذي أقبلت منه ، أو أن أضع يدي في يد يزيد فهو ابن عمي ليرى في رأيه . وإما أن يسيروني إلى ثغر من ثغور المسلمين ، فأني رجلاً من أهله لي ما له وعلي ما عليه ، وإن عمر لعنه الله كتب إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله بما يسأل فأبى عليه وكتبه بالمناجزة^(١) بالبيت المعروف وهو :

الآن إذ علقت مخالبنا فيه يرجو النجاة ولات حين أوان^(٢)

فلما رأى عليه السلام إقدام القوم عليه وأن الدّين منبوذ وراء ظهورهم وعلم أنه إن دخل تحت حكم ابن زياد لعنه الله تعجل الدّل والعار وآل من بعد إلى القتل التجأ إلى المحاربة والمدافعة بنفسه عليه السلام وأهله ومن صبر من شيعته ووهب دمه له ووقاه بنفسه ، وكان بين إحدى الحسينين إما الظفر وربما ظفر الضعيف القليل أو الشهادة والمنية الكريمة ، فأما مخالفة ظنه لظن من أشار إليه من الصحابة كآبن عباس وغيره فالظنون إنما تغلب بحسب الإمارات ، وقد تقوى عند واحدة وتضعف عند أخرى .

ولعل ابن عباس لم يقف على ما كوتب عليه السلام به من الكوفة ، وما تردّد في ذلك من المكاتبات والمراسلات والعهود والمواثيق ، وهذه أمور تختلف أحوال الناس فيها ، ولا يمكن الإشارة إلا إلى جملتها دون تفصيلها .

(١) نجز الوعد تلج وتبادر .

(٢) وقد ورد في الأخبار ولات حين مناص (منه) .

فأما السَّبب في أنه عليه السلام لم يرجع بعد قتل مسلم بن عقيل فقد بيَّناه وذكرنا أن الرواية وردت بأنه هم بذلك فمَنع منه وحيل بينه وبينها .

فأما محاربة الكثير بالنفر القليل فقد بيَّنا أن الضرورة دعت إليها وأن الدين والحزم^(١) ما اقتضيا في تلك الحال إلا ما فعل ولم يبذل ابن زياد لعنه الله من الأمان ما يوثق بمثله ، وإنما أراد إذلاله والغض من قدره بالنزول تحت أمره ، ثم يفضي الأمر بعد الذل إلى ما جرى من إتلاف النفس ولو أراد به عليه السلام الخير على وجه لا يلحقه فيه تبعة من الطاغية يزيد لكان قد مكَّنه من التوجُّه نحوه واستظهر عليه بمن ينفذه معه ، لكنَّ الاضغان البدرية والأحقاد النبوية ظهرت في هذه الأحوال وليس يمتنع أن يكون عليه السلام في تلك الأحوال مجوراً أن يفيء إليه قوم ممَّن بايعه وعاهده وتعاهد عنه ويحملهم ما يرون من صبره واستلامه وقلة ناصره على الرجوع إلى الحق ديناً أو حمية . فقد فعل ذلك نفر منهم حتى قتلوا بين يديه عليه السلام شهيداً . ومثل هذا يطمع فيه ويتوقع في أيام الشدة .

فأما الجمع بين فعله وفعل أخيه الحسين عليه السلام فواضح صحيح ، لأن أخاه عليه السلام سلَّم كفاً للفتنة وخوفاً على نفسه وأهله وشيعته وإحساساً بالغدر من أصحابه ، وهذا لما قوى عليه السلام في ظنِّه النصرة ممَّن كاتبه ووثق له ورأى من أسباب نصرة الحق وضعف أنصار الباطل ما وجب عليه معه من الطلب والخروج ، فلما انعكس ذلك ظهرت إشارات الغدر فيه وسوء الاتفاق رام الرجوع والمكافة والتسليم كما فعل أخوه عليه السلام ، فمَنع من ذلك وحيل بينه وبينه فالحالان متفقان إلا أن التسليم والمكافة عند ظهور أسباب الخوف لم يقبلأ منه عليه السلام ، ولم يجب إلى المودعة وطلبت نفسه عليه السلام فمَنع منها بجهدته حتى مضى

(١) الحزم ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة .

كريماً إلى جنة الله تعالى ورضوانه ، وهذا واضح لمأمله .

قال المجلسي رحمه الله في البحار : قد مضى في كتاب الإمامة وكتاب الفتن أخبار كثيرة دالة على أن كلاً منهم عليهم السلام كان مأموراً بأمور خاصة مكتوبة في الصحف السماوية النازلة على الرسول صلى الله عليه وآله ، فهم كانوا يعملون بها ، ولا ينبغي قياس الأحكام المتعلقة بهم عليهم السلام على أحكامنا وبعد الاطلاع على أحوال الأنبياء وأن كثيراً منهم كانوا يبعثون فرادى على ألوف من الكفرة ، ويسبّون آلهتهم ويدعونهم إلى دينهم ولا يبالون بما ينالهم من المكاره والضرب والجس والقتل والإلقاء في النار وغير ذلك . لا ينبغي الاعتراض على أئمة الدين في أمثال ذلك مع أنه بعد ثبوت عصمتهم بالبراهين والنصوص المتواترة لا مجال للاعتراض عليهم ، بل يجب التسليم لهم كل ما يصدر عنهم على أنك لو تأملت حق التأمل علمت أنه عليه السلام فدى نفسه المقدسة دين جدّه ، ولم تنزل أركان دولة بني أمية لعنها الله إلا بعد شهادته عليه السلام ، ولم يظهر للناس كفرهم وضلالتهم إلا عند فوزه بسعادته ، ولو كان يسالمهم ويوادعهم كان يقوى سلطانهم ويشته على الناس أمرهم فتعود بعد حين أعلام الدين طامسة ، وآثار الهداية مندرسة مع أنه قد ظهر لك من الأخبار السابقة أنه عليه السلام هرب من المدينة خوفاً من القتل إلى مكة ، وكذا خرج من مكة بعدما غلب على ظنه أنهم يريدون غيلته^(١) وقتله حتى لم يتيسر له فداءه نفسي وأبي وأمي وولدي أن يتم حجّه فتحلّل وخرج منها خائفاً يترقب . وقد كانوا لعنهم الله ضيقوا عليه جميع الأقطار ولم يتركوا له عليه السلام موضعاً للقرار .

وقال : ولقد رأيت في بعض الكتب المعتبرة أن يزيد لعنه الله أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر عظيم وولاه أمر الموسم وأمره على

(١) الغيلة الخديعة (ق) .

الحاج كلهم ، وكان قد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام سرّاً ، وإن لم يتمكن منه بقتله غيلة ثم إنه دس مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية ، وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام على أي حال اتفق ، فلما علم الحسين عليه السلام بذلك حلّ من إحرام الحج وجعلها عمرة مفردة .

قال : وقد روي بأسانيد أنه لما منعه عليه السلام محمد بن الحنفية عن الخروج إلى الكوفة قال : والله يا أخي لو كنت في جحر^(١) هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلونني ، بل الظاهر أنه لو كان يسألهم ويبيعهم لا يتركونه لشدة عداوتهم وكثرة وقاحتهم ، بل كانوا يغتالونه بكل حيلة ويدفعونه بكل وسيلة ، وإنما كانوا يعرضون البيعة عليه أولاً لعلمهم بأنه لا يوافقهم في ذلك ، ألا ترى إلى مروان لعنه الله كيف كان يشير إلى والي المدينة بقتله قبل عرض البيعة عليه (ع) ، وكان عبيد الله بن زياد عليه لعائن الله إلى يوم التناد يقول : اعرضوا فليتنزل على أمرنا ثم نرى فيه رأينا .

ألا ترى كيف آمنوا مسلماً رضي الله عنه ثم قتلوه .

فأما معاوية فإنه مع شدة عداوته وبغضه لأهل البيت عليهم السلام كان ذا دهاء ونكراء وحزم ، وكان يعلم أن قتلهم علانية يوجب رجوع الناس عنه وذهاب ملكه وخروج الناس عليه ، فكان يداريهم ظاهراً على أي حال ، وكذا صالحه الحسن عليه السلام ولم يتعرض له الحسين عليه السلام ، ولذلك كان يوصي ولده اللعين بعدم التعرض للحسين عليه السلام لأنه كان يعلم أن ذلك يصير سبباً لذهاب دولته لعنه الله ، اللهم العن كل من ظلم أهل بيت نبيك وقتلهم وأعان عليهم ورضي بما جرى عليهم من الظلم والجور لعناً وبليلاً ، وعذبهم عذاباً أليماً ، واجعلنا من

(١) جحر بالجيم المضمومة ثم النحاء مسكن الحشرات وهامة حشرات .

خيار شيعة آل محمد وأنصارهم والسَّالِبِينَ بشارهم مع قائمهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم .

ولنختم هذا المقام بذكر قصيدة فريدة لجامع أشات العلوم والأدب ، ومعيد مذهب الفضل بعدما ذهب ، غوث الإسلام ، وكهف الأنام ، حاوي محاسن المتقدمين ، وجامع فضائل المتأخرين ، علامة العلماء والّج الذي لا ينتهي ، ولكلّ لجّ ساحل ، السّيد السّند ، والركن المعتمد ، السّيد المحروس ، السّيد حسين سبط المرحوم ، العلم العلامة ، المولى الأقدم ، السّيد محمد مهدي الطباطبائي أعلى الله مقامه :

عن أنجم نشرتها في روايتها	حيّ الطّفوف وسلها إذ تحيها
ما مسك دارها طيباً يحاكيها	قد ضمّ تلك الدّراري أيما كتب
خير الخلائق دانيها وقاصيها	يا طيب مثوى سما الأفلاك حيث حوى
نفس النّبيّ وسرّ الله باريها	أهل درى أن نفساً قد تضمّنها
ليست لعمرى يد الأعداد تحصيها	نفس حوت بابتلاها كلّ منقبة
وكم أبان لها في الذكر تنويها	من خير جرثومة باهى الإله بها
لأجلها خلق الدّنيا وما فيها	اختارها حججاً دون الخلائق بل
أنصفتها مشرقا في نواصيها	فاستجلها تلف أنوار النّبوة إن
حتّى دنى منه ذو فخر يدانيها	فهل لا سرّة من السرّ الإله به
تهمي لشوق تلاقىها أمّاقيها	أمسي وأصبح ولّهاناً ولي مقل
يذبيها الوجد والأجفان تجريها	وإن أفلاذ قلبي في فجائعهم
كربي عليها وغرب الذمّع يغريها	لوعنّ لي سلوة صالت كتائب من
غرّ الملائك في شجو وتبكيها	أبكي بدور هدى للحشر تندبها
بليتها والهمام القرم ساميها	فمن معزي سرّة العزّ من مضر
رهن الفيافي صريعاً في مواميها	أهل درت أيّ شهم من سلاتها
محيّ البلا من مغانيها معانيها	أم هل درت أن أهليها شوارد قد
ناراً متى تخب ماء العين يوريتها	يا فجة الطّف كم أضرمّت في كبدي

وماجت الأرض وانهذت رواسيها
 ظامي الحشا ترب الأشلاء داميها
 قد جرعتها الردى قسراً أعاديها
 يا ويلها رأسه السامي عواليها
 رمية شل باريها وراميها
 حتى لقد رضها أيدي عواديها
 حسرى تصون محياها بأيديها
 شم الجبال الرواسي لو تقاسيها
 في نوحها لا ولا الورقاء تحكيها
 أو تشك أوجرها بالشتم شاتيها
 مهما توسمن في الأغلال واليها
 به إذا الوجد يصهيها تسليها
 منه يداً تملأ الدنيا أياديها
 جرحى جوارحها صرعى مواليها
 علت على كل علوي معاليها
 في جمعها ليت شعري من يواريها
 كأن على بدرها دارت دراريها
 باعت بصائرهما في حرب هاديها
 قال اركبوا الآن بسم الله مجريها
 عهودها وتمادت في مساويها
 أنى ترى رشدتها والغى غاويها
 لسوف تلقى بعقبها مساعيها
 دانت له الرسل تطهيراً وتنزيها
 يشاء محو سطور اللوح يمحىها
 وكاد لولا قضاء الله يفنيها
 كشاف مفضلها مصباح ناديها

لا غرو إن بكت السبع الشداد لها
 ليس فوق ثراها السبط منجدلاً
 ليس ربحانة الهادي ونبعته
 ليس علت إلى الشامات من حتى
 ليس أشلائه أضحت لأسهمها
 ليس أجرت عليها كل سلهبة
 ليس نسوته من بعد عزتها
 قاست فوادح أشجان تخر لها
 تكللى نوائح لا الخنساء تشبهها
 وكاظمات الجوى إن تنع فتيتها
 تزداد شجواً على أشجانها وجوى
 بقيّة الال أبقاه الإله لها
 جارت عليه يد الأيام إذ صفدت
 فلهم نفسي لنفس بالعراء لقي
 والشمس تصهر أشلاها التي شرفا
 ثوت مرملة فوق الرمال أما
 لم أنسه وبه الأصحاب محدقة
 فأم تلك الداراي بالردي أمم
 ومذ جرت كتالي القطر أسهمهم
 ما بال قوم لحاها الله قد نقضت
 ظنت تحامي عن الأطهار قاداتها
 لال حرب سعت في حرب سيدها
 تدري الألى حاربت حاربت علماً
 من في يديه مقاليد السماء فلو
 فثم فيها سطا سطا فبدها
 خواض مهلكها جوال معركها

أحشائها خافقات في تراقبها
 إن كَرَّ من سطوة فَرَّتْ ضواريها
 يميتهها الله فيها ثم يحييها
 كأن منيتهها أقصى أمانيها
 تجلو ببيض الظبي قسراً دياجيها
 دارت عليها تقيها البأس تحميها
 تلفها بحدود من مواضيها
 أبت بغير كؤوس الموت ترويه
 نفساً لكانت بذاك اليوم تفديها
 ونال من قصب العليا أقاصيها
 جلّت وعليه تحديداً وتشبيها
 أبو الفضائل والانداء باديه
 في فخرها شهداء بدر بتاريها
 ومجدها تلد العليا ثانيها
 ربّ الملائك الطافاً ويوليها
 حتى يقوم قوام الخلق هاديها
 جوى وإن هي جلّت فهو جاليها
 مبشراً كل ذي روع مناديها
 فيا لها غيبة دقت معانيها
 لها وتشكو بشجو من تماديها
 شرفاً من وجدها أيّ أشجان تعانيها
 حرّى وليس سوى مرآك يشفيها
 كفيها من صروف الدهر كافيها
 سمائها لا ولا سارت سواريه
 وجه العوالم باغيها وطاغيها
 لطفها بها من علوم الله تسقيها

يصول ثبت الحشا والشوس من فرق
 غضنفر ترهب الأسد سطوته
 يغشى الوغى بأوداء تودُّ بأن
 ميل المعاطف في الهيجاء من طرب
 أساد حرب إذ اسودّت ملاحمها
 تجول إن شمسها جالت وإن وقفت
 فكلما صالت الأقوام وازدلفت
 تكرّ ظامئة الاحشاء ذوي غلل
 لو تملكن يداها غير أنفسها
 يوم الفضل حاز المكرمات به
 فكم به كسبت أيديها منقبه
 لا غرو فهو أخو السبطين عزهما
 لله صحب حوت كلّ الفخار فما
 نتائج المجد والعليا فرائده
 فلم تزل تلکم الأجداث يتحفها
 لله من وقعة لم تنس فجعتها
 فأبي فادحة توري القلوب بها
 متى ينادي بأفاق السماء به
 حتى ما تسعر أحشانا بغيته
 فتلك أكباد من والاه في كمد
 تدري مواليك يا خير الوري
 تطوي وتنشر آمالاً على غلل
 فأنت كهف رجاها غوث صارخها
 لولاك يا علّة الأكوان ما سمكت
 متى نراك وقد أجلى حسامك عن
 تهدي هداة الوري حيناً وآونة

والأرض تملأها قسماً وقد خفقت بنود عليك في أقصى نواحيها
 فقم وحسبك أعواناً بآل طبا طبا ضراغم لم تغمد مواضيها
 يهدي إليك من الباري الثنا أبداً في أي سوح رعاك الله تاويها
 تلك المعالم لا زالت يراوحها ما هبت الريح روح أو يغاديهها

الرزية الرابعة

فيما وقع في دخول أهل البيت (ع) الكوفة إلى خروجهم (ع) منها إلى الشام
 وخبر قتل الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعلى أولاده إلى المدينة

قال السيد بن طاووس رحمه الله في كتاب اللهوف على أهل
 الطفوف: بعد ما ذكرنا في الرزية الثالثة وسار ابن سعد لعنه الله بالسبي
 المشار إليه ، فلما قاربوا الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهن قال : فأشرفت
 امرأة من الكوفيات فقالت : من أي أسارى أنتن ؟ فقلن : نحن أسارى
 محمد صلى الله عليه وآله ، فنزلت من سطوحها وجمعت ملاً وأزرأ ومقانع
 فأعطتهن فتغطين . قال : وكان مع النساء علي بن الحسين عليه السلام قد
 نهكته العلة والحسن بن الحسن المثنى عليهما السلام ، وكان قد واسى
 عمه وإمامه في الصبر على الرماح ، وإنما ارتث وقد أنخن بالجراح وكان
 معهم أيضاً زيد وعمرو ولد الحسن عليه السلام السبط ، فجعل أهل
 الكوفة ينوحون ويبكون ، فقال علي بن الحسين عليهما السلام : أتنوحون
 وتبكون من أجلنا ، فمن الذي قتلنا ؟!!! . . .

وفي الاحتجاج وعن حذام بن بشير الأسدي قال : لما أتى علي بن
 الحسين زين العابدين عليه السلام بالنسوة من كربلاء وكان مريضاً ، وإذا
 نساء أهل الكوفة يتشدبن مشققات الجيوب والرجال معهن يبكون ، فقال
 زين العابدين عليه السلام بصوت ضئيل^(١) ، وقد نهكته العلة : إن هؤلاء

(١) الضئيل كأمير الصغير الدقيق الحقيق والنحيف (ق).

يكون علينا فمن قتلنا غيرهم ، فأومأت زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام إلى الناس بالسكوت .

قال حذام الأسدي : لم أر والله خفرة^(١) أنطق منها ، كأنما تنطق وتقرع^(٢) على لسان أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد أشارت إلى الناس بأن انصتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس ، ثم قالت بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله :

أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الحشر^(٣) والغدر والخذل والمكر ، ألا فلا رقات العبرة ولا هدأت الزفرة^(٤) ، فإنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوت انكاثاً تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم ، هل فيكم إلا الصلف^(٥) والعجب والشنف^(٦) والكذب وملق الاماء وغمز الأعداء كمرعى على دمنة^(٧) أو كفضة ملحودة ، ألا بش ما قدمت أنفسكم إن سخط الله عليكم ، وفي العذاب أنتم خالدون ، أتبيكون أخي أجل والله فابكوا فإنكم والله أحرىاء^(٨) بالبكاء ، فابكوا كثيراً وضحكوا قليلاً ، فقد بليتيم بعارها ،

(١) الخفر محركة شدة الحياء كالخفارة والتخفر خفرت كفرح وهي خفرة وخفر ومخافر (ق) .

(٢) التقريع التعنيف والتشريب (ق) .

(٣) الحشر الغدر والخديعة أو أقيح الغدر .

(٤) الزفير أول الصوت والشهيق آخره وقد زفر يزفر والاسم الزفر (ص) .

(٥) الصلف التكلم بما يكرهه صاحبه والتمدح بما ليس عندك أو مجاوزة قدر الطرف والادعاء فوق ذلك تكبراً (ق) .

(٦) شنف له كفرح أبغضه (ق) .

(٧) الدمنة بالكسر المسرقين .

(٨) أحرىاء أي أحقاء له .

ومنيتم^(١) بشفارها^(٢) ، ولن ترخصوها^(٣) أبداً ، وأنى ترخصون قتل سليل^(٤) خاتم النبوة ومعدن الرسالة ، وسيد شباب أهل الجنة ، وملاذ حربكم ومعاذ حزبكم ، ومقر سلمكم ، وأسى^(٥) كلكم ومفرج نازلتكم ، والمرجع إليه عند مقاتلكم ومدره^(٦) حججكم ومنار محجتكم ألا ساء ما قدّمتم لأنفسكم وساء ما تنزرون ليوم بعثكم ، فتعساً تعساً ونكساً نكساً لقد خاب السعي وثبت^(٧) الأيدي ، وخسرت الصّفقة ، وبثم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة ، أتدرون ويلكم أي كبد لمحمد صلى الله عليه وآله فرثتم^(٨) ، وأي عهد نكثتم ، وأي كريمة له أبرزتم ، وأي حرمة له هتكتكم؟ وأي دم له سفكتكم؟ لقد جئتم شيئاً إداً^(٩) تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هداً^(١٠) ، لقد جئتم بها شوهاء خرقاء طلاع الأرض والسماء . أفعجبتم أن قطرت السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ، فلا يستخفّنكم المهمل فإنّه عزّ وجلّ لا يخفّره^(١١)



- (١) منوته ومنيته إذا ابتليته (ص).
- (٢) الشفار : العيب والعار .
- (٣) ارخصت يدي وثوبي غسلته (ص).
- (٤) السلالة ما انسل من الشيء والولد كالسّليل (ق).
- (٥) الأسى مفتوح بالمقصور المداواة والعلاج (ص).
- (٦) في حديث شدّاد بن أوس إذا قيل شيخ من بني عامر هو مدرة قومه المدرة زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم ، والذي يرجعون إلى أهله والميم زائدة (نهاية) في حديث أم كلثوم بنت علي عليه السلام ، قالت لأهل الكوفة : أتدرون أي كبد فرثتم لرسول الله (ص) الفرث نفيسة الكبد بالغم والأذى (نهاية).
- (٧) ثبت يده أصلنا وخسرتا (ق).
- (٨) افرث الكبد شفها والقي الفراءة أي ما فيها (ق).
- (٩) الإدا والإداة بكسرهما العجب والأمر الفظيع والداهية والمنكر كالآد بالفتح (ق).
- (١٠) الهد الهدم الشديد والكسر (ق).
- (١١) خفر بالعهد وفي به خفارة من باب ضرب وأخفّره نقضه .

البدار^(١) ولا يخشى عليه فوت الشار ، كلاً إن ربك لنا ولهم بالمرصاد ،
ثم أنشأت تقول :

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا صنعتكم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي وتكرمتي منهم أسارى ومنهم ضرجوا^(٢) بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم
لاني لأخشى عليكم أن يحل بكم مثل العذاب الذي أودى على إرم

ثم ولت عنهم ، قال حذام : فرأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم
في أفواههم ، فالتفت إلى شيخ إلى جانبي يبكي وقد اخضلت لحيته
بالبكاء ويده مرفوعة إلى السماء وهو يقول : بأبي أنتم وأمي كهولهم خير
الكهول وشبابهم خير الشباب ونسلهم نسل كريم ، وفضلهم عظيم ، ثم
أنشد يقول :

كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عد نسل لا يسور ولا يخزى
فقال علي بن الحسين عليهما السلام : يا عمّة اسكتي ففي الباقي عن
الماضي اعتبار ، وأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة ، فهمة غير مفهّمة ، إن
البكاء والحزن لا يردان من قد أباده الدهر ، فسكتت ثم نزل عليه
السلام وضرب فسطاطه وأنزل نساءه ودخل الفسطاط .
وفيه أيضاً عن زيد بن موسى بن جعفر عن أبيه ، عن آبائه عليهم
السلام .

قال : خطبت فاطمة الصّغرى بعد أن ردت من كربلاء فقالت :
الحمد لله عدد الرّمل وزنة العرش إلى الشرى ، أحمدته وأؤمن به وأتوكل
عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله صلّى الله عليه وآله ، وأن جمع الطغاة ذبحوا أولاده بشطّ الفرات

(١) البدار بدر إليه أي أسرع (المغرب).

(٢) ضرجه شقه فانفرج ولطخه فتضرج وألقاه (ق).

من غير دخل^(١) ولا ترات اللهم إني أعوذ بك أن أفترى عليك الكذب ، وأن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهد لوصيه علي بن أبي طالب عليه السلام ، المسلوب حقه ، المقتول من غير ذنب ، كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت ، وبها معشر مسلمة بالسبتهم تعساً لرؤوسهم ، ما دفعت عنه ظلماً في حياته ولا عند مماته ، حتى قبضته إليك محمود النقية^(٢) ، طيب الضريبة ، معروف المناقب ، مشهور المذاهب ، لم تأخذه فيك لومة لائم ، ولا عذل عاذل ، هديته يا رب للإسلام صغيراً ، وحمدت مناقبه كبيراً ، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلواتك عليه وآله حتى قبضته إليك زاهداً لك في الدنيا ، غير حريص عليها ، راغباً في الآخرة ، مجاهداً لك في سبيلك ، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم .

أما بعد : يا أهل الكوفة يا أهل المكر والغدر والخيلاء^(٣) ، إنا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاككم بنا ، فجعل تعالى بلاتنا حسناً ، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا ، فنحن عيبة علمه ورعاء فهمه ، ونحن تراجمة وحي الله وحكمته وحبته في الأرض في بلاده ، أكرمنا الله بكرامته ، وفضلنا بنبيه صلى الله عليه وآله على كثير من خلقه تفضيلاً ، فكذبتمونا وكفرتُمونا ، ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهياً كأننا أولاد ترك أو كابل ، كما قتلت جندنا بالأمس وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم قرّت بذلك عيوبكم ، وفرحت قلوبكم ، اجترأ منكم على الله ، ومكراً مكرتم والله خير الماكرين ، ولا تدعونكم أنفسكم إلى الجلل بما أصبتم من دمائنا ، ونالت أيديكم من أموالنا ، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة ، والرزايا

(١) الدخل الثأر ، قال في الصحاح طلب بدخله أي بثأره .

(٢) في حديث محمد بن عمرو أنه ميمون النقية أي منجح الفعال مظفر الطالب والنقية النفس وقيل الطبيعة والخلقة .

(٣) الخيلاء والخيل والخيلة والخولة الكبير (ق) .

العظيمة ، في كتاب الله من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير ، ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ، تَبَأْ لَكُمْ فَاَنْتَظَرُوا اللَّعْنَةَ وَالْعَذَابَ ، فَكَأَن قَدْ حَلَّتْ بِكُمْ وَتَوَاتَرَتْ مِنَ السَّمَاءِ نَقَمَاتٌ فَيَسْحَتُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ وَيَذِيقُ بَعْضُكُمْ بِأَسَ بَعْضٌ ، ثُمَّ تَخْلُدُونَ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا ظَلَمْتُمُونَا ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، وَيَلْ لَكُمْ أَتَدْرُونَ آيَةَ يَدِ طَاعَتِنَا مِنْكُمْ ، وَآيَةُ نَفْسٍ نَزَعَتْ إِلَى قِتَالِنَا ، أَمْ بِآيَةِ رَجُلٍ مَشِيتُمْ إِلَيْنَا تَبْغُونَ مُحَارِبَتَنَا ، قَسَتْ قُلُوبُكُمْ وَغَلْظَتْ أَكْبَادُكُمْ ، وَطَبَعَ عَلَى أَفْسَدَتِكُمْ ، وَخْتَمَ عَلَى سَمْعِكُمْ وَبَصَرِكُمْ ، وَسَوَّلَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ وَأَمْلَى لَكُمْ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِكُمْ غَشَاوَةً فَأَنْتُمْ لَا تَهْتَدُونَ ، تَبَأْ لَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ كَمْ تَرَاتِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَكُمْ وَدَخُولَ لَهُ لَدَيْكُمْ ، ثُمَّ غَدَرْتُمْ بِأَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَدِّي وَبَنِيهِ عَتَرَةَ النَّبِيِّ الطَّاهِرِينَ الْأَخْيَارَ ، فَافْتَخَرُوا بِذَلِكَ مُفْتَخِرِينَ ، فَقَالَ : قَدْ قَتَلْنَا عَلِيًّا وَابْنِي عَلِيَّ بِسَيْفٍ هِنْدِيَةٍ وَرِمَاحٍ ، وَسَبِينَا نِسَائِهِمْ سَبِيَّ تَرْكٍ ، وَنَطَحْنَاهُمْ ^(١) وَأَيَّ نَطَاحٍ . فَقَالَتْ : بَنِيكَ أَيُّهَا الْقَائِلُ الْكَثْكَثُ ^(٢) ، وَلَكَ الْأَثْلُبُ ^(٣) افْتَخَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمِ زَكَاهُمْ اللَّهُ وَطَهَّرَهُمْ وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ الرِّجْسَ فَكَافُظْ وَاقِعْ كَمَا أَقْعَى ^(٤) أَبُوكَ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِءٍ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ حَسَدْتُمُونَا وَيَلَا لَكُمْ عَلَى مَا فَضَّلْنَا اللَّهَ :

فَمَا ذَنْبُنَا إِنْ جَاشَ دَهْرًا بِحُورِنَا وَبِحَرْكٍ سَاجٍ ^(٥) لَا يُوَارِي الدِّعَامَصَا ^(٦)

(١) نطحه كيئعه وضربه أصابه بقرنه (ق) .

(٢) الكثكث كجعفر وزبرج التراب (ق) .

(٣) الأثلب ويكسر التراب والحجارة أو فتاتها (ق) .

(٤) أقعى في جلوسه تساندا ورائه والكلب جلس على استه .

(٥) سجا يسجو سجواً سكن ودام كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴾ أي إذا دام وسكن وسجا البحر .

(٦) الدعومص بالضم دويبة أو دودة سوداء تكون في الغدران (ق) .

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

قال : فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا : حسبك يا بنت الطيّين فقد أحرقت قلوبنا ، وانضجت نحورنا ، وأضرمت أجوافنا ، فسكتت عليها وعلى أبيها وجدّيها الصلاة والسلام .

وفي كتاب اللّهُوف على أهل الطفوف قال : وخطبت أم كلثوم بنت علي عليه السلام في ذلك اليوم من وراء كلّتها^(١) رافعة صوتها بالبكاء . فقالت : يا أهل الكوفة سؤاة لكم ما لكم خذلتم حسينا وقتلتموه ، وانتهبتم أمواله وورثتموه ، وسبيت نساؤه وبكيتموه ، فتباً لكم وسخفاً ويلكم أتدرون أيّ دواءٍ دهتكم ؟ وأيّ وزر على ظهوركم حملتم ؟ وأيّ دماء سفكتموها ؟ وأيّ جريمة أصبتموها ؟ وأيّ صبيّة سلبتموها ؟ وأيّ أموال انتهبتموها ؟ قتلتم خير رجالات بعد النبي صلّى الله عليه وآله ، ونزعت الرّحمة من قلوبكم ، ألا إنّ حزب الله هم الفائزون وحزب الشيطان هم الخاسرون ، ثم قالت :

قتلتم أخي صبراً فويل لأقكم
سفكتم دماء حرم الله سفكها
ألا فابشروا بالنار انكم غداً
ولأيّ لأبكي في حياتي على أخي
بدمع عزيز مستهل مكفكف
علي خيراً من بعد النبي سيولد
على الخدّ مني ذائباً ليس يحمده

قال : فضجّ الناس بالبكاء والحنين والنوح ، ونشرت النساء شعورهنّ ووضعن التراب على رؤوسهنّ ، وخمشن وجوههنّ ، وضربن خدودهنّ ، ودعون بالويل والثبور ، وبكى الرجال وندفوا لحاهم فلم ير باكية ولا باك أكثر من ذلك اليوم .

وفي الاحتجاج قال حذام بن بشير : خرج زين العابدين عليه السلام إلى الناس وأومئ إليهم أن اسكتوا فسكتوا وهو قائم ، فحمد الله وأثنى

(١) الكلّة بالكسر الستر .

عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله ثم قال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين المذبوح بشط الفرات من غير دخل ولا ترات ، أنا ابن من انتهك حريمه وسلب نعيمه وانتهب ماله وسبي عياله ، أنا ابن من قتل صبراً فكفى بذلك فخراً .

أيها الناس فأنشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلي أبي وخذعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقتلتموه فتباً لكم ما قدمتم لأنفسكم وسوءة لرأيكم ، بآية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ يقول صلى الله عليه وآله لكم : قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي ، فليست من أمتي .

قال : فارتفعت أصوات الناس بالبكاء ويدعون بعضهم بعضاً هلكتم وما تعلمون . فقال علي بن الحسين عليهما السلام : رحم الله امرء قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وفي أهل بيته ، فإن لنا في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة . فقالوا بأجمعهم : نحن كلنا يا ابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لزامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك ، فمرنا أمرك رحمك الله ، فإننا حرب لحربك وسلم لسلمك ، لناخذن تركك وترتنا ممن ظلمك وظلمنا .

فقال علي بن الحسين عليهما السلام : هيهات هيهات أيتها الغدرة المكرة ، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم ، أتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم إلي آبائي من قبل ، كلاً ورب الراقصات إلى منى فإن الجرح لما يندمل . قتل أبي بالأمس وأهل بيته معه ، فلم ينسئ ثكل رسول الله صلى الله عليه وآله وكل أبي وبني أبي وجدي وشق لهازمي ومرارته بين حناجري وحلقي وغصصه تجري في شراسيف صدري ، ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا .

ثم قال :

لا غرو أن قتل الحسين وشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرماً

فلا تفرحوا يا أهل الكوفة بالذي أصاب حسين كان ذلك أعظما
قتيل بشط النهر نفسي فداؤه جزاء الذي أوداه نار جهنما

وزاد السيد رحمه الله : ثم قال عليه السلام :

رضينا منكم رأساً برأس فلا يوم لنا ولا علينا

وفي بعض الكتب عن سهل بن سعيد الشهرزوري عن جديلة
الأسدي قال لي : يا أخي كنت بالكوفة سنة إحدى وستين حين منصرف
الناس من كربلاء ، فرأيت نساء مهتكات الجيوب ، لاطمات الخدود ،
فقلت لشيخ من أهل الكوفة : ماذا صار؟ قال : أولا ترى رأس الحسين
عليه السلام . فبينما يقص علي ذلك وإذا بامرأة كأنها التبر المذاب على
سنام بعير أدبر من غير وطاء ، ولا حجاب ، فسألت عنها فقيل لي : هذه
أم كلثوم ، وإذا خلفها ولد قد أضرب به الوجع على سنام بعير أعجف ،
ورأسه مكشوف ، والدّم يسيل من ساقيه ، فسألته من هذا الولد؟ فقال :
علي بن الحسين عليه السلام ، فخنقتني العبرة ، وإذا بنساء أهل الكوفة
تناول الأطفال الذين في حجور النساء من خمس تمرات ، وقطعة رغيف ،
فصاحت بهن أم كلثوم : خرج علي من يتصدق علينا أهل البيت ، فإن
الصدقة علينا حرام ، وجعلت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم ،
وترمي به إلى الأرض ، فضجّ الناس بالبكاء والنحيب ، فشقوا الجيوب ،
ونادوا وا ابن بنت نبيّاه ، وا حسناه وا حسيناه ، وإذا بامرأة مكشوفة الرأس
منشورة الشعر على المتنين ، تستر وجهها بكفيها ، إذ لم يكن عندها خرقة
تستر وجهها ، فقلت : من هذه؟ فقال : سكينه ، وإذا على سنام جمل
أدبر ثلاث بنات كأنهنّ الأقمار مسلمات الأظمار شعورهنّ منشورة على
الأكثاف ، ولا لهنّ ستر ولا لحاف ، فقلت : من هؤلاء البنات؟ فقالوا :
رقية وصفية وفاطمة الصغرى ، فعميت عينا من البكاء ، وإذا بامرأة تبكي
وتصيح : أما تغضّون أبصاركم عن حرم رسول الله صلّى الله عليه وآله ،
فضجّ الناس بالبكاء والعويل ، فقلت : من هذه؟ فقال : زينب . فضربت

على وجهي وبكيت ، فرفعت رأسها أم كلثوم وقالت : صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم وتبكيونا نساؤكم ، ما لنا وما لكم بيننا وبينكم الله تعالى وقت فصل القضاء ، يا أهل الجدل والصلف ، لقد تعددتم عدواناً مبيناً ، أما علمتم أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وآله فريتم ، أم أي رحم له قطعتم ، أم أي بناء له هدمتم ؟ لقد جئتم والله شيئاً إذاً .

وفي المنتخب روي مرسلاً عن مسلم الجصاص قال : دعاني ابن زياد لعنه الله لإصلاح دار الإمارة بالكوفة ، فبينما أنا أجصص الأبواب وإذا أنا بالزّعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة ، فأقبلت إلى خادم كان يعمل معنا ، فقلت : ما لي أرى الكوفة تضج ؟ فقال : الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد بن معاوية . فقلت : من هذا الخارجي ؟ فقال : الحسين بن علي عليهما السلام .

قال : فتركت الخادم حتى خرج ولطمت وجهي حتى خشيت على عيني أن يذهبها ، وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر ، وأتيت إلى الكناسة ، فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ أقبلت نحو أربعين شقة تحمل على أربعين جملاً ، فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة عليها السلام ، وإذا بعلي بن الحسين عليهما السلام على بعير بغير وطاء ، وأوداجه تشخب دماً وهو مع ذلك يبكي ويقول :

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم	يا أمة لم تراعي جدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا	يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيرونا على الأقتاب عارية	كأننا لم نشيد فيكم ديناً
بني أمية ما هذا الوقوف على	تلك المصائب لا تلبون داعينا
تصفقون علينا كقكم فرحاً	وأنتم في فجاج الأرض تسبوننا
أليس جدّي رسول الله ويلكم	أهدى البرية من سبل المضلينا
يا وقعة الطف قد أورثني حزنا	الله يهتك أستار المسيئينا

قال : وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز ، فصاحت بهم أم كلثوم عليها سلام الله وقالت : يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام ، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأقواهم وترمي به إلى الأرض .

قال : كل ذلك والناس يكون على ما أصابهم ، ثم إن أم كلثوم اطلعت رأسها من المحمل وقالت لهم : صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم وتبكيونا نسائكم ، فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء .

فبينما هي تخاطبهم إذا بضجة قد ارتفعت وإذا هم قد أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري ، أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله ولحيته كسواد البسج ، قد اتصل بها الخضاب ووجهه دائرة قمر طالع ، والريح تلعب بها يمينا وشمالا ، فالتفت زينب عليها السلام فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى رأينا الدّم يخرج من تحت قناعها ، وأومات إليه بحرقة وجعلت تقول صلوات الله عليها :

يا هلالاً لما استتم كمالاً	غاله خسفه فأبدي غروباً
ما توهمت يا شقيق فؤادي	كان هذا مقدراً مكتوباً
يا أخي فاطم الصغير كلمها	فقد كاد قلبها أن يذوباً
يا أخي قلبك الشقيق علينا	ما له قد قسى وصار صلياً
يا أخي لو ترى علياً لدى الأسر	مع اليتيم لا يطيق وجوباً
كلما أوجعوه بالضرب نادا	ك بذل يفيض دمعاً سكوباً
يا أخي ضمّه إليك وقرب	ه وسكن فؤاده المرعوباً
ما أذل اليتيم حين ينادي	بأبيه ولا يراه مجيباً

وفي كتاب آخر لبعض المعاصرين ممّا ألفه حاوي محاسن المتقدمين والمتأخرين ، العالم الفاضل في فنون التفاضل ، الشيخ حسن ابن الشيخ علي الملقب بأبي قفطان ، سقى ثراه صوب الرضوان .

روى مرسلاً عن رجل من الشيعة قال : أخطأت خطيئة وجنيت جنابة
 لو لم تغفر لي لما شككت أني من أهل النار ، وهي أني كنت في الكوفة
 وليس لي علم بما جرى على الحسين عليه السلام و عياله ، فبينما أنا
 جالس في سوق الكوفة ونفسي مستوحشة مما أراه من تغير الليل والنهار ،
 وأرى جدران الكوفة كأنها مطلية بدم عبيط ، والآفاق مسودة ، والجهات
 مغيرة ، وكل إنسان أراه كأن ثيابه ووجهه مطليان بالدم ، والناس في حيرة
 شديدة ودهشة عظيمة ، ولا أعلم ما سبب ذلك .

فبينما أنا على تلك الحالة وإذا بتكبير وتهليل وأصوات عالية ورجة
 عظيمة ، فقامت لأنظر ماذا وإذا برؤوس مرفوعة على الرماح ونساء على
 الجمال من غير غطاء ولا وطاء ، وبين تلك النساء بنات صغار وجوهن
 كالقناديل ، وكل واحدة على جمل أدبر أعجف ، وشعورهن منشورة ،
 ورؤوسهن منكسة حياء من الناس ، وبينهن ولد راكب على جمل وهو مقيد
 من تحت بطن الناقة ، وفخذه يشخبان دماً وهو مكشوف الرأس عار من
 الثياب ، وبين الحاملين للرؤوس رجال على رمحه رأس أزهر من تلك
 الرؤوس ، ولم ير عليه آثار القتل وهو يشتمس ويقول :

أنا صاحب الرمح الطويل أنا صاحب السيف الصّقل
 أنا قاتل دين الأصيل

ثم سكت لعنه الله ، فقالت له امرأة من تلك النساء : فقل يا
 ويلك : ومن ناغاه في المهد جبريل ، ومن بعض خدامه ميكائيل ،
 وإسرافيل ، وعزرائيل ، ومن عتقائه صلصائيل ، ومن اهتز لقتله عرش
 الجليل . وقل يا ويلك : أنا قاتل محمد المصطفى (ص) وعلي
 المرتضى ، وفاطمة الزهراء ، والحسن المزكي ، وأئمة الهدى ، وملائكة
 السماء والأنبياء والأوصياء . فدنوت لواحدة من النساء لأسألهما ، فقلت
 لها : ما هذه الرؤوس وما هذه السبايا؟ فصاحت بي صيحة خلت أنها

صاعقة أصابت فؤادي وهي تقول : أما تستحي من الله تنظر إلينا ، فسقطت على وجهي مغشياً عليّ .

فلما أفقت من غشوتي وقمت رأيتهم قد بعدوا عني ، فلطمت على وجهي وقلت : هلك رب الكعبة ، فقامت أعدو حتى وصلت قريباً منها ، فنادت بين يديها وأطرت رأسي حياء منها وأنا أبكي وهي مشغولة بالبكاء وأنا اسأثرها ولم أتجرأ على مسألتها ، فالتفت إليّ وقالت : ما يبكيك يا رجل؟ قلت : عليكم يا سيدي وعلى ما جرى عليكم ، لكن أخبريني من أنتم وما هذه الرؤوس المشالة على الرماح ؟ فإني أرى لكم هيئة وشأناً جليلاً ، وأرى فؤادي ينصدع من رؤيتكم وعيني تدمع من حزني عليكم ، وما رأيت سبياً كسبيكم ، ولا مقتولاً تجري عليه المدامع مثل مقتولكم ، ولم أعرف من أين أنتم؟ فنكست رأسها حياء مني وقالت : أنا زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهذه السبايا بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وبنات علي عليه السلام وبنات فاطمة الزهراء عليها السلام ، وذلك الرأس الأزهر المتقدم على الرؤوس رأس أخي الحسين عليه السلام الذي ذبحوه في أرض كربلاء ، وذبحوا أولاده وبنني أخيه وأصحابه عن آخرهم ، وهذه رؤوسهم ، وهذا الصبي المقيّد من تحت بطن الناقة علي بن الحسين عليهما السلام إمام العصر بعد أبيه .

فلما سمعت كلامها ضربت رأسي بحجر حتى كسرتة ومزقت ثيابي ولطمت وجهي وقلت : يا سيدي قلع الله عيناً تنظر إليكم بخيانة ، فأنا محبكم ومواليكم وعزيز عليّ ما نالكم وما نزل بكم ، فيا لهفتاه عليكم ، ويا طول تأسفي على ما أصابكم . فقالت : إذا كنت محبنا فلم لا نصرتنا وحاميت عنا؟ قلت : يا سيدي سوء حظي أخرني عن نصرتكم ، فأدخلوهم قصر الإمارة وجرى ما جرى عليهم .

وقال أبو مخنف : قال سهل الشهر زوري : أقبلت في تلك السنة من الحجّ فدخلت الكوفة فرأيت الأسواق معطلة والدكاكين مقفلة ، والناس

ما بين باك وضاحك ، فدنوت إلى شيخ منهم وقلت : ما لي أرى الناس بين باك وضاحك ألكم عيد لست أعرفه ، فأخذ بيدي وعدل بي عن الناس ، ثم بكى الشيخ بكاء عالياً وقال : سيدي ما لنا عيد ، ولكن بكاؤهم والله من أجل عسكرين أحدهما ظافر والآخر مقتول ، فقلت : ومن هذين العسكرين؟ فقال : عسكر الحسين عليه السلام مقتول ، وعسكر ابن زياد لعنه الله ظافر .

ثم قال : وا حرقة قلباه ، وفي هذه الساعة يدخل عليكم كرائم الحسين عليه السلام . قال : فما استم كلامه حتى سمعت البوقات تضرب ، والرايات تخفق ، وإذا بالعسكر قد دخل الكوفة ، وسمعت صيحة عظيمة ، وإذا برأس الحسين صلوات الله عليه يلوح ، والنور يسطع منه ، فخنقتني العبرة لما رأيته ، ثم أقبلت السبايا يقدمهم علي بن الحسين عليهما السلام ، ثم أقبلت من بعده أم كلثوم وعليها برقع خبز أدكن ، وهي تنادي : يا أهل الكوفة غضوا أبصاركم عنا ، أما تستحون من الله ورسوله أن تنظروا إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وهن عرايا . قال : فوقفوا بباب بني خزيمة والرأس على قناة طويلة ، وهو يقرأ سورة الكهف إلى أن بلغ : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ .

قال سهل : فبكيت وقلت : يا بن رسول الله (ص) رأسك أعجب ، ثم وقعت مغشياً علي ، فلم أفق حتى ختم السورة :

قد غصت البيداء بالعيس فوقها كرائم أبناء النبي المكرم
فما في حريم بعدها من تخرج ولا هتك شيء بعدها بمحرم

قال المفيد رحمه الله : ولما وصل رأس الحسين عليه السلام ووصل ابن سعد لعنه الله من غد يوم وصوله ومعه بنات الحسين عليه السلام وأهله عليهم السلام ، جلس ابن زياد لعنه الله للناس في قصر الإمارة ، وأذن

لعنه الله للناس إذناً عاماً ، وأمر بإحضار الرأس ، فوضع بين يديه ، فجعل ينظر إليه ويتبسم وبیده قضيب يضرب به ثناياه عليه السلام .

وروى الصدوق في أماليه بإسناده إلى حاجب عبيد الله بن زياد لعنه الله أنه لما جيء برأس الحسين عليه السلام أمر فوضع بين يديه في طشت من ذهب ، وجعل لعنه الله يضرب بقضيب في يده على ثناياه ويقول : لقد أسرع الشيب إليك يا أبا عبد الله ، فقال رجل من القوم : مه فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يلثم حيث تضع قضيبك ، فقال لعنه الله : يوم بيوم بدر .

قال المفيد رحمه الله : وكان إلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير ، فلما رآه يضرب بالقضيب ثناياه قال له : ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين ، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا أحصيه كثرة يقبلهما ، ثم انتحب^(١) باكياً ، فقال له : يا ابن زياد لعنه الله : أبكى الله عينيك أتبكي لفتح الله ، والله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك ، فنهض زيد بن أرقم من بين يديه وصار إلى منزله .

وفي التبر المذاب^(٢) فنهض زيد وهو يقول : أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة لعنه الله ، والله ليقتلن خياركم وليستعبدن شراركم ، فبعد المن يرضى الذل والعار . ثم قال : يا ابن زياد لأحدثنك حديثاً هو أغلظ عليك من هذا ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أقعد حسناً عليه السلام على فخذه اليمنى والحسين عليه السلام على اليسرى ، ثم وضع يده على يافوخهما وقال : اللهم إني أستودعك إياهما

(١) النحيب رفع الصوت بالبكاء ، نحب ينحِبُ نحاباً إذا أخذته السعال (ص).

(٢) مؤلف كتاب التبر المذاب أحمد بن محمد بن أحمد الخافي الحسيني نسباً والشافعي مذهباً .

وصالح المؤمنين ، فكيف كانت وديعة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله عندك
يا بن زياد .

قال المفيد رحمه الله : وادخل عيال الحسين عليه السلام على ابن
زياد لعنه الله ، فدخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متنكرة وعليها
أردل ثيابها ، فمضت حتى جلست ناحية من القصر ، وحفّ بها إمائها ،
فقال ابن زياد لعنه الله : من هذه التي قد انحازت فجلست ناحية ومعهما
نسائهما؟ فلم تجبه زينب صلوات الله عليها ، فأعاد ثانية وثالثة يسأل عنها ،
فقال له بعض امائها هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى الله عليه
وآله ، فأقبل عليها ابن زياد لعنه الله وقال لها : الحمد لله الذي فضحككم
وقتلكم وأكذب أحدوئتكم ، فقالت زينب سلام الله عليها : الحمد لله
الذي أكرمنا بنبيه محمد صَلَّى الله عليه وآله ، وطهرنا من الرّجس تطهيراً ،
وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله .

وقال ابن زياد لعنه الله : كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟ قالت :
كتب الله تعالى عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله تعالى
بينك وبينهم فتحاجون إليه وتختصمون عنده ، فغضب ابن زياد لعنه الله
واستشاط (١) .

فقال عمرو بن حريث : أيها الأمير إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء
من منطقتها ولا تدم على خطابها ، فقال لها ابن زياد لعنه الله : قد شفى
الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك ، فرقت زينب عليها السلام
وبكت ، وقالت له : لعمرى قد قتلت كهلي (٢) وأبرزت أهلي وقطعت
فرعي ، واجتثت أصلي فإن يشفك هذا فقد اشتفيت ، فقال ابن زياد لعنه
الله : هذه سجاعة ولعمرى لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً . فقالت عليها

(١) استشاط عليه التهب غضباً . شاط فلان أي ذهب دمه هدرأً ، وأشاط دمه أي
عرضه للقتل ، وشاط بمعنى عجل وغضب واستشاط أي احتدم كأنه التهب في
غضبه (ص) .

(٢) الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين وخطه الشيب .

السلام : ما للمرأة والسَّجاعة إن لي عن السَّجاعة شغلاً ، ولكن صدري نفث^(١) بما قلت ، وعرض عليه علي بن الحسين عليهما السلام فقال له : من أنت؟ قال : أنا علي بن الحسين عليه السلام . فقال لعنه الله له عليه السلام : أليس قد قتل الله علي بن الحسين ؟ فقال له علي عليه السلام : قد كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله الناس . فقال ابن زياد لعنه الله : بل الله قَتَلَهُ . فقال علي بن الحسين عليهما السلام : الله يتوفى الأنفس حين موتها ، فغضب ابن زياد لعنه الله . وقال : وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للرد عليّ اذهبوا به فاضربوا عنقه .

قال السيّد رحمه الله : فسمعت به عمّة زينب عليها السلام فقالت : يا ابن زياد إنك لم تبق منّا أحداً غير هذا الصّبي ، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه ، فقال علي عليه السلام لعمّته : اسكتي يا عمّة حتى أكلمه ، ثم أقبل عليه السلام فقال : أبالقتل تهدّدي يا ابن زياد ، أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا الشّهادة .

قال المفيد رحمه الله : فتعلّقت به زينب عمّته وقالت : يا ابن زياد حسبك من دماننا واعتنقتك وقالت : لا والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه ، فنظر ابن زياد لعنه الله إليها وإليه ساعة ثم قال لعنه الله : عجبا للرحم والله إنّي لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه ، دعوه فإنّي أراه لما به ، ثم قام لعنه الله من مجلسه حتى خرج من القصر .

وفي المنتخب قال من حضر : رأيت نارا قد خرجت من القصر كادت تحرقه ، فقام ابن زياد عن سريرته هارباً ودخل بعض بيوته كلّ ذلك ولم يرتدع اللعين عن غيّه وشقاوته .

وفي شرح الشافعية عن أبي مخنف حدثني من حضر اليوم الذي ورد فيه رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد لعنه الله . قال : رأيت نارا قد

(١) النفث شبيه بالنضح وهو أقل من التفل ودم نفثت إذا نفثه الجرح (ص).

خرجت من القصر فقام عبيد الله بن زياد هارباً من سريره إلى أن دخل بعض البيوت ، وتكلم الرأس الشريف بصوت فصيح جهوري يسمعه ابن زياد لعنه الله ، وكل من معه إلى أين تهرب من النارياء ملعون ، لقد عجزت عنك في الدنيا فإنها في الآخرة مثواك ومصيرك . قال : فوقع أهل القصر سجداً لما رأوا من رأس الحسين عليه السلام ، فلما ارتفعت النار سكت رأس الحسين عليه السلام (انتهى) .

وقال أبو مخنف : ثم دعى بخولي الأصبحي وقال له : خذ هذا الرأس حتى أسألك عنه ، فأخذه وانطلق به إلى منزله ، وكان له زوجتان أحديهما مصرية والأخرى تغلبية ، فدخل على المصرية فقالت له : ما هذا الرأس؟ فقال لعنه الله : هذا رأس الحسين . فقالت له : ارجع به ثم أنها أخذت عموداً وأوجعته ضرباً . وقالت : والله ما أنا لك بزوجة وما أنت لي بعل ، فانصرف عنها ومضى إلى التغلبية . وقال لها : خذي هذا الرأس . فقالت له : ما هذا الرأس؟ فقال لعنه الله : هذا رأس خارجي خرج بأرض العراق فقتله عبيد الله بن زياد ، فقالت : وما اسمه ، فأبى أن يعلمها ، ثم تركه تحت طشت وبات عندها . قالت امرأته : سمعت الرأس يقرأ إلى طلوع الفجر ، وكان آخر قراءته : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ ، ثم سمعت حوله دويّاً كدوي الرعد ، فعلمت أنه تسيح الملائكة .

وفي رواية الصدوق رحمه الله بعدما نقلناه ثم أمر بعلي بن الحسين عليهما السلام فغلّ وحمل مع النسوة والسبايا إلى السجن ، وكنت معهم ، فما مررنا بزقاق إلا وجدناه مملؤاً رجالاً ونساءً يضربون وجوههم ويكفون . فحبسوا في سجن وضيق باب السجن عليهم ، ثم إن ابن زياد لعنه الله دعا بعلي بن الحسين عليهما السلام والنسوة وأحضروا رأس الحسين عليه السلام ، وكانت زينب ابنة علي عليه السلام فيهم ، فقال ابن زياد لعنه الله : الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم إلى قوله : فأمر ابن زياد لعنه الله بردهم إلى السجن (الخبر) .

وقال السيد رحمه الله : ثم أمر ابن زياد لعنه الله بعلي بن الحسين عليهما السلام وأهله ، فحملوا إلى دار إلى جنب المسجد الأعظم ، فقالت زينب بنت علي عليه السلام : لا تدخلن علينا عريّة إلا أمّ ولد أو مملوكة ، فإنهنّ سبين وقد سُبينا ، ثم أمر ابن زياد لعنه الله برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سِكَكِ الكوفة ، ويحقّ لي أن أتمثل ههنا بأبيات لبعض ذوي العقول يرثي بها قتيلاً من آل الرسول صلّى الله عليه وآله :

رأس ابن بنت محمد ووصيه	لناظرين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع	لا منكر منهم ولا متفجع
كحلت بمنظرك العيون عماية	واصم رزؤك كل اذن تسمع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى	وانمت عيناً لم تكن بك تهجع
ما روضة إلا تمننت أنها	لك حفرة ولخط قبرك مضجع

ثم قال المفيد رحمه الله : ولما أصبح عبيد الله بن زياد لعنه الله بعث برأس الحسين عليه السلام فدير به في سِكَكِ الكوفة كلّها وقبائلها .

فروي عن زيد بن أرقم أنه قال : مُرّ به عليّ وهو على رمح وأنا في غرفة لي ، فلمّا حاذاني سمعته يقرأ عليه السلام : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ ^(١) ، فقفت والله شعري وناديت رأسك والله يا ابن رسول الله أعجب وأعجب .

وفي تظلم الزهراء عن مسند البتول ^(٢) بإسناده عن الحارث بن وكيدة قال : كنت فيمن حمل رأس الحسين عليه السلام ، فسمعته يقرأ

(١) للرقيم الكتاب وقوله تعالى : ﴿ أصحاب الكهف والرقيم ﴾ يقال : هولوح فيه أسمائهم وقصصهم وذكر عكرمة عن ابن عباس أنه قال : ما أدري ما الرقيم أكتاب أم تبيان ؟ (ص) .

(٢) مسند البتول تأليف الحافظ أبي الحسن علي الدارقطني على ما في البحار ، ويحتمل أن يكون أحمد بن محمد بن جعفر بن أبي الصولي (منه) .

سورة الكهف ، فجعلت أشك في نفسي وأنا أسمع نغمة أبي عبدالله عليه السلام ، فقال لي عليه السلام : يابن وكيدة أما علمت أنا معاشر الأئمة أحياء عند ربنا نرزق . قال : فقلت في نفسي أسرق رأسه ، فنادى عليه السلام : يابن وكيدة ليس لك إلى ذلك سبيل ، سفكهم دمي أعظم عند الله تعالى من تشهيرهم إياي فذرهم فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون .

وفي العوالم عن ابن شهر آشوب عن أبي مخنف عن الشعبي أنه صلب رأس الحسين عليه السلام بالصيادف في الكوفة ، فتنحج الرأس وقرأ سورة الكهف إلى قوله : ﴿ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ .

قال : وفي أثر أنهم لما صلبوا رأسه عليه السلام على الشجر سمع منه ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

قال السيد : ثم إن ابن زياد لعنه الله صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وقال في بعض كلامه : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب ، فما زاد على هذا الكلام شيئاً حتى قام إليه عبدالله بن عفيف الأزدي رحمه الله ، وكان من خيار الشيعة وزهادها ، وكانت عينه اليسرى ذهبت في يوم الجمل ، والأخرى في يوم صفين ، وكان يلزم المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل .

فقال : يابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه يا عدو الله ، أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين . قال : فغضب ابن زياد لعنه الله وقال : من هذا المتكلم؟ فقال : أنا المتكلم يا عدو الله أتقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب عنها الرجس وتزعم أنك على دين الإسلام ، واغوثاه أين أولاد

المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد صَلَّى الله عليه وآله رسول رب العالمين .

قال : فازداد غضب ابن زياد لعنه الله حتى انتفخت أوداجه وقال : عليَّ به ، فتبادرت إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه ، فقامت الأشراف من الأزد من بني عمه فخلصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجوه من باب المسجد وانطلقوا به إلى منزله . فقال ابن زياد لعنه الله : اذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى الأزد أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه ، فأتوني به ، قال : فانطلقوا ، فلما بلغ ذلك الأزد اجتمعوا واجتمع معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم .

قال : وبلغ ذلك ابن زياد لعنه الله فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث فأمرهم بقتال القوم ، قال : فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل بينهم جماعة من العرب ، قال : ووصل أصحاب ابن زياد لعنه الله إلى دار عبدالله بن عفيف فكسروا الباب واقتحموها عليه ، فصاحت ابنته : أذاك القوم من حيث تحذر ، فقال : لا عليك ناولينني سيفي . قال : فناولته إياه فجعل يذب عن نفسه ويقول :

أنا ابن ذي الفضل العفيف الطاهر عفيف شيخي وابن أم عامر
كم دارع من جمعكم وحاسر وبطل جلدته مغادر^(١)

قال : وجعلت ابنته تقول : يا أبت ليتني كنت رجلاً أخاصم بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العبرة البررة . قال : وجعل القوم لعنهم الله يدرون عليه من كل جهة وهو يذب عن نفسه ، فليس يقدم عليه أحد ، كلما جاؤه من جهة قالت ابنته : يا أبة جاؤك من جهة كذا حتى تكاثروا عليه وأحاطوا به ، فقالت ابنته : وا ذلاه يحاط بأبي وليس له ناصر يستعين به ، فجعل يدير سيفه ويقول :

(١) مغادر بضم الميم أي مقاتل وهو صفة لقوله بطل .

أقسم لو يفسح لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري
قال : فما زالوا به حتى أخذوه ، ثم حمل فأدخل على ابن زياد لعنه
الله ، فلمّا رآه قال : الحمد لله الذي أخزأك . فقال له عبدالله بن عفيف :
يا عدوّ الله وبماذا أخزاني الله :

والله لو فرج لي عن بصري ضاق عليك موردي ومصدري
فقال ابن زياد : يا عدوّ الله : ما تقول في عثمان بن عفان؟ فقال :
يا عبد بني علاج يابن مرجانة وشمته ، ما أنت وعثمان بن عفان أساء أم
أحسن وأصلح أم أفسد والله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بينهم وبين
عثمان بالعدل والحق ، ولكن سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه ،
فقال ابن زياد : والله لا أسألك عن شيء أو تذوق الموت . فقال عبدالله بن
عفيف رحمه الله : الحمد لله ربّ العالمين ، أما إنّي قد كنت أسأل الله
ربي أن يرزقني الشهادة قبل أن تلدك أمك ، وسألت الله أن يجعل ذلك
على يدي ألعن خلقه وأبغضهم إليه . فلمّا كفّ بصري يثست من
الشهادة ، والآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها ، وعرفني
الاجابة منه في قديم دعائي . فقال ابن زياد لعنه الله : اضربوا عنقه
فَضْرَبَ عنقه وصلب في السبخة .

وفي المنتخب حكى أنّه لما فرغ عمر بن سعد لعنه الله من حرب
الحُسين عليه السلام وادخلت الرؤوس والأسارى إلى عبيدالله بن زياد جاء
عمر بن سعد ودخل على ابن زياد يريد منه أن يمكنه من ملك الرّي ،
فقال له ابن زياد : ائتني بالكتاب الذي كتبه لك في معنى قتل الحسين
عليه السلام وملك الرّي ، فقال له عمر بن سعد لعنه الله : إنّه والله قد
ضاع مني ولا أعلم أين هو ، فقال ابن زياد لعنه الله : لا بدّ أن تجيئني به
في هذا اليوم ، فإن لم تأتني به فليس لك عندي جائزة أبداً ، لأنّي كنت
أراك مستحيّاً معتذراً في أيام الحرب من عجائز قريش ، ألسنت أنت
القائل :

فوالله ما أدري وإني لصادق أفكر في أمري على خطرين
 أترك ملك الرّي والرّي منيتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
 وهذا كلام معتذر مستحي متردد في رأيه ، فقال عمر بن سعد : والله
 يا أمير لقد نصحتك في حرب الحسين نصيحة صادقة لو ندبني إليها أبي
 سعد لما كنت أدّيت حقّه كما أدّيت حقك في حرب الحسين عليه
 السلام ، فقال عبدالله بن زياد : كذبت يا لكع ، فقال عثمان بن زياد أخو
 عبدالله بن زياد لعنه الله : والله يا أخي لقد صدق عمر بن سعد في مقالته
 وإني لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خزامة إلى يوم
 القيامة ، وأن حسيناً لم يقتل أبداً .

فقال عمر بن سعد : فوالله يابن زياد ما رجع أحد من قتل الحسين
 عليه السلام بشر ممّا رجعت به أنا ، فقال له : وكيف ذلك؟ فقال : لأنني
 عصيت الله وأطعت عبداً الله وخذلت الحسين بن رسول الله (ص) ،
 ونصرت أعداء رسول الله ، وبعد ذلك إني قطعت رحمي ووصلت
 خصمي ، وخالفت ربّي فيا عظيم ذنبي وبأطول كرب في الدّنيا والآخرة ،
 ثم نهض من مجلسه وخرج مغضباً مغموماً وهو يقول : ذلك هو الخسران
 المبين .

قال السيد : وكتب عبدالله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بقتل
 الحسين عليه السلام ، وخبر أهل بيته وكتب أيضاً إلى عمرو بن سعيد بن
 العاص أمير المدينة بمثل ذلك .

قال المفيد : ولما أنفذ ابن زياد برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد
 تقدم إلى عبدالملك بن أبي الحرث السلمي فقال : انطلق حتى تأتي
 عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة فبشره بقتل الحسين عليه السلام ، فقال
 عبد الملك : فركبت راحتي وسرت نحو المدينة ، فلقيني رجل من
 قيس فقال : ما الخبر؟ فقلت : الخبر عند الأمير تسمعه ، فقال : إنا لله
 وإنا إليه راجعون قتل والله الحسين عليه السلام .

ولما دخلت على عمرو بن سعيد قال : ما وراءك؟ فقلت : ما سرّ الأمير لعنه الله قتل الحسين بن علي عليهما السلام . فقال : اخرج فناد بقتله فناديت فلم أسمع والله واعية^(١) قط مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن علي عليهما السلام حين سمعوا النداء بقتله ، فدخلت على عمرو بن سعيد لعنه الله ، فلما رأيته تبسم إليّ ضاحكاً ، ثم أنشأ متمثلاً بقول عمرو بن معدي كرب :

عجّت نساء بني زياد عجة^(٢) كعجيج نسوتنا غداة الأرنب
ثم قال عمرو : هذه واعية بواعية ، ثم صعد المنبر فاعلم الناس بقتل الحسين بن علي عليهما السلام ودعا ليزيد بن معاوية .

وفي العوالم عن صاحب المناقب ، وقال في خطبته : إنها لدمية بلدمة وصدمة بصدمة ، كم خطبة بعد خطبة ، وموعظة بعد موعظة حكمة بالغة فما تغني النذر والله لو ددت أن رأسه في بدنه وروحه في جسده أحياناً كان يسبنا ونمدحه ويقطعنا ونصله كعادتنا ، ولم يكن من أمره ما كان ، ولكن كيف نصنع بمن سل سيفه يريد قتلنا إلا أن ندفعه عن أنفسنا .

فقام عبدالله بن السائب فقال : لو كانت فاطمة حية فرأت رأس الحسين لبكت عليه ، فجبّه عمرو بن سعيد وقال : نحن أحقّ بفاطمة منك ، أبوها عمّا وزوجها أخونا ، وأمّا ابنتنا ، لو كانت فاطمة حية بكت عيناها وحرّت كبدها وما لامت من قتله ودفعه عن نفسه .

ثم قال المفيد رحمه : ودخل بعض موالي عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام فنعى^(٣) إليه ابنه فاسترجع فقال أبو السلاس مولى

(١) الوعي بالتحريك الجلبة والأصوات والواعية المصاوتة (ق) .

(٢) العج رفع الصوت .

(٣) النعي خبر الموت .

عبدالله : هذا ما لقينا من الحسين بن علي عليهما السلام فحذفه عبدالله بن جعفر بنعله . ثم قال : يا ابن اللخنا^(١) اللعين تقول هذا والله لو شهدته لأحببت ألا أفارقه حتى أقتل معه ، والله إنه لمما يسخى بنفسي عنهما ويعزي عن المصاب بهما أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسين له صابرين معه ، ثم أقبل على جلسائه فقال : الحمد لله عز علي مصرع الحسين عليه السلام إن لا أكن آسيت حسيناً بيدي فقد آساه ولدي .

وخرجت أم لقمن بنت عقيل بن أبي طالب عليها السلام حين سمعت نعي الحسين عليه السلام حاسرة ومعها اخواتها أم هاني وأسماء ورملة وزينب بنات عقيل بن أبي طالب رحمة الله عليهم تبكي قتلاها بالطف :

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى ومنهم ضرجوا^(٢) بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
فلما كان الليل من ذلك اليوم الذي خطب فيه عمرو بن سعيد لعنه
الله بقتل الحسين عليه السلام بالمدينة سمع أهل المدينة في جوف الليل
منادياً ينادي يسمعون صوته ولا يرون شخصه :

أيها القاتلون ظلماً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل^(٣)
كل من في السماء يدعو عليكم من نبي وشاهد ورسول
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الإنجيل
وقال ابن نما : قال شهر بن حوشب : بينما أنا عند أم سلمة إذ

(١) اللخنا التي لم تختن .

(٢) ضرجه شقه فانفرج ولطخه والثوب صبغه بالحمرة والأنف بالدم أدماء (ص) .

(٣) نكل به تنكيلاً إذا جعله نكالاً وعبرة لغيره .

دخلت صارخة تصرخ وقالت : قتل الحسين عليه السلام . قالت أم سلمة : فعلوها ملأ الله قبورهم ناراً ووقعت مغشياً عليها .

ثم قال : ومما انفرد به النظري في كتاب الخصائص عن أبي ربيعة عن أبي قبيل ، قيل : سمع بالمدينة في الهواء قائلاً يقول :

يا من يقول بفضل آل محمد	بلغ رسالتنا بغير تواني
قتلت شرار بني أمية سيّداً	خير البرية ماجداً ذا شأن
ابن المفضل في السماء وأرضها	سبط النبي وهادم الأوثان
بكت المشارق والمغارب بعدما	بكت الأنعام له بكل لسان

تذنيب :

يناسب ما مضى أن نذكر ممّا ظهر له من الكرامات .

روى الشيخ الطوسي رحمه الله في الأمالي عن أحمد بن الصلت يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام عن مربية جارية لهم ، قالت : كان عندنا رجل خرج على الحسين عليه السلام ، ثم جاء بجمل وزعفران . قالت : فلما دقوا الزعفران صار ناراً . قالت : فجعلت المرأة تأخذ منه الشيء فتلطّخه على يدها فيصير منه برص ، قالت : ونحروا البعير ، فلما جزّوا بالسكين صار مكانها ناراً . قالت : فجعلوا يسلخونه فيصير مكانه ناراً ، قالت : فقطعوه فخرج منه النار ، قالت : فطبخوه ، فكلمّا أوقدوا النار فارت القدر ناراً . قالت : فجعلوه في الجفنة فصارت ناراً ، قالت : وكنت صبية يومئذ فأخذت عظماً منه فطنيت عليه فوجدته بعد زمان ، فلما حزنناه بالسكين صار مكانه ناراً فعرفنا أن ذلك العظم كما فدفناه .

وقد حكى أن جميع الإبل التي نهبها يوم الطفّ كذا شأنها .

وفي البحار مسنداً عن جميل بن مرّة قال : أصابوا إبلًا في عسكر

الحسين عليه السلام يوم قتل فنحروها وطبخوها ، قال : فصارت مثل العلقم^(١) فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً .

وقد قيل : كان أبو عبدالله عليه السلام أعدّ جملاً لنفسه عليه السلام يحمل عليه خيمته وثقله وهو راحلته التي ركبها ووعظ ابن سعد وقومه ، وكان يوم الواقعة قريباً من المخيم ، فلما صارت الصبيحة وسمع وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال أقبل يمشي إلى أن صار بين القتلى فوقف هناك فجعل تارة ينظرهم وتارة ينظر ميمنة وميسرة ، فقصده ثلاثة فوارس ، ثم ساقوه فتوجّه إلى منازل الخيم ، وكلّما أرادوا منعه عن ذلك الوجه لم يقدروا ، فتبعوه فلمّا وصل إلى مكان خيمة أبي عبدالله عليه السلام فلم يرها التفت إلى جهاته ثم شمّ تلك البقعة وجعل يرغو رغاء عظيماً ، وكلّما ركزوه لم ينبعث وزاد رغاؤه ثم برك في موضعه ، وكأنّه عرف أنّ الخيمة نهبت فجعل يضرب برأسه الأرض ويعضّ بأسنانه صفحته وظهره حتى أدماها ، فلمّا ضعف عن النهوض نحروه في مكانه واقتسموا لحمه ، وقيل : وضعوا على ظهره الخيمة فطأوهم ثم جعلوا طريقه على مصرع الحسين عليه السلام لينظروه ما يفعل ، فلمّا نظر إلى الحسين عليه السلام مطروحاً قصده ووقف عليه وجعل يشمه ويرغو ، فلمّا رآه لم ينهض ولم يتحرّك برك إلى جنبه عليه السلام مظللاً له ، فلمّا أعياى من عظم ما لحقه من رغاؤه وضرب رأسه على الأرض نحروه في مكانه واقتسموا لحمه وطبخوه ، فلم ينضج وقيل : إنّه صار شعلة فأحرق القدر بما فيه .

الرزية الخامسة

فيما وقع من خروج أهل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى الشام

قال السيّد ابن طاووس في كتاب اللّهُوف على أهل الطفوف بعدما

(١) العلقم شجر مرّ ويقال الحنظل ، ولكل شيء مرّ علقم (بحار).

نقلنا عنه سابقاً من كتابة ابن زياد إلى يزيد لعنه الله عليهما وبشارته إياه بقتل الحسين عليه السلام :

وأما يزيد بن معاوية فإنه لما وصل كتاب عبيد الله بن زياد إليه ووقف عليه أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين صلوات الله عليه ورؤوس من قتل معه ، وحمل اثنائه ونسائه وعياله فاستدعى ابن زياد لعنه الله بمحضر بن ثعلبة العائذي ، فسلم إليه الرؤوس والأسارى والنساء ، فسار بهم محضر إلى الشام كما يسار بسبايا الكفار يتصفح وجوههن أهل الأقطار .

وقال المفيد رحمه الله : دفع ابن زياد لعنه الله رأس الحسين عليه السلام إلى زجر بن قيس لعنه الله ودفع إليه رؤوس أصحابه وسرّحه إلى يزيد بن معاوية وانفذ معه أبا بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان في جماعة من أهل الكوفة حتى وردوا بها على يزيد بدمشق .

ثم قال : ثم إن عبيد الله بن زياد لعنه الله بعد انفاذه برأس الحسين عليه السلام أمر بنسائه وصبياناه فجهزوا وأمر بعلي بن الحسين عليهما السلام فغلّ بغلّ في عنقه ، ثم سرّح بهم في أثر الرأس مع محضر بن ثعلبة العائذي وشمر بن ذي الجوشن لعنه الله فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرأس وفي المنتخب أن اللعين دعا بالشمر وخولى وشيث بن زبى وعمرو بن الحجاج عليهم لعنة الله وضم إليهم ألف فارس وزودهم وأمرهم بأخذ السبايا والرؤوس إلى دمشق إلى يزيد وأمرهم أن يشهروهم في كل بلدة يدخلونها .

وفي التبر المذاب ذكر هشام في كتاب السير بإسناده إلى أبي محمد عبد الملك بن هشام النحوي البصري قال : لما أنفذ ابن زياد لعنه الله رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية مع الأسارى موثقين في الحبال مع نساء وصبيان وسبيات من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أفتاب الجمال مكشفات الوجوه والرؤوس ، وكانوا كلما نزلوا

منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعدوه له فوضعوه على رمح وحرسوه إلى حين الرّحيل ، ثم يعيدوه إلى الصندوق وترحلوا .

وفي المنتخب فساروا على الفرات وأخذوا على أول منزل فنزلوا وكان المنزل خراباً ، فوضعوا الرأس بين أيديهم والسبايا معه ، وإذا بكفّ خارج من الحائط وقلم بدم يكتب هكذا :

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب
فلا والله ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة في العذاب

قال : ففرغوا من ذلك وارتاعوا ورحلوا من ذلك المنزل .

قال أبو مخنف : فلما نزلوا القادسيّة أنشأت أم كلثوم تقول :

ماتت رجالي وأفنى الذّهر ساداتي وزادني حشرات بعد لوعات
صالوا اللّثام علينا بعدما علموا أنا بنات رسول بالهدى يأتي
يسironا على الأقتاب عارية كأننا بينهم بعض الغنيمات
يعزّ عليك رسول الله ما صنعوا بأهل بيتك يا خير البريّات
كفرتم برسول الله ويلكم أهداكم من سلوك في الضلالات

ثم قال أبو مخنف : وساروا بالرّؤوس إلى شرقي الجصّاصة ، ثم عبروا على تكريد وكتبوا إلى عاملها بأن تتلقانا بالزاد والعلوفة ، فإنّ معنا رأس الحسين عليه السلام ، فلما قرأ الكتاب أمر بالاعلام فنشرت والبوقات فضربت ، والمدينة فزينت ، وأتت النّاس من كل جانب ومكان ، ثم خرج الوالي فتلقاهم وكان كلّ من سألهم قالوا هذا رأس خارجي خرج على يزيد بن معاوية بأرض العراق ، فقتله عبيد الله بن زياد ، وقد أنفذ برأسه عليه السلام إلى يزيد بن معاوية فقال لهم رجل نصراني أيضاً قوم إنّي كنت بالكوفة وقد قدم هذا الرأس وسألت عن هذا المقتول ، وليس هو رأس خارجي ، بل هو رأس الحسين بن علي وجده محمد المصطفى ، وأمه فاطمة الزّهراء . فلما سمعوا النّصارى بذلك عمدوا إلى النواقيس فضربوها وجمع الرّهبان إليهم عن البيع اعظاماً له .

وقالوا : إنا برئنا من قوم قتلوا ابن بنت نبيهم فبلغهم ذلك ، فلم يدخلوها . ثم رحلوا من تكريت وأخذوا على البرية ، ثم على الأعمى ، ثم على دير عروة ، ثم على صلينا ، ثم على وادي النخلة ، فنزلوا فيها ليلاً وباتوا .

قال : فسمعوا نساء الجن يندبن الحسين عليه السلام وينشدن هذه الأبيات ويقلن :

بنات المصطفى أحمد يكيين شجونات	نساء الجن أسعدن نساء الهاشميات
ويلبسن ثياب السود من عظم المصيبات	يولولن ويندبن بدور الفاطميات
ويندبن حسينا عظمت تلك الرزيات	ويلطمن خدوداً كاللدنانير نقيات

قال : ثم رحلوا من وادي النخلة وأخذوا على ليننا وكانت عاصمة بالناس ، فخرجت المخدرات والكهول والشباب ينظرون إلى رأس الحسين ويصلون عليه وعلى جدّه وأبيه ، ويلعنون من قتله ويقولون يا قتلة أولاد الأنبياء ، اخرجوا من بلدنا فأخذوا على الكحيل وأتوا جهينة وأنفذوا إلى عامل الموصل أن تتلقانا ، فإن معنا رأس الحسين . فلما قرأ الكتاب أمر بالأعلام والمدينة فزينت وتداعت الناس من كل جانب ومكان ، وخرج الوالي فتلقاهم على ستة أميال ، فقال بعض القوم : ما الخبر؟ فقالوا : رأس خارجي خرج بأرض العراق قتله ابن زياد لعنه الله وبعث برأسه إلى يزيد الملعون ، فقال رجل منهم : يا قوم هذا رأس الحسين صلوات الله عليه ، فلما تحققوا ذلك اجتمعوا في أربعين ألف فارس من الأوس والخزرج ، وتحالفوا أن يقتلوهم ويأخذوا منهم رأس الإمام عليه السلام ، ويدفنوه عندهم ليكون فخراً لهم إلى يوم القيامة . فلما سمعوا ذلك لم يدخلوها وأخذوا على تلّ أعفر ، ثم على جبل سبخا ، فوصلوا إلى نصيبين ، فنزلوا بها فشهروا الرؤوس والسبايا . قال : فلما رأت زينب عليها السلام رأس أخيها عليه السلام بكت وأنشأت تقول :

أتشهر ما بين البرية عنوة ووالدنا أوحى إليه جليل

كفرتم برّب العرش ثم نبيّه كأن لم يجثكم في الزّمان رسول
لحاكم إله العرش يا شرّ أمة لكم في لظى يوم المعاد عويل

قال أبو مخنف : وجعلوا يسيرون إلى عين الورد وأتوا إلى قريب دعوات ، وكتبوا إلى صاحب دعوات أن تلقانا ، لأنّ معنا رأس الحسين عليه السلام . فلما قرأ الكتاب أمر بضرب البوقات وخرج فتلقاهم وشهروا الرأس وأدخلوه من باب الأربعين ونصبوه في الرّحبة من زوال الشّمس الظّهر إلى وقت العصر وأهلها طائفة يكون وطائفة يضحكون ، وينادون هذا رأس خارجي خرج على يزيد بن معاوية .

قال : وتلك الرّحبة التي نصب فيها رأس الحسين عليه السلام لا يجتاز فيها أحد وتقضى حاجته إلى يوم القيامة ، وبناتوا لعنهم الله ثملين من الخمر إلى الصباح ، وارتحلوا من الغد ، فعند ذلك بكى علي بن الحسين عليهما السلام وأنشأ صلوات الله عليه يقول :

ليت شعري هل عاقل في الدياجي بنات من فجعة الزمان يناجي
أنا نجل الإمام ما بال حقي ضائع بين عصابة الاعلاج
قال : وأتوا إلى قنسرين وهي عامرة بأهلها ، فلما بلغهم ذلك أغلقوا الأبواب وجعلوا يلعنونهم ويرمونهم بالحجارة ويقولون : يا فجرة يا قتلة أولاد الأنبياء ، والله لا دخلتم بلدنا فرحلوا عنهم .

قال : فبكت أمّ كلثوم سلام الله عليها وأنشأت تقول :

كم تنصبون لنا الأقتاب عارية كأننا من بنات الرّوم في البلد
أليس جدّي رسول الله ويلكم هو الذي ذلكم قصداً إلى الرّشد
يا أمة السّوء لا سقياً لربعكم إلّا العذاب الذي أحنا على كبدي

وفي البحار عن المناقب والنطنزي في الخصائص لما جاؤا برأس الحسين عليه السلام ، ونزلوا منزلاً يقال له قنسرين اطلع راهب من

صومعته إلى الرأس ، فرأى نوراً ساطعاً يخرج من فيه ويصعد إلى السماء ، فأتاهم بعشرة آلاف درهم ، وأخذ الرأس وأدخله صومعته ، فسمع صوتاً ولم ير شخصاً ، قال : طوبى لك وطوبى لمن عرف حرمة . فرفع الراهب رأسه وقال : يا رب بحق عيسى عليه السلام تأمر هذا الرأس بالتكلم معي ، فتكلم الرأس وقال : يا راهب أي شيء تريد؟ قال : من أنت؟ قال : أنا ابن محمد المصطفى ، وأنا ابن علي المرتضى ، وأنا ابن فاطمة الزهراء ، وأنا المقتول بكربلاء ، أنا المظلوم ، أنا العطشان . وسكت فوضع الراهب وجهه على وجهه فقال : لا أرفع وجهي عن وجهك حتى تقول : أنا شفيعك يوم القيامة ، فتكلم الرأس وقال : ارجع إلى دين جدّي محمد صلّى الله عليه وآله . فقال الراهب : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقبل له الشفاعة ، فلما أصبحوا أخذوا منه الرأس والدراهم ، فلما بلغوا الوادي نظروا الدراهم قد صارت حجارة .

وفيه أيضاً عن كتاب المناقب القديم ، روي أنه لما حمل رأسه عليه السلام إلى الشام جنّ عليهم الليل ، فزلوا عند رجل من اليهود ، فلما شربوا وسكروا قالوا : عندنا رأس الحسين عليه السلام . فقال : أروه لي ، فأروه وهو في الصندوق يسطع منه النور نحو السماء ، فتعجب منه اليهودي فاستودعه منهم وقال للرأس : اشفع لي عند جدك ، فأنطق الله الرأس فقال : إنما شفاعتي للمحمديين ولست بمحمدتي ، فجمع اليهودي أقربائه ، ثم أخذ الرأس ووضعه في طشت وصبّ عليه ماء الورد وطرح فيه الكافور والمسك والعنبر . ثم قال لأولاده وأقربائه : هذا رأس ابن بنت محمد صلّى الله عليه وآله ، ثم قال : يا لهفاه حيث لم أجد جدك محمدًا ، فأسلم على يديه ، ثم يا لهفاه حيث لم أجدك حيًا ، فأسلم على يديك ، وأقاتل بين يديك ، فلو أسلمت الآن اشفع لي يوم القيامة ، فأنطق الله تعالى الرأس فقال بلسان فصيح : إن أسلمت فأنا لك شفيع . قاله ثلاث مرّات وسكت . فأسلم الرجل وأقربائه .

قال المجلسي رحمه الله : ولعلّ هذا اليهودي كان راهب قنسرين ،
لأنه أسلم بسبب رأس الحسين عليه السلام ، وجاء ذكره في الأشعار
وأورده الجوهري الجرجاني في مرثية الحسين عليه السلام .

قال أبو مخنف : وأتوا إلى معرة النعمان واستقبلوهم وفتحوا لهم
الأبواب وقدموا لهم الأكل والشرب ، وبقوا بقية يومهم ورحلوا منها ، ونزلوا
شيرز ، وكان فيها شيخ كبير ، فقال : يا قوم هذا رأس الحسين صلوات
الله عليه ، فتحالفوا أن لا يجوزوا في بلدكم ، فلمّا عاينوا ذلك منهم لم
يدخلوها ، وساروا إلى كفر طاب وكان حصناً صغيراً ، فغلقوا عليهم
الأبواب ، فتقدّم إليهم خولى لعنه الله تعالى وقال : أستم في طاعتنا
فاسقونا الماء ، فقال : والله لا نسقيكم قطرة واحدة وأنتم منعمت الحسين
عليه السلام وأصحابه الماء ، فرحلوا منه وأتوا سيّور ، فأنشأ علي بن
الحسين عليهما السلام يقول :

سار العلوج فما ترضى بذا العرب وسار يقدم رأس الأمة الذنب
يا للرجال وما يأتي الزمان به من العجيب الذي ما مثله عجب
آل الرسول على الأقتاب عارية وآل مروان يسري تحتهم نجب

قال : وكان فيها شيخ كبير قد شهد عثمان بن عفان ، فجمع أهل
سيبور المشايخ والشبان ، فقال : يا قوم هذا رأس الحسين بن علي عليهما
السلام قتله هؤلاء الملائع . فقالوا : والله ما يجوز في مدينتنا . فقال
المشايخ : يا قوم إنّ الله تعالى كره الفتنه ، وقد مرّ هذا الرأس في جميع
البلدان ولم يعارضه أحد ، فدعوه يجوز في بلدكم . فقال الشبان : والله لا
كان ذلك أبداً ، ثم عمدوا إلى القنطرة فقطعوها ، فخرجوا عليهم شاكين
في السلاح . فقال لهم خولى لعنه الله : إليكم عنا ، فحملوا عليه
وأصحابه فقاتلوهم قتالاً شديداً فقتلوا من أصحاب خولى لعنهم الله ستمائة
فارس لعنهم الله ، وقتل من الشبان خمسة فوارس رحمهم الله تعالى .

فقال أم كلثوم : ما يقال لهذه المدينة ؟ فقالوا : سيبور . فقالت :
أعذب الله تعالى شرابهم وأرخص أسعارهم ، ورفع أيدي الظلمة عنهم .

قال أبو مخنف : فلو أن الدنيا مملوءة ظلماً وجوراً لما نالهم إلا قسطاً وعدلاً ، ثم ساروا حتى وصلوا حماه فغلقوا الأبواب في وجوههم وركبوا السور وقالوا : والله لا تدخلون بلدنا هذا ولو قتلنا عن آخرنا . فلما سمعوا ذلك ارتحلوا وساروا إلى حمص وكتبوا إلى صاحبها أن معنا رأس الحسين صلوات الله عليه ، وكان أميرها خالد بن النشيط ، فلما قرأ الكتاب أمر بالأعلام فنشرت والمدينة فزيت وتداعى الناس من كل جانب ومكان ، وخرج فتلقاهم على حدّ مسير ثلاثة أميال ، وأشهروا الرأس وساروا حتى أتوا حمص فدخلوا الباب ، فازدحمت الناس بالباب فرموهم بالحجارة حتى قتل بالباب ستة وعشرون فارساً ، وأغلقوا الباب في وجوههم ، فقالوا : يا قوم أكفر بعد إيمان أم ضلال بعد هدى ، فخرجوا ووقفوا عند كنيسة قسيس وهي دار خالد بن النشيط ، فتحالفوا أن يقتلوا خولى لعنه الله تعالى ، ويأخذوا منه الرأس ليكون فخراً لهم إلى يوم القيامة ، فبلغهم ذلك فرحلوا عنهم خائفين ، وأتوا بعلبك وكتبوا إلى صاحبها أن معنا رأس الحسين عليه السلام ، فأمر بالجوار وبأيديهم الدفوف ، ونشرت الأعلام وضربت اليوقات ، وأخذوا الخلق والسكر والسويق ، وباتوا ثملين .

فقال أم كلثوم : ما يقال لهذا البلد؟ فقالوا : بعلبك ، فقالت : أباد الله خضراتهم ولا أعذب الله تعالى شرابهم ، ولا رفع أيدي الظلمة عنهم .

قال أبو مخنف : فلو أن الدنيا مملوءة عدلاً وقسطاً لما نالهم إلا ظلماً وجوراً ، وباتوا تلك الليلة ورحلوا منه وأدركهم الماء عند صومعة راهب ، فأنشأ علي بن الحسين عليه السلام يقول :

هو الزمان فما تفنى عجائبه عن الكرام ولا تهدي مصائبه
 فليت شعري إلى كم تجاز بنا صروفه وإلى كم ذا نجاز به
 يسّرونا على الأقتاب عارية وسائق العيس يحمي عنه غاربه
 كأننا من أسارى الروم بينهم أو كلما قاله المختار كاذبه
 كفرتم برسول الله ويلكم يا أمة السوء قد ضاقت مذاهبه

قال : فلما جنّ عليهم الليل رفعوا الرأس على قناة طويلة إلى جانب الصومعة ، فلما عسعس الليل سمع الراهب للرأس دويًا كدوي الرعد وتسبيحًا وتقديسًا ، واستأنس أنواراً ساطعة ، فاطلع الراهب رأسه من الصومعة فنظر إلى الرأس وإذا هو يسطع نوراً قد لحق النور بعنان السماء ، ونظر إلى باب قد فتح من السماء والملائكة ينزلون كتائباً كتائباً ، ويقولون : السلام عليك يا ابن رسول الله ، السلام عليك يا أبا عبدالله ، فجزع الراهب جزعاً شديداً .

فلما أصبحوا همّوا بالرحيل ، فأشرف الراهب عليهم ونادى : من زعيم القوم؟ فقالوا : خولي بن يزيد الأصبحي لعنه الله تعالى ، فقال الراهب له : وما الذي معكم؟ فقالوا : رأس خارجي خرج بأرض العراق قتله عبيدالله بن زياد . فقال : ما اسمه؟ فقالوا : الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، وأمه فاطمة الزهراء ، وجده محمد المصطفى صلى الله عليه وآله ، وعليهم أجمعين . فقال الراهب : تبّأ لكم ولما جئتم به في طاعته ، فقد صدقت الأخبار في قولها : إنه إذا قتل هذا الرجل تمطر السماء دماً عبيطاً ، وما يكون هذا إلا في قتل نبيّ أو وضيّ نبيّ ، ثم قال : أريد أن تدفعوا إليّ هذا الرأس ساعة واحدة وأردّه عليكم ، فقال خولي لعنه الله : ما كنت بالذي أكشفه إلا عند يزيد بن معاوية وأخذ منه الجائزة ، فقال الراهب : وكم جائزتك؟ فقال : بدرة فيها عشرة آلاف مثقال درهم . فقال الراهب : أنا أعطيك البدرة . فقال : احضر ما ذكرت ، فأحضر الراهب الدراهم ورفعها إليهم ، فدفعوا إلى الراهب

الرأس وهو على القناة ، فجعل الرَّاهِب يقبله ويكي ويَقول : يعزَّ والله عليَّ يا أبا عبدالله أن لا أواسيك بنفسي ، ولكن يا أبا عبدالله إذا لقيت جدك محمد المصطفى فاشهد لي أنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن علياً وليَّ الله ، ورفع الرأس إليهم فجعلوا يقسمون الدَّراهم ، وإذا هي بأيديهم خزف مكتوب عليها : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون ﴾ . فقال خولى لعنه الله لأصحابه : اكنموا هذا الخبر يا ويلكم من الخزي بين النَّاس .

قال سهل : فهتف هاتف ينشد بهذه الأبيات يقول :

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب
وقد غضبوا الإله وخالفوه ولم يخشوه من يوم المآب
ألا لعن الإله بني زياد وأسكنهم جهنم في العذاب

قال : فلمّا سمعوا لعنهم الله ذلك دهشت عقولهم وجدّوا في السير .

وفي المنتخب فسمعوا هاتفاً يقول :

والله ما جئتكم حتى بصرت به بالطف منفر الخدين منحورا
وحوله فتية تدمي نحورهم مثل المصابيح يغشون الدّجى نورا
كان الحسين سراجاً يستضاء به الله يعلم أنني لم أقل زورا

فقلت أم كلثوم عليها السلام : من أنت يرحمك الله تعالى؟ قال : أنا ملك من الجنّ أتيت أنا وقومي لننصر الحسين عليه السلام ، فصادفناه وقد قتل عليه السلام . قال : فلمّا سمعوا بذلك رعبت قلوبهم وقالوا : إنّا علمنا أنّنا من أهل النار بلا شك .

أقول : وفي بعض الكتب القديمة قد روي مرسلاً عن بعض الثّقاة ، عن أبي سعيد الشّامي ، قال : كنت يوماً مع الكفرة اللّثام الذين حملوا الرّؤوس والسّبايا إلى دمشق ، فلمّا وصلوا إلى دير النّصارى وقع بينهم أن نصر الخزاعي قد جمع عسكرياً ويريد أن يهجم عليهم نصف

الليل ويقتل الأبطال ويجندل الشجعان ، ويأخذ الرؤوس والسبايا ، فقال رؤساء العسكر من عظم اضطرابهم : نلجأ الليلة إلى الدير ونجعله كهفاً لنا ، لأن الدير كان محكماً لا يقدر أن يتسلط عليه العدو ، فوقف الشمر لعنه الله وأصحابه على باب الدير وصاح بأعلى صوته : يا أهل الدير ، فجاءه القسيس الكبير ، فلما رأى العسكر قال لهم : من أنتم وما تريدون؟ فقال الشمر لعنه الله : نحن من عسكر عبيد الله بن زياد ، ونحن سائرون إلى الشام ، فقال القسيس : لأي غرض؟ قال : كان شخص في العراق قد تباغى وخرج على يزيد بن معاوية ، وجمع العساكر فبعث عسكرياً عظيماً فقتلوهم ، وهذه رؤوسهم وهذه النسوة سيهم .

قال : فلما نظر القسيس إلى رأس الحسين عليه السلام وإذا بالنور ساطع منه إلى عنان السماء ، فوقع في قلبه هيبة منه ، فقال القسيس : ديرنا ما يسعكم بل ادخلوا الرؤوس والسبايا إلى الدير وحيطوا بالدير من خارج ، فإذا دهمكم عدو قاتلوه ولا تكونوا مضطربين على الرؤوس والسبايا ، فاستحسنوا كلام القسيس وقالوا : هذا هو الرأي ، فحطوا رأس الحسين عليه السلام في صندوق وقفلوه وأدخلوه إلى الدير والنساء وزين العابدين وجعلوهم في مكان يليق بهم .

قال : ثم إن صاحب الدير أراد أن يرى الرأس الشريف ، وجعل ينظر حول البيت الذي فيه الصندوق ، وكان له رازونة ، فحط رأسه فيها فرأى البيت يشرق نوراً ، ورأى أن سقف البيت قد انشق ونزل من السماء تخت عظيم ، وإذا بامرأة أحسن من الحور جالسة على التخت ، وإذا بشخص يصيح : اطرقوا ولا تنظروا وإذا قد خرج من ذلك البيت نساء ، وإذا هن حواء وصفية وأم إسماعيل وراحيل وأم يوسف وأم موسى وآسية ومريم ونساء النبي صلى الله عليه وآله .

قال : فأخرجن الرأس من الصندوق وكل من تلك النساء واحدة بعد واحدة ، يقبلن الرأس الشريف ، فلما وقعت النوبة لمولاتي فاطمة الزهراء

عليها السلام، غشي عليها وغشي صاحب الدَّير، وعاد لا ينظر بالعين بل يسمع الكلام، وإذا بقائلة تقول: السلام عليك يا قاتل الأم، السلام عليك يا مظلوم الأم، السلام عليك يا شهيد الأم، لا يتداخلك هم ولا غم، وإنَّ الله تعالى سيفرج عني وعنك يا بني من ذا الذي فرَّق بين رأسك وجسدك يا بني من ذا الذي قتلك وظلمك يا بني من ذا الذي سبى حريمك، يا بني من الذي أيتَّم أطفالك، ثم إنها بكت بكاء شديداً. فلما سمع الدَّيراني ذلك اندهش ووقع مغشياً عليه.

فلما أفاق نزل إلى البيت وكسَّر الصَّنْدُوق واستخرج الرأس وغسله وحَنَطَه بالكافور والمسك والزعفران، ووضعهُ في قبلته وهو يبكي ويقول: يا رأس من رؤوس بني آدم، ويا كريم، ويا عظيم جميع من في العالم، أَظْنَك من الَّذِينَ مدحهم الله في التوراة والإنجيل، وأنت الذي أعطاك فضل التَّأْوِيل، لأنَّ خواتين السَّادات بني آدم في الدنيا والآخرة يَبْكُون عليك ويندبونك، أنا أريد أعرفك باسمك ونعتك، فنطق الرَّأس بقدرة الله تعالى وقال: أنا المظلوم، أنا المهموم، أنا المغموم، أنا الذي بسيف العدوان والظلم قتلت، أنا الذي بحرب أهل البغي ظلمت، أنا الذي على غير جرم نهبت، أنا الذي من الماء مَنَعْتُ، أنا الذي عن الأهل والأوطان بعدت.

فقال صاحب الدَّير: بالله عليك أيها الرأس زدني، فقال: إن كنت تسأل عن حسبي ونسبي أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن العروة الوثقى، أنا شهيد كربلاء، أنا قاتل كربلاء، أنا مظلوم كربلاء، أنا عطشان كربلاء، أنا ظمآن كربلاء، أنا غريب كربلاء، أنا وحيد كربلاء، أنا سليب كربلاء، أنا الذي خذلوني الكفرة بأرض كربلاء.

قال: فلما سمع صاحب الدَّير من رأس الحسين عليه السلام ذلك جمع تلاميذه وحكى لهم الحكاية وكانوا سبعة رجالاً، فَضَجُّوا بالبكاء

والعويل ورموا العمام عن رؤوسهم ، وشقوا أزياقهم وجاؤا إلى سيدنا زين العابدين عليه السلام وقد قطعوا الزنار وكسروا الناقوس واجتنبوا فعل اليهود والنصارى وأسلموا على يديه ، وقالوا : يا ابن رسول الله مُرْنَا أَنْ نَخْرُجَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَنَقَاتِلَهُمْ وَنَجْلِي صَدَأَ قُلُوبِنَا بِهِمْ وَنَأْخُذَ بِشَارِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فقال لهم الإمام عليه السلام : لا تفعلوا ذلك فإنهم عن قريب ينتقم الله تعالى منهم ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر . فلله در القائل حيث قال :

فيا نكبة هدت قوى دين أحمد وعظم مصاب في القلوب له سعر
أيرتفع الرأس الكريم على القنا ويهدى إلى رجس قد اغتاله الكفر
ويمنع شرب الماء عمداً وكفه به من عطايا جود أنعامه بحر
ويقتل ظماناً كئيباً وجده نبى له الإقبال والعز والنصر
عليك سلام الله ما اعتكر الدجى وما اتضحت شمس وما أشرق البدر

وفي المنتخب قال : ثم ساروا إلى أن قربوا من دمشق ، وإذا بهاتف يقول :

رأس ابن بنت محمد ووصيه يا للرجال على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع لا جازع فيهم ولا متوجع
كحلت بمنظرها الجفون عماتها وأصم رزئك كل إذن تسمع
ما روضة إلا تمننت أنها لك تربة ولحظ جنبك مضجع
منعوا زلال الماء آل محمد وغدت ذياب البر فيه تكرر
عين علاها الكحل فيه تفرقت ويد تصافح في البرية تقطع

قال السيد رحمه الله : فلما قربوا من دمشق دنت أم كلثوم من شمر لعنه الله وكان في جملتهم ، فقالت له : لي إليك حاجة ، فقال الملعون : ما حاجتك؟ قالت : إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة ، وتقدم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل ، وينحونا عنها ، فقد خزيانا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال . فأمر لعنه الله في

جواب سؤالها أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً ، وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة حتى أتى بهم إلى دمشق .

تذيلات فيما وقع من الكرامات وغيرها بين الكوفة والشام

التذيل الأول :

في البحار قال صاحب المناقب والسيد رحمه الله ، واللفظ لصاحب المناقب : روى ابن لهيعة وغيره ، حديثاً أخذنا منه موضع الحاجة ، قال : كنت أطوف بالبيت فإذا أنا برجل يقول : اللهم اغفر لي وما أراك فاعلاً . فقلت له : يا عبدالله اتق الله ولا تقل مثل هذا ، فإن ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق الأشجار فاستغفرت الله تعالى غفرها لك ، فإنه غفور رحيم . قال : فقال لي تعال حتى أخبرك بقصتي فأتيته .

فقال : اعلم أننا كنا خمسين نفرًا مع سار مع رأس الحسين عليه السلام إلى الشام ، وكنا إذا أمسنا وضعنا الرأس في تابوت وشربنا الخمر حول التابوت ، فشرب أصحابي ليلة حتى سكرنا ولم نشرب معهم ، فلما جن الليل سمعت رعداً ورأيت برقاً ، فإذا أبواب السماء قد فتحت ، ونزل آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ونبينا محمد صلى الله عليه وآله ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة ، فدنا جبرئيل من التابوت فأخرج الرأس وضمه إلى نفسه وقبله ، ثم كذلك فعل الأنبياء عليهم السلام كلهم ، وبكى النبي صلى الله عليه وآله على رأس الحسين عليه السلام ، فعزاه الأنبياء عليهم السلام . فقال له جبرئيل : يا محمد إن الله تعالى أمرني أن أطيعك في أمرك فإن أمرتني زلزلت لهم الأرض ، وجعلت عاليها سافلها ، كما فعلت بقوم لوط . فقال النبي صلى الله عليه وآله : لا يا جبرئيل ، فإن معي موقفاً بين يدي الله تعالى يوم القيامة .

قال : ثم صلوا عليه ثم أتى قوم من الملائكة وقالوا : إن الله تبارك

وتعالى أمرنا بقتل الخمسين ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله : شأنكم بهم فجعلوا يضربون بالحرب ، ثم قصدني واحد منهم بحربته ليضربني ، فقلت : الأمان الأمان يا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : اذهب فلا غفر الله تعالى لك . فلما أصبحت رأيت أصحابي كلهم جاثمين رماداً .

ثم قال صاحب المناقب بإسناد آخر فيه زيادة عند قوله ليحمله إلى يزيد ، قال : كل من قتله جفت يده وفيه إذ سمعت صوت برق لم أسمع مثله ، فقيل : قد أقبل محمد صلى الله عليه وآله ، فسمعت صوت صهيل الخيل وقعقة السلاح مع جبرئيل وميكائيل واسرافيل والكروبيين والروحانيين والمقربين .

وفيه شكى النبي صلى الله عليه وآله إلى الملائكة والنبين وقال صلى الله عليه وآله : قتلوا ولدي وقرّة عيني ، وكلهم قبل الرأس وضّمه إلى صدره ، والباقي يقرب بعضها من بعض .

التذييل الثاني :

في بعض الكتب القديمة عن الشيخ المفيد رحمه الله قال : لما رحلوا بالسبايا والرؤوس إلى دمشق وعدل بهم بطريق إلى قصر بني مقاتل ، وكان ذلك اليوم يوماً شديداً الحرّ ، وكانت القربة التي معهم نزفت وأريق مائها ، فاشتدّ بهم العطش ، وأمر ابن سعد لعنه الله عدّة من قومه في طلب الماء ، وأمر بفسطاط فضرب على أربعين ذراعاً ، فجلس هو وأصحابه لعنهم الله ورموا بالسبايا والأطفال على وجه الأرض تصهرهم الشمس ، فأتت زينب عليها السلام إلى ظلّ جمل هناك ، وفي حضنها علي بن الحسين عليهما السلام وقد أشرف على الهلاك من شدّة العطش ويدها مروحة تروحه بها من الحرّ وهي تقول : يعزّ عليّ أن أراك بهذا الحال يا بن أخي ، ثم ذهبت سكينة إلى شجرة هناك وعملت لها وسادة من التراب ونامت عليها ، فما كان إلّا قليل وإذا القوم قد رحلوا .

قال : وكان عديلتها على الجمل اختها فاطمة الصغرى ، فقالت للحادي : أين اختي سكينه ؟ والله لا أركب حتى تأتي بأختي ، فقال لها : وأين هي ؟ قالت : لا أدري أين ذهبت ، فصاح السائق اللعين بأعلى صوته : هلمّي واركبي مع النساء يا سكينه ، فلم تنتبه من التعب وبقيت نائمة ، فلما أضربها الحرّ انتبهت وجعلت تمشي خلفهم وتصرّح : أختي يا فاطمة أأنت عديلتك في المحمل وأنت على الجمل وأنا حافية ، فعطفت عليها أختها وقالت للحادي : والله لئن لم تأتني بأختي لأرم بنفسي عن هذا الجمل وأطالبك بدمي عند جدي رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم القيامة . فقال لها : من تكون اختك ؟ قالت : سكينه التي كان يحبها الحسين عليه السلام حباً شديداً . قال : التي كان يقول فيها : لعمرك إنني لأحبّ داراً تحل بها سكينه والرباب . قالت : نعم ، فرّق لها الحادي وأركبها مع أختها :

رَقَّ لها الشامت ممّا بها ما حال من رَقَّ لها الشامت
التذيل الثالث :

في الكتاب المتقدم ذكره نقل أنه لما وصل الرؤوس والسبي إلى عسقلان أمر رئيسها أن تزين البلد ، وأمر أصحاب اللهو والزهو أن يلعبوا ويضربوا الطبول والعود، وعملوا اللهو وجلسوا في القصور باللهو والطرب ، وكان في تلك البلد رجل تاجر اسمه زير الخزاعي ، وكان واقفاً بالسوق ، فلما رأى الناس فرحين وكلّ منهم يقول للآخر : أيام مباركة عليك . قال لبعضهم : إن هذا الفرح والسرور ما سببه وما سبب تزيين الأسواق ، فقالوا له : كأنك غريب؟ قال : نعم . فقالوا له : اعلم يا هذا أنه كان في العراق جماعة مخالفون ليزيد ولم يبايعوه ، فبعث إليهم عسكرياً فقتلهم ، فهذه رؤوسهم وهذا السبي لهم . فقال زير : أهؤلاء كانوا كفرة أم مسلمين ، ف قيل له : إنهم كانوا سادات الزمان . فقال : ما كان سبب خروجهم على يزيد ؟ فقالوا : إنّ مقدمهم كان يقول : أنا ابن رسول الله

وأنا بالخلافة أحقّ ، فقال : من كان أبوه ومن كانت أمّه وما اسمه؟ فقليل له : يا زريز كان اسمه الحسين ، واسم أخيه الحسن عليهما السلام ، وأمّه فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى ، وأبوه علي المرتضى .

فلما سمع هذا الكلام اسودت الدنيا في عينيه وضاعت مع رجبها عليه ، فجاء قريباً من السبي ، فلما وقعت عينه على مولاي زين العابدين عليه السلام بكى بكاءً شديداً ، وأنّ أنّه عظيمة ، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام : ما لي أراك يا هذا تبكي وجميع أهل البلد في فرح وسرور؟ فقال زريز : يا مولاي أنا رجل غريب وقد وقعت اليوم في هذا البلد المشؤوم ، وأنا تاجر وقد سألت أهل البلد عن فرحهم وسرورهم ، فأجابوني باغ تبأغي على يزيد فقتله وبعث رأسه إلى الشام ونساؤه سبايا . فلما سألته عن اسمه واسم أبيه قالوا : الحسين بن علي بن أبي طالب وجده محمد المصطفى صلّى الله عليه وآله ، فقلت : من كان أحق منه بالخلافة فحمدوا .

فقال مولاي زين العابدين عليه السلام : أرى منك أيها التاجر المعرفة وريح المحبة ، جزاك الله خيراً . فقال : يا سيدي مرني لأخدمك . فقال عليه السلام : قل للذي هو حامل رأس أبي الحسين عليه السلام أن يتقدم على النساء ويعتزل عنهنّ ليتمّ للنساء حجابهنّ ويشتغلوا بالرأس عن النظر إلى النساء ، فمضى زريز من وقته وأعطى حامل الرأس خمسين مثقالاً من الذهب والفضّة وقال له : أريد أن تتقدم إلى قدام ولا تكون بين النساء ، قال : فاعتزل حامل الرأس واستراحت النساء من مدّ النظر إليهنّ ، وعاد الناس يتفرّجون على الرؤوس .

ثم قال زريز : يا سيدي هل لك حاجة؟ فقال : إن كان في رحلك ثياب زائدة فائتني بها ، فمضى زريز وجاء لكلّ واحدة من النساء بثوب وإلى زين العابدين عليه السلام بعمامة .

قال زريز : فبينما نحن في هذا الحال وإذا قد قام زعقات وصياح

في السُّوق ، فتأملت في ذلك وإذا هو الشمر لعنه الله ، فأخذتني الحمية فجئت إليه ولعنته وشتمته ومسكت بلجام فرسه وقلت : لعنك الله يا شمر رأس من الذي وضعته على الرَّمح وهؤلاء النساء والأطفال الذين سلبتهم وسبيتهم أولاد من يكونون ، أركبتهم الجمال بغير وطاء ، قطع الله يديك ورجليك وأعمى قلبك وعينيك ، فصاح الشمر لعنه الله في عسكره أن اضربوه ، فحاطوا به فضربوه وطعنوه واجتمع عليه أهل البلد ورموه بالحجارة حتى وقع مغشياً عليه ، فظنوا أنه قد قتل فتركوه ومضوا .

فلما كان نصف الليل قام زريز وردّ روعه إليه ، وعاد مرةً يحبو ومرةً يتمرغ على الأرض على ظهره وبطنه من شدة الجراح ، ووصل إلى مسجد سليمان النبي عليه السلام ، وإذا هو بأناس رؤوسهم مكشوفة وأزيافهم مشقوقة وأعينهم باكية وقلوبهم محترقة ، فقال لهم زريز : ما بالكم باكين والناس في هذا البلد فرحون مسرورون ؟ فقالوا : أيها القادم علينا من فوج الخوارج ، فإن كنت من المحبين المؤمنين فاجلس وشاركنا في المصيبة ، فقال زريز : حاشا لله أن أكون من أهل الشقاوة ، والآن قد قتلت في محبة الحسين عليه السلام وأهل بيته وما جرى عليهم وعلى نسائهم ، ولكن الله الحافظ حفظني وأراهم الطعن في بدنه ، فاشتغلوا بالبكاء وإقامة العزاء .

التذييل الرابع :

روى القطب الراوندي في الخرائج بإسناده إلى سلمان بن مهران الأعمش ، قال : بينما أنا في الطواف بالموسم إذ رأيت رجلاً يدعو وهو يقول : اللهم اغفر لي وأنا أعلم أنك لا تغفر . قال : فارتعدت لذلك فذنوت منه فقلت : يا هذا أنت في حرم الله وحرم رسوله ، وهذه أيام حرم في شهر عظيم ، فلم تياس من مغفرة الله ؟ قال : يا هذا ذنبي عظيم ، قلت : أعظم من جبل تهامة ؟ قال : نعم . قلت : يوازن الجبال الرواسي ؟

قال : نعم ، فإن شئت أخبرتك . قلت : أخبرني ، قال : اخرج بنا عن الحرم ، فخرجنا منه .

فقال لي : أنا أحد من كان في العسكر الميشوم ، عسكر عمر بن سعد لعنه الله حين قتل الحسين ، وكنت أحد الأربعين الذين حملوا الرأس إلى يزيد لعنه الله من الكوفة ، فلما حملناه على طريق الشام نزلنا على دير النصارى ، وكان الرأس معنا مركوزاً على رمح ، ومعه الأجراس ، فوضعت الطعام وجلسنا لنأكل ، فإذا بكفّ في حائط الدير تكتب :

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب
قال : فجزعنا من ذلك جزعاً شديداً ، وأهوى بعضنا إلى الكفّ ليأخذها فغابت ، ثم عاد أصحابي إلى الطعام ، فإذا الكفّ قد عادت تكتب :

فلا والله ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة في العذاب
فقام أصحابنا إليها فغابت ، ثم عادوا إلى الطعام ، فعادت تكتب :

وقد قتلوا الحسين بحكم جور وخالف حكمهم حكم الكتاب
فامتنعت وما هنأني أكله ، ثم أشرف علينا راهب من الدير ، فرأى نوراً ساطعاً من فوق الرأس ، فأشرف فرأى عسكرياً فقال الراهب للحرّاس : من أين جئتم؟ قالوا : من العراق ، حاربنا الحسين . فقال الراهب : ابن فاطمة بنت نبيكم وابن ابن عمّ نبيكم؟ قالوا : نعم . قال : تبّاً لكم والله لو كان لعيسى بن مريم ابن لحملناه على أحداقنا ، ولكن لي إليكم حاجة . قالوا : وما هي؟ قال : قولوا لرئيسكم عندي عشرة آلاف درهم ورثتها من آبائي يأخذها مني ويعطيني الرأس يكون عندي إلى وقت الرّحيل ، فإذا رحل رددته إليه . فأخبروا عمر بن سعد بذلك . فقال : خذوا منه الدنانير واعطوه إلى وقت الرّحيل ، فجاءوا إلى الراهب فقالوا : هات المال حتى نعطيك الرأس ، فأدلى إليهم جرابين في كلّ جراب

خمسة آلاف درهم ، فدعا عمر لعنه الله بالناقد والوزان فانتقدتها ووزنها ودفعها إلى خازن له وأمر أن يعطى الرأس ، فأخذ الراهب الرأس فغسله ونظفه وحشاه بمسك وكافور كان عنده .

ثم جعله في حريرة ووضعها في حجره ولم يزل ينوح ويبكي حتى نادوه وطلبوا منه الرأس ، فقال : يا رأس والله لا أملك إلا نفسي فإذا كان غداً فاشهد لي عند جدك محمد صلى الله عليه وآله أنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أسلمت على يديك وأنا مولاك . وقال لهم : إنني أحتاج أن أكلم رئيسكم بكلمة وأعطيه الرأس ، فدعا عمر بن سعد لعنه الله فقال : سألتك بالله بحق محمد أن لا تعود إلى ما كنت تفعله بهذا الرأس ولا تخرج هذا الرأس من هذا الصندوق . فقال لعنه الله له : أفعل فأعطاه الرأس ونزل من الدير يلحق ببعض الجبال يعبد الله تعالى ، ومضى عمر بن سعد لعنه الله ففعل بالرأس مثل ما كان يفعل في الأول .

فلما دنى من دمشق قال لأصحابه : انزلوا وطلب من خازنه الجرابين فأحضرت بين يديه فنظر إلى خاتمه ثم أمر أن يفتح فإذا الدنانير قد تحولت خزفاً ، فنظروا في سكتها فإذا على جانبها مكتوب : ﴿ لا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ ، وعلى الجانب الآخر مكتوب : ﴿ سيعلم الذين ظلموا أي متقلب ينقلبون ﴾ ، فقال لعنه الله : إنا لله وإنا إليه راجعون ، خسرت الدنيا والآخرة ، ثم قال لغلمانه : اطرحوها في النهر فطرحتهما ، ورحل إلى دمشق من الغد إلى قوله : وأمر يزيد لعنه الله فادخل الرأس القبة التي بإزاء القبة التي يشرب فيها ، واكلنا بالرأس ، وكل ذلك كان في قلبي ، فلم يحملني النوم في تلك القبة .

فلما دخل الليل واكلنا أيضاً بالرأس ، فلما مضى وهن من الليل سمعت دويّاً من السماء ، فإذا منادٍ ينادي : يا آدم اهبط فهبط أبو البشر ومعه كثير من الملائكة ، ثم سمعت منادياً ينادي : يا إبراهيم اهبط فهبط

ومعه كثير من الملائكة ، ثم سمعت منادياً ينادي : يا موسى اهبط فهبط
ومعه كثير من الملائكة ، ثم سمعت منادياً ينادي : يا عيسى اهبط فهبط
ومعه كثير من الملائكة ، ثم سمعت دويّاً عظيماً ومناد ينادي : يا محمد
اهبط فهبط ومعه خلق كثير من الملائكة ، فأحرق الملائكة بالقبة ، ثم إنَّ
النبي صَلَّى الله عليه وآله دخل القبة وأخذ الرأس منها .

قال : وفي رواية أنَّ محمداً قعد تحت الرأس فانحنى الرّمح ووقع
الرّأس في حجر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، فأخذه وجاء به إلى آدم
عليه السلام ، فقال صَلَّى الله عليه وآله : يا أبي ما ترى ما فعلت أمّتي
بولدي بعدي ، فاقشعر لذلك جلدي ، ثم قال جبرئيل : يا محمد أنا
صاحب الزلازل ، فأمرني لأزلزل بهم الأرض وأصبح بهم صيحة واحدة
يهلكون فيها ، فقال : لا . قال : يا محمد دعني وهؤلاء الأربعين الموكّلين
بالرّأس . قال صَلَّى الله عليه وآله : فدونك . فجعل ينفخ بواحد واحد
فدنا مني فقال : أسمع وترى ، فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله : دعوه
دعوه لا يغفر الله له ، فتركني وأخذوا الرّأس وولّوا ، فافتقد الرّأس من تلك
الليل ، فما عرف له خبر ولحق عمر بن سعد لعنه الله بالرّي فما لحق
بسُلطانه ومحق الله تعالى عمره ، فاهلك في الطّريق .

فقال سليمان الأعمش : قلت للرّجل : تنح عني لا تحرقني ببارك
وولّيت ولا أدري بعد ذلك ما كان من خبره لعنه الله .

الرزية السادسة

في ورود أهل البيت عليهم السلام والصلاة إلى الشام

اعلم أن ما ذكر أبو مخنف في هذا المقام هو قوله : وجدوا في
السّير حتّى دخلوا دمشق ، فرأيت الأسواق معطّلة والنّاس كأنّهم سكارى ،
فأقبل رجل إلى يزيد بن معاوية وقال له : أقر الله عينك أيّها الخليفة ،
فقال لعنه الله : بماذا؟ فقال : برأس الحسين . فقال له يزيد : لا أقر الله

عينيك ، ثم أمر بحبسه وأمر بمائة وعشرين راية وأمرهم أن يستقبلوا رأس الحسين عليه السلام ، فأقبلت الرايات ومن تحتها التكبير والتهليل ، وإذا من تحتها هاتف ينشد ويقول :

جاؤا برأسك يا بن بنت محمد مترملاً بدمائه ترميلاً
لا يوم أعظم حسرة من يومه واره رهناً للمنون قتيلاً
فكأنما بك يا بن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رؤسلاً
ويكبّرون بأن قتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهللاً

قال سهل : ودخل الناس من باب الخيزران ، ودخلت في جماعتهم ، وإذا قد أقبل ثمانية عشر رأساً ، وإذا بالسبايا على المطايا بغير وطاء ورأس الحسين عليه السلام بيد الشمر لعنه الله وهو يقول :

أنا صاحب الرّمح الطويل أنا قاتل الدّين الأصيل
أنا قتلت ابن سيّد الوصيّين وأتيت برأسه إلى يزيد أمير المؤمنين

فقلت أم كلثوم : كذبت يا لعين ابن اللّعين ، ألا لعنة الله على القوم الظّالمين ، يا ويلك تفتخر عند يزيد الملعون ابن الملعون بقتل من ناغاه جبرئيل وميكائيل ، ومن اسمه مكتوب على سرادق عرش ربّ العالمين ، ومن ختم الله بجدّه المرسلين ، وقمع بأبيه المشركين ، فمن أين مثل جدي محمد المصطفى ، وأبي علي المرتضى ، وأمي فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم .

فأقبل عليها خولى لعنه الله وقال : تأبين الشجاعة وأنت بنت الشجاع ، وأقبل من بعده رأس الحرّ بن يزيد الرّياحي ، وأقبل من بعده رأس العباس عليه السلام يحمله قشعم الجعفي لعنه الله ، وأقبل من بعده رأس عون يحمله سنان بن أنس النخعي لعنه الله ، وأقبلت الرؤوس على أثرهم .

قال سهل : وأقبلت جلارية على بعير مهرول بغير وطاء ، وعلى

وجھہا برقع خز أدکن وهي تنادي : وامحمداه واجداه وعلیاه وحسنه
واحسيناه واقيلاه وعباساه وبعد سفره وسوء صباحاه .

قال سهل : فأقبلت إليها فصاحت عليّ فوقعت مغشياً عليّ ، فلما
أفقت من غشوتي دنوت منها وقلت لها : يا سيّدتى لم تصيحين عليّ ؟
فقلت : أما تستحي من الله ورسوله أن تنظر إلى حرم رسول الله صلّى الله
عليه وآله ، فقلت : والله ما نظرت إليكم بريّة ، فقلت لي : من أنت ؟
فقلت : أنا سهل بن سعيد الشهرزوري ، وأنا من موالیکم ومحبيکم ، ثم
أقبلت على علي بن الحسين عليهما السلام وقلت له : يا مولاي هل لك
من حاجة ؟ فقال لي : هل لك من الدّراهم شيء ؟ فقلت : ألف دينار
وألف ورقة . فقال : خذ منها شيئاً وادفعه إلى حامل الرأس وأمره أن يعده
عن النساء حتى يشتغل الناس بالنظر إليه عن النساء .

قال : قال سهل : ففعلت ذلك ورجعت إليه وقلت له : يا مولاي
فعلت الذي أمرتني به ، فقال لي : احشرك الله معنا يوم القيامة ، ثم إن
علي بن الحسين عليهما السلام أنشد يقول :

أقاد ذليلاً في دمشق كأنني من الزنج عبد غاب عنه نصير
وجدي رسول الله في كلّ مشهد وشيخي أمير المؤمنين أمير
فيا ليت لم أنظر دمشق ولم يكن يراني يزيد في البلاد أسير

قال سهل : ورأيت روشناً عالياً فيه خمس نسوة ومعهنّ عجوز
محدوبة الظهر ، فلما صارت بإزاء رأس الحسين عليه السلام وثبت العجوز
لعنها الله تعالى وأخذت حجراً وضربت به ثنايا الحسين عليه السلام ، فلما
رأيت ذلك من هذه الملعونة قلت : اللهم اهلكها واهلكهنّ معها بحق
محمد وآله أجمعين . قال : فما استتم كلامي إلّا وسقط الرّوشن وهلكت
الملعونة واهلكن معها .

أقول : وفي رواية أخرى فلما وصلوا إلى ذلك الرّوشن وجدوا فيه

عجوزاً ملعونة يقال لها : أم هجاء ، ومعها جواربها ، فلما رأت رأس الحسين عليه السلام وهو على قناة طويلة وشيئته مخضوبة بالدماء قالت : ما هذا الرأس المتقدم وما هذه الرؤوس التي خلفه؟ فقالوا لها : هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، وهذه رؤوس أصحابه ، ففرحت فرحاً عظيماً وقالت لجواربها : ناولوني حجراً لأضرب رأس الحسين ، فإن أباه قتل أبي وبعلي ، فناولها بعض الجواري حجراً فضربت به وجه الحسين عليه السلام فأدمته وسال الدم على شيئته ، فالتفتت إليه أم كلثوم فرأت الدم سائلاً على وجهه وشيئته ، فلطمت وجهها وشقت أزياسها ونسدت : وا غوثاه وامصيتاه وامحمداه وا علياه واحسنه واحسيناه ، ثم غشي عليها ، فلما أفاقت قالت : من فعل هذا الفعل بأخي ونور عيني؟ فقيل لها : هذه العجوز . فقالت : اللهم اهجم عليها قصرها واحرقها بنار الدنيا قبل نار الآخرة . قال : فوالله ما استتم كلامها إلا وسقط عليها قصرها وأضربت النار فيه ، فماتوا تَوّاً واحترقوا من ساعتهم لا رحمهم الله تعالى .

وفي البحار عن صاحب المناقب بإسناده عن زيد ، عن آبائه أن سهل بن سعد قال : خرجت إلى بيت المقدس حتى توسّطت الشام ، فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار ، وقد علقوا السور والحجب والدبابج وهم فرحون مستبشرون ، وعندهم نساء يلعبن بالذفوف والطبول ، فقلت في نفسي : لا ترى لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن ، فرأيت قوماً يتحدثون ، فقلت : يا قوم لكم بالشام عيداً لا نعرفه نحن ؟ قالوا : يا شيخ نراك أعرابياً ، فقلت : أنا سهل بن سعد ، قد رأيت محمداً صلى الله عليه وآله ، قالوا : يا سهل ما أعجبك ، السماء لا تمطر دماً والأرض لا تنخسف بأهلها ، قلت : ولِمَ ذاك؟ قالوا : هذا رأس الحسين عليه السلام عترة محمد صلى الله عليه وآله عليه وآله يهدي من أرض العراق . فقلت : وا عجباه يهدي رأس الحسين عليه السلام والناس يفرحون . قلت : من أي باب يدخل ، فأشاروا إلى باب لها يقال : باب الساعات .

قال : فبينما أنا كذلك حتى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً ، فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السنان عليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله ، فإذا أنا من ورائه رأيت نسوة على جمال بغير وطاء ، فدنوت من أولاهم فقلت : يا جارية من أنت؟ فقالت : أنا سكينه بنت الحسين عليه السلام . فقلت لها : ألك حاجة إليّ فأنا سهل بن سعد ممن رأى جدك وسمعت حديثه . قالت : يا سهل قل لصاحب هذا الرأس أن يقدم الرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله .

قال سهل : فدنوت من صاحب الرأس فقلت له : هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمئة دينار . قال : ما هي؟ قلت : تقدم الرأس أمام الحرم ، ففعل ذلك فدفعت إليه ما وعدته (الخبر) .

وفي التبر المذاب فقلت لها : هل لك من حاجة أخرى قالت : نعم ادفع إلينا شيئاً من الثياب نستريح به أبداننا ، فدفعت إليها عمامتي ودفعت إلى كل واحدة منهن قطعة من ثيابي .

وفي المنتخب روي عن سهل بن سعيد الشهر زوري قال : خرجت من شهرزور أريد بيت المقدس ، فصادف خروجي أيام قتل الحسين عليه السلام ، فدخلت الشام فرأيت الأبواب مفتحة والدكاكين مغلقة ، والخيول مسرجة ، والأعلام منشورة ، والرايات مشهورة ، والناس أفواجاً ، قد امتلأت منهم السكك والأسواق ، وهم في أحسن زينة يفرحون ويضحكون ، وقلت لبعضهم : أظنّ حدث لكم عيد لا نعرفه؟ قالوا : لا . قلت : فما بال الناس كافة فرحين مسرورين؟ فقالوا : أغريب أنت أم لا عهد لك بالبلد؟ قلت : نعم فماذا؟ قالوا : فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً . قلت : وما هذا الفتح؟ قالوا : خرج عليه في أرض العراق خارجي فقتله والمّة لله وله الحمد . قلت : ومن هذا الخارجي؟ قالوا : الحسين بن علي بن أبي طالب ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه

وآله . قلت : الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله . قالوا : نعم . قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . إن هذا الفرح والزينة لقتل ابن بنت نبيكم وما كفاكم قتله حتى سمّيتوه خارجياً . فقالوا : يا هذا امسك عن هذا الكلام واحفظ نفسك ، فإنه ما من أحد يذكر الحسين عليه السلام بخير إلا ضربت عنقه ، فسكت عنهم باكياً حزناً .

قال : فرأيت باباً عظيمة قد دخلت فيها الأعلام والطبول ، فقالوا : الرأس يدخل من هذا الباب ، فوقفت هناك ، فكُلما تقدّموا بالرأس كان أشدّ لفرحهم وارتفعت أصواتهم ، وإذا برأس الحسين عليه السلام والنور يسطع من فيه كنور رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، فلطمت على وجهي وقطعت أطماري وعلا بكائي ونحيبي ، وقلت : وا حزنه للأبدان السلية النازحة عن الأوطان المدفونة بلا أكفان ، وا حزنه على الخدّ التريب والشيب الخضيب يا رسول الله ليت عينيك ترى رأس الحسين عليه السلام في دمشق يطاف به في الأسواق ، وبناتك مشهورات على النياق مشققات الذيول والأزياع ، ينظر إليهم شرار الفساق ، أين علي بن أبي طالب عليه السلام يراكم على هذا الحال ، ثم بكيت وبكى لبكائي كل من سمع منهم صوتي ، وأكثرهم لا يفطنون بي لكثرتهم وشدة فرحهم واشتغالهم بسرورهم وارتفاع أصواتهم ، وإذا بنسوة على الأقطاب بغير وطاء ولا ستر ، وقائلة منهنّ تقول : وا محمداً وا علياً وا حسناً وا حسيناً لو رأيتم ما حلّ بنا من الأعداء يا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بناتك أسارى كأنهنّ بعض أسارى اليهود والنصارى ، وهي تنوح بصوت شجيّ يقرح القلوب على الرضيع الصغير ، وعلى الشيخ الكبير ، والمذبوح من القفاء ، ومهتوك الحباء ، العريان بلا رداء ، وا حزناً لما نالنا أهل البيت ، فعند الله نحسب مصيبتنا .

قال : فتعلقت بقائمة المحمل وناديت بأعلى الصوت : السلام عليكم يا آل بيت محمد ورحمة الله وبركاته ، وقد عرفت أنها أم كلثوم

بنت علي عليه السلام ، فقالت : من أنت أيها الرجل الذي لم يسلم علينا أحد غيرك منذ قتل أخي وسيدي الحسين عليه السلام ؟ فقلت لها : يا سيدي أنا رجل من شهرزور اسمي سهل ، رأيت جدك محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وأنا من محبيكم ، قالت : يا سهل ألا ترى ما قد صنع بنا ، أما والله لو عشنا في زمان لم ير محمد صلى الله عليه وآله ما صنع بنا أهله بعض هذا قتل والله أخي وسيدي الحسين عليه السلام ، وسبينا كما تسبى العبيد والإماء ، وحملنا على الأقتاب بغير وطء ولا ستر كما ترى ، فقلت : يا سيدي يعز الله على جدك وأبيك وأمك وأخيك وسبط النبي ، فقالت : يا سهل اشفع لنا عند صاحب المحمل أن يتقدم بالرؤوس ليشتغل النظارة بها عنا ، فقد خزيانا من كثرة النظر إلينا ، فقلت : حباً وكرامة ، ثم تقدمت إليه وسألته بالله وبالغث معه فانتهرني ولم يفعل .

قال سهل : وكان معي رفيق نصراني يريد البيت المقدس ، وهو متقلد بسيف تحت ثيابه ، فكشف الله تعالى عن بصره فسمع رأس الحسين عليه السلام وهو يقرأ القرآن ويقول : ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ الآية ، فأدركته السعادة فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم انتضى سيفه وحمل به على القوم وهو يبكي ، فجعل يضرب فيهم فقتل منهم جماعة كثيرة ، فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله .

فقالت أم كلثوم : ما هذه الصيحة ، فحكيت لها بالحكاية ، فقالت : وا عجباه النصارى يحترمون لدين الإسلام وأمة محمد الذين يزعمون أنهم على دين محمد صلى الله عليه وآله يقتلون أولاده ويسبون حريمه ، ولكن العاقبة للمتقين .

وقال السيد رحمه الله في كتاب الإقبال : رأيت في كتاب المصابيح بإسناده إلى جعفر بن محمد عليهما السلام قال : قال لي أبي محمد بن علي عليهما السلام : سألت أبي علي بن الحسين ، عن حمل يزيد لعنه

الله له ؟ فقال : حملني على بعير يظلع بغير وطاء ، ورأس الحسين عليه السلام على علم ، ونسوتنا خلفي على بغال وأكف^(١) ، والفارطة^(٢) خلفنا وحولنا بالرماح ، إن دمعت من أحدنا عين قرع رأسه بالرمح حتى إذا دخلنا دمشق صاح صائح يا أهل الشام هؤلاء سبأيا أهل البيت .

وفي رواية الشعبي على ما نقل عنه : ثم أشرفت تسع عشرة راية حمراء ، وأشرفت السبأيا مهتكات بلا وطاء ولا غطاء ، ثم أقبل رأس العباس بن علي عليهما السلام يحمله ثعلبة بن مرة الكلبي وهو بيده على رمح طويل وهو ينشد ويقول :

أنا صاحب الرمح الطويل الذي به أصول على الأعداء في حومة الحرب
طعنت به آل النبي محمد لأن بقلبي منهم أعظم الكرب

فقلت أم كلثوم : ويلك أنفتخر بقتل آل بيت محمد ، فعليك لعنة الله تعالى ، فهم أن يضربها بسوطه فخشى على نفسه الخجل من الناس ، ثم أقبل من بعده رأس جعفر بن علي عليه السلام يحمله نمير بن أبي جوشن الضبابي لعنه الله ، وأقبل من بعده رأس محمد بن علي عليه السلام ، ثم أقبل من بعده رأس أبي بكر بن علي عليهما السلام يحمله أنيس بن الحرث البعجي لعنه الله ، وأقبل من بعده رأس علي بن الحسين

(١) فأكف أي اشرف واميل على السقوط ، والأظهر واكفة أي كانت البغال باكاف أي برذعة من غير سرج ،

(٢) افطرت سبق وفي الأمر قصر به وضيعه وعليه في القول أسرف ، وأطرف وفطرت القوم تقدمهم إلى الورود لإصلاح الحوض والفطرت بضمين الظلم والاعتداء والأمر المجاوز فيه الحد ولعل فيه أيضاً تصحيف (عوامل) .

الظاهر أنه من فطرت عليه أي عجل وعدى وجاوز في الأمر نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا ﴾ أي يبادر إلى عقوبتنا ، والمراد حرمتي وشرطتي من أعوان السلطان (الخبر) .

عليهما السلام يحمله مرة بن قيس الهمداني لعنه الله تعالى ، وأقبل من بعده رأس عون بن علي عليه السلام يحمله جابر السعدي ، وأقبل من بعده رأس القاسم بن الحسن عليه السلام يحمله محمد بن الأشعث الكندي لعنه الله تعالى . وأقبل من بعده رأس يحيى بن علي عليه السلام يحمله عمير بن حجاج الكندي ، وأقبل من بعده رأس عبدالله بن عقيل يحمله قيس بن أبي مرة الخزاعي لعنه الله .

ثم أقبل من بعده بقیة الرؤوس .

ثم أقبل رأس الحسين عليه السلام وهو أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله يحمله حواش بن خولى بن يزيد الأصبحي ، وقيل غيره .

وفي أمالي الصدوق رحمه الله قالوا : فلما دخلنا دمشق أدخل بالنساء والسبايا بالنهار مكشفات الوجوه ، فقال أهل الشام الجفاة : ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء ، فمن أنتم؟ فقالت سكينه بنت الحسين عليه السلام : نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله ، واقیموا علی درج باب المسجد حيث تقام السبايا ، وفيهم علي بن الحسين عليه السلام وهو يومئذ فتى شاب .

قال السيد : وجاء شيخ فدنني من نساء الحسين عليه السلام وعياله وهم في ذلك الموضع ، فقال : الحمد لله الذي قتلکم وأهلكکم وأراح البلاد من رجالکم ، وأمكن أمير المؤمنين منکم . فقال له علي بن الحسين عليهما السلام : يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال : نعم . قال : فهل عرفت هذه الآية : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ ، فقال الشيخ : قد قرأت ذلك . فقال علي بن الحسين عليهما السلام له : فنحن القربى يا شيخ ، فهل قرأت في بني إسرائيل : ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ ، فقال الشيخ : قد قرأت ذلك . فقال علي بن الحسين عليه

السلام : فنحن القريبى . يا شيخ فهل قرأت هذه الآية : ﴿ واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن الله خمسه وللرسول ولذي القربى ﴾ ، قال الشيخ : نعم . قال علي عليه السلام : فنحن القريبى يا شيخ ، ولكن هل قرأت هذه الآية : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ ؟ قال الشيخ : قد قرأت ذلك . فقال علي عليه السلام : فنحن أهل البيت الذين خصصنا الله بآية الطهارة يا شيخ .

قال : فبقي نادماً على ما تكلم به ، وقال : بالله إنكم هم ؟ فقال علي بن الحسين عليهما السلام : إنا لنحن هم من غير شك وحق ، جئنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، إنا لنحن هم . فبكى الشيخ ورمى عمامته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد صلى الله عليه وآله من جن وإنس ، ثم قال : هل لي من توبة . فقال له : نعم ، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا . فقال : تائب ، فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل .

أقول : وفي أمالي الصدوق هذه الرواية ، ولكن لم يذكر فيه قتل الشيخ ، ثم وفيه قال الشيخ : اللهم إني أتوب إليك ثلاث مرات ، اللهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد ومن قتلة أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله ، قرأت القرآن فما شعرت بهذا قبل اليوم .

وفي الخرائج عن المنهال بن عمرو قال : أنا والله رأيت رأس الحسين عليه السلام حين حمل وأنا بدمشق ، وبين يديه رجل يقرأ الكهف ، حتى بلغ قوله : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ ، فأنطق الله الرأس بلسان ذرب ذلق ، فقال : اعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملتي .

الرّزية السّابعة

في إدخال الرأس الشريف على يزيد لعنه الله وما يتعلق بهذا المقام ذكر الشيخ فخر الدّين بن طريح النجفي في المنتخب قال: فلما وردوا إلى دمشق جاء البريد إلى يزيد لعنه الله وهو معصّب الرأس ويداه ورجلاه في طشت من ماء حارّ، وبين يديه طبيب يعالجه، وعنده جماعة من بني أمية يحادثونه، فحين رآه قال له: أقرّ الله عينيك بورود رأس الحسين عليه السلام، فنظره شزراً^(١) وقال له: لا أقرّ الله عينيك، ثم قال لعنه الله للطبيب: أسرع واعمل ما تريد أن تعمل.

قال: فخرج الطبيب عنه وقد أصلح جميع ما أراد أن يصلحه، ثم إنّه أخذ كتاباً بعثه إليه ابن زياد لعنهما الله وقرأه، فلما انتهى إلى آخره عضّ على أنامله حتى كاد أن يقطعها، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ودفعه إلى من كان حاضراً، فلما قرأوه قال بعضهم لبعض: هذا ما كسبت أيديكم.

(١) شزر إليه يشزره نظر منه في أحد شقيه، وهو نظر فيه إعراض، أو النظر الغضبان (ق).

في كتاب إكسير العبادات ذكر أن جمعاً قد نسبوا إلى أبي مخنف أنه قال: فسألت عن تعصيب يزيد لعنه الله فقلت: إنّه كان اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام جالساً في مشرف له، فكانت تحت المشرف مغنيات يضربن الدفوف ويرقصن ويلعبن وهو يتفرج عليهن، وقد كان في تلك الساعة أتاه البشير بقتل الحسين عليه السلام، ففرح فرحاً شديداً عظيماً، وأمر الفتيات أن يرفعن أصواتهن بالغناء. قال: فبينما هو في فرحة إذ سقط من المشرف على وجهه إلى الأرض وانكسر رأسه ويده اليمنى ورجله، وسقطت من أضراسه ثمانية وأغابت عنه اليمنى. قال: فلما جرى عليه ذلك انقلب الفرّج ترحاً فرفعته العبيد إلى مجلسه فأمر بإحضار الطبيب فأتاه وداواه وبقي البعض.

وقال المفيد رحمه الله : روى عبدالله بن ربيعة الحميري قال : إني لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زجر بن قيس حتى دخل عليه فقال له يزيد : ويلك ما ورائك وما عندك؟ قال : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره تعالى ، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر رجلاً من أهل بيته وستين من شيعته ، فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا أو ينزلوا على حكم الأمير عبيدالله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال على الاستسلام ، فغدونا عليهم مع شروق^(١) الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام^(٢) القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر ويلوذون^(٣) منا بالأكام^(٤) والحفر ، لوأذاً كما لاذ الحمام من الصقر ، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر^(٥) جزوراً^(٦) ونومة قائل حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مزملة^(٧) ، وخدودهم معفرة ، تصهرهم^(٨) الشمس ، وتسقي^(٩) عليهم الرياح زوارهم العقبان^(١٠) والرخم^(١١) ، فأطرق يزيد لعنه الله هنيهة ثم رفع رأسه وقال : قد كنت أرى من طاعتكم بدون

(١) شرفت الشمس شرقاً وشرقاً طلعت كأشرفت (ص).

(٢) الهامة : الرأس الجمع هام .

(٣) لاذ به لوأذاً وليأذاً التجأ إليه وعاد به (ص) .

(٤) الأكمة التل من السقف من حجارة واحدة ، وهي دون الجبال والموضع الذي يكون أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً (ص) .

(٥) الجزر : القطع .

(٦) الجزور البعير أو خاص بالناقة المجزورة .

(٧) زمل الثوب لطحه بالدم ،

(٨) صهرته الشمس كمنعه طبعه والشمس ألمست دماغه .

(٩) سنت الرياح التراب : أي حملته .

(١٠) العقاب بالضم : طائر معروف جمع أعقب وعقبان .

(١١) الرخم محركة طائر معروف يظل بمرارته سم الحية وغيرها (ق) .

قتل الحسين عليه السلام ، أما لو أتى صاحبه لعفوت عنه .

قال أبو مخنف : وأقبلوا بالرأس الشريف إلى باب الساعات ، وأوقفوه هناك ثلاث ساعات من النهار ، ثم أتوا به إلى يزيد لعنه الله ، وكان مروان بن الحكم لعنه الله جالساً إلى جنبه ، فسألهم كيف فعلتم به؟ فقالوا : جاءنا في ثمانية عشر من أهل بيته ونيف وخمسين من أنصاره ، فقتلناهم عن آخرهم ، وهذه رؤوسهم والسبايا على المطايا ، فجعل مروان بن الحكم لعنه الله يهز أعطافه وأنشأ يقول :

يا حبّذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في المخذين
شفيت نفسي من دم الحسين أخذت ثأري وقضيت ديني

قال سهل : فدخلت مع من دخل لأنظر ما يصنع يزيد لعنه الله ، فأمر بحطّ الرأس عن الرمح وأن يوضع في طشت من ذهب ويغطى بمنديل ديبقي ، ويدخل به عليه ، ففعل ذلك . فلما وضع بين يديه سمع غراباً ينطق فأنشأ يزيد لعنه الله يقول :

أيا غراب البين ما شئت فقل إنما تنذب أسراً منذ فطر
أكل ملك ونعيم زائل وينات الذّهر يلعبن بكلّ
ليت أشياخي ببدر شهدوا وقعة الخرج مع وقع الأسل
لاهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
قد أخذنا من علي ثأرنا وقتلنا الفارس الليث البطل
وقتلنا القرم من ساداتهم لو عدلناه ببدر لاعتدل

قال ابن نما : ونقلت من تاريخ دمشق عن ربيعة بن عمرو الجرشي قال : أنا عند يزيد إذ سمعت صوت محضر يقول : هذا محضر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللّثام الفجرة ، فأجابه يزيد لعنه الله محضر أشر وألام .

وفي رواية المفيد رحمه الله : فأجابه علي بن الحسين عليهما السلام
ما ولدت أم محضر أشر وألام .

وفي البحار وزاد في المناقب : ولكن قبح الله ابن مرجانة قال :
وكان عبدالرحمن بن الحكم قاعداً في مجلس يزيد لعنه الله ، قال : وأنشد
يقول :

لهم بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي النسب الرذل
أمية أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله لبست بذئ نسل

قال يزيد : نعم ، فلعن الله ابن مرجانة إذا قدم عليّ مثل
الحسين بن فاطمة عليهما السلام ، لو كنت صاحبه لما سألتني خصلة إلا
أعطيته إياها ، ولدفت عنه الحنف بكل ما استطعت ، ولو بهلاك بعض
أولادي ، ولكن قضى الله أمراً لم يكن له مردّ .

قال وفي رواية أنّ يزيد أسرّ إلى عبدالرحمن وقال : سبحان الله أفي
هذا الموضع ما يسمعك السكوت .

وفي ذيل خبر سهل بن سعد الذي تقدم صدره عن صاحب
المناقب : ووضع الرأس في حقة ودخلوا على يزيد لعنه الله ، فدخلت
معهم ، وكان يزيد جالساً على السرير وعلى رأسه تاج مكلل بالدرّ
والياقوت ، وحوله كثير من مشايخ قريش ، فلما دخل صاحب الرأس وهو
يقول :

أوقر ركابي فضة وذهباً أنا قتلنا السيد المحجّباً
قتلت خير الناس أمّاً وأباً وخيرهم إذ ينسبون النسباً

قال : لو علمت أنه خير الناس لم قتلته؟ قال : رجوت الجائزة
منك ، فأمر بضرب عنقه ، فجزّ رأسه ووضع رأس الحسين عليه السلام
على طبق من ذهب وهو يقول : كيف رأيت يا حسين .

وقال أبو مخنف بعد نقل كلام من قصّ ليزيد لعنه الله قضايها يوم
الطف وأخبره بها ، ونقل كلام يزيد لعنه الله : كنت أرضى بطاعتكم بدون
قتل الحسين عليه السلام . قال : فسمعت به بنت عبد الله زوجة يزيد لعنه
الله ، وكان يزيد مشغولاً بها . قال : فدعت برداء فردّت بها ووقفت من
وراء السّتر ، وقالت ليزيد : هل عندك من أحد؟ قال : أجل ، فأمر من
كان عنده بالانصراف . وقال : ادخلي فدخلت . قال : فنظرت إلى رأس
الحسين عليه السلام فصرخت وقالت : ما هذا الذي معك؟ فقال لعنه
الله : رأس الحسين بن علي بن أبي طالب .

قال : فبكت وقالت : يعزّ والله على فاطمة عليها السلام أن ترى
رأس ولدها بين يديك ، وإنك يا يزيد لقد فعلت فعلاً استوجبت به اللعن
من الله ورسوله ، والله ما أنا لك بزوجة ولا أنت لي ببعل ، فقال لها : ما
أنت وفاطمة؟ فقالت : بأبيها وبعلها وبنيها هداها الله وألبسنا هذا القميص ،
ويلك يا يزيد بأيّ وجه تلقى الله ورسوله ؟ فقال لها : يا هند دعي هذا
الكلام فما اخترت قتله ، فخرجت باكياً ودخل عليه الشمر لعنه الله تعالى
وجعل يقول :

املاً ركابي فضّة وذهباً أني قتلت السيّد المهدّبا
قتلتُ خير النّاس أمّاً وأباً وأكرم النّاس جميعاً حسباً
سيّد أهل الحرّمين والورى ومن على الخلق معاً متصبّبا
طعنته بالرّمح حتى انقلبنا ضربته بالسّيف كانت عجباً

قال : فنظر إليه يزيد لعنه الله شزراً وقال له : إذا علمت أنّه خير
النّاس أباً وأمّاً فلمَ قتلته ، ملأ الله ركابك ناراً وحطّياً . قال : أطلب بذلك
الجائزة من عندك ، فلكزه يزيد بذيال سيفه وقال : لا جائزة لك عندي ،
فولّى هارباً .

قال المفيد رحمه الله : ولما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد لعنه الله
وفيهما رأس الحسين عليه السلام قال يزيد لعنه الله :

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلمنا
فقال يحيى بن الحكم أخو مروان لعنه الله ما مر ذكره ، فضرب
يزيد لعنه الله في صدر يحيى بن الحكم وقال : اسكت .

وقال أبو مخنف : فجعل يزيد لعنه الله ينكت ثنايا الحسين عليه
السلام وهو ينشد بهذه الأبيات ويقول :

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأصبراً
وأكرم عند الله منّا محلةً وأفضل في كلّ الأمور وأفخراً
عدونا وما العدوان إلا ضلالة عليهم ومن يعدو على الحقّ يخسراً
فإن تعدلوا فاعدل ألقاه آخراً إذا ضمّنا يوم القيامة محسراً
ولكنّا فزنا بملك معجل وإن كان في العقبي ناراً تسعراً

وفي بعض نسخ كتاب أبي مخنف ذكر هذه الأبيات وهي قوله لعنه
الله تعالى :

يا حسنه يلمع باليدين يلمع في طشت من اللّجين
كأنما خفّ بوردين كيف رأيت الضرب يا حسين
شفيت قلبي من دم الحسين أخذت ثأري وقضيت ديني
يا ليت من شاهد في الحنين يرون فعلي اليوم بالحسين

قال : ولم يزل يفجر في فرح وسرور وشرب خمر .

وفي التبر المذاب : وجعل ينكت لعنه الله ثناياه بالقضيب ويقول :

ليت أشياخي ببدر شهدوا وقعة الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

حكى القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد في كتاب الوجهين
والروایتين أنه قال : إن صحّ عن يزيد ذلك فقد كفر بالله وبرسوله لأنّه

أسف على قتل كفار بدر ، ولم يرض بقتلهم وأنكر أمر الله فيهم وفعل الرسول في جهادهم وإن قتل الحسين عليه السلام صواب أو عادله بالكفار وسوى بينهم والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ ، وهل هذا إلا ارتداد عن الدين فلعنة الله على الظالمين الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها ويثس القرار .

ثم إن يزيد لعنه الله زاد في القصيدة بقوله لعنه الله :

لست من خندق إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

قال مجاهد : وهذا نفاق في الدين .

قال الزهري : لما جاءت الرؤوس كان يزيد لعنه الله على منظره
جيرون فأنشد يقول :

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشمس على ربي جيروني
نعب الغراب فقلت صبح أو لا تصح فقد اقتضيت من النبي ديوني

قال مجاهد : فوالله لم يبق أحد في الدنيا إلا سبه ولعنه (انتهى) .

وفي البحار عن المفيد رحمه الله : ثم أقبل يزيد لعنه الله على أهل مجلسه فقال : إن هذا كان يفخر عليّ ويقول : أبي خير من أبي يزيد ، وأمي خير من أمه ، وجدّي خير من جدّه ، وأنا خير منه ، فهذا الذي قتله . فأما قوله بأن أبي خير من أبي يزيد فلقد حاج أبي أباه فقضى الله لأبي على أبيه . وأما قوله : بأن أمي خير من أم يزيد فلمعري لقد صدق أن فاطمة بنت رسول الله خير من أمي . وأما قوله : جدي خير من جدّه ، فليس لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول بأنه خير من محمد .

وأما قوله بأنه خير مني فلعنه لم يقرأ هذه الآية : ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ الخ .

أقول : وفي التبر المذاب ذكر عين القضاة أبو القاسم علي بن محمد السمناني في تاريخه قال : لما وضع رأس الحسين بن علي عليهما السلام بين يدي يزيد بن معاوية ، وكان بيده قضيب فكشف عن شفتيه وثناياه ونكتهما بالقضيب ، وتمثل بالآيات المشهورة :

ليت أشياخي ببدر شهدوا

فراى لعنه الله تغير وجوه أهل الشام ممّا شاهدوا منه لعنه الله ، وثقل عليهم ما جرى على أهل البيت عليهم السلام ، خاف ممّا شاهد من الناس عند ذلك فقال لعنه الله : أتدرون من أين دهي أبو عبد الله الحسين ؟ فقالوا : لا . قال لعنه الله : إنما دهي من حيث الفقه كأنني به وقد قال : أنا خير من يزيد وأبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وجددي خير من جدّه ، وعمي خير من عمّه وخالي خير من خاله ، وأنا فقد رأي رسول الله ووضعتني في حجره ، وجملني على ظهره ، وجعلني ريحانته ، وشهد لي بأنني سيد شباب أهل الجنة ، ودعا لي ونسلي بالبركة ، فأنا أحق بهذا الأمر من يزيد ، ولكن ما لاحظ قوله تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّز من تشاء وتذلّ من تشاء ﴾ .

فسرّي عن وجوه أهل الشام ما كانوا لما سمعوه منه ، وظنّوا أنّ الأمر كما قال لعنه الله ، وليس تأويل الآية ما ذكر ولا أراد الله تعالى ما ذهب الجاهل إليه ، وإنما أراد الباري سبحانه بالملك الذي أضافه إليه ، إنما الملك بالحق والاستحقاق والعدل ، ويعزّز من يشاء بالطاعة التي يطاع بها في الدنيا وفي الآخرة بالجنة والثواب ، ويذلّ من يشاء بالمعصية وقيام الحدّ عليه في الدنيا وفي الآخرة عذاب النار .

وأما التغلب على الملك وأخذه بغير استحقاق فلا يقال إنه داخل في الآية الشريفة ، وقد انتقم الله عز وجل في الدنيا من كل من أعان على قتل الحسين عليه السلام ، وخرج عليه على يد المختار بن أبي عبيدة الثقفي رحمه الله أخذ كل من شهد بقتل الحسين عليه السلام بأقبح المثلات وأشنعها .

وفيه في ذيل خبر سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : فلما دخل صاحب الرأس وضعه بين يديه وقال : املاً ركابي الخ . ما مر ذكره آنفاً ، فأمر يزيد لعنه الله بوضعه على طبق من ذهب ، ثم دعا بالشراب فشرب ، ثم صب جرعة منه على الرأس وقال : كيف رأيت يا حسين ؟ أتزعم أن أباك ساق على الحوض فإذا مررت عليه يومئذ فلا يسقني وتقول : إن جدك حرم آنية الذهب والفضة على الأمة ، ها رأسك على الذهب ويفخر أبوك بأنه قتل الأقران يوم بدر هذا بذاك ، ثم أنشد ارتجالاً يقول لعنه الله :

هلال بدا وهلال أفل كذلك تجري صروف الدؤل
لئن ساءنا أن جيشاً مضى لقد سرنا أن جيشاً قفل
وأنشد غيره لعنه الله :

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

قال : قال أهل العلم : صب الجرعة من الخمر على رأس الحسين عليه السلام واستهزائه بأن علياً ساق على الحوض وأن محمداً حرم الذهب والفضة وشعره في الانتقام من بني أحمد واتراً عن شيوخه الكفرة المقتولين يوم بدر إن صح عنه ذلك ، فهو كافر لأنه ما فعل ذلك إلا وهو منكر لما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وصح عنه من قوله في علي وأهل بيته عليهم السلام ويغضاً لهم والمنكر لما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وعدم التصديق به كافر .

وفيه أيضاً قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الرد على المتعصب العنيد في تصويب فعل يزيد لعنه الله : ليس العجب من قتال ابن زياد لعنه الله الحسين عليه السلام وتسليطه عمر بن سعد لعنه الله على قتله والشمر لعنه الله وحمل الرؤوس إليه ، وإنما العجب صبّ الخمر على رأس الحسين عليه السلام وضربه بالقضيب ثنياه ، وأمر ابن زياد لعنه الله بحمل آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا على أقتاب الجمال وعزمه على دفع فاطمة بنت الحسين عليه السلام للرجل الذي طلبها منه ، وإنشاده لعنه الله : (وليت أشياخي بيدر شهدوا) أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج أليس بإجماع المسلمين أن قتلى المسلمين يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون .

وقول يزيد لعنه الله لفاطمة بنت الحسين عليهما السلام : لي أن أسبيكم لما طلبها الرجل ، وهذا قول لا يقنع لقائله وفاعله باللعنة ، ولو لم يكن في قلبه لعنه الله احقاد جاهلية واضغان بدرية لاحترام الرأس لما وصل إليه ولم يضربه بالقضيب ولا صب عليه جرعة الخمر ، ولكفنه ودفنه وأحسن إلى آل رسول الله صلى الله عليه وآله .

والدليل على صحة ذلك أنه استدعى ابن زياد وشكره على فعله وأعطاه أموالاً جزيلة وتحفاً كثيرة من بيت مال المسلمين ، وقرب مجلسه ورفع منزلته وأدخله على نسائه ، وجعله نديمه ، وسكر ليله . فقال للمغني غنّ ثم أنشد بديهاً :

استقني شربة تروي فؤادي ثم املي فاسق ابن زياد
صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجني أعني حسيناً ومبيد الأعداء والأضداد

قال ابن عقيدة : مما يدل على كفره وزندقته فضلاً عن سبه ولعنته أشعاره التي أفصح فيها بالإلحاد وإبان عن خبث الضمير والاعتقاد .

فمنها قوله في قصيدته التي أولها :

عَلَيْهِ هَاتِي عَلَّيْنِي وَاْعَلْنِي بِذَلِكَ أَنِّي لَا أَحَبُّ التَّنَاجِيَا
حَدِيثَ أَبِي سَفِيَّانٍ قَدَمَا تَمَامَهَا إِلَى أَحَدٍ حَتَّى أَقَامَ الْبَوَاكِيَا
الْأَهَاتِ اسْقِينِي عَلَى ذَاكَ قَهْوَةً تَخَيَّرَهَا الْغَنَسِيُّ كَرَمًا شَامِيَا
إِذَا مَا نَظَرْنَا فِي أُمُورٍ قَدِيمَةٍ وَجَدْنَا حَلَالًا شَرِبَهَا مَتَوَالِيَا
وَأِنْ مَتَّ يَا أُمَّ الْأَحِيمِرِ فَاَنْكَحِي وَلَا تَأْمَلِي بَعْدَ الْفِرَاقِ تَلَاقِيَا
فَبِإِنَّ الَّذِي حَدَّثْتَ مِنْ يَوْمٍ بَعَثْنَا أَحَادِيثَ طَسَمَ تَجْعَلُ الْقَلْبَ سَاهِيَا

وله أيضاً :

مَعْشَرَ النَّدَمَانِ قَوْمُوا وَاسْمَعُوا صَوْتَ الْأَغَانِي
وَاشْرَبُوا كَأْسَ مَدَامٍ وَاتْرَكُوا ذِكْرَ النِّمَعَانِي
شَغَلْتَنِي نَغْمَةُ الْعِيدَانِ عَنْ صَوْتِ الْأَذَانِ
وَتَعَوَّضْتُ عَنِ الْحُورِ خَمُورٍ فِي الدَّنَانِ

روى الصدوق في العيون بإسناده عن الفضل بن شاذان قال :
سمعت الرضا عليه السلام يقول : لما حمل رأس الحسين بن علي عليهما
السلام إلى الشام أمر يزيد لعنه الله فوضع ونصبت عليه مائدة ، فأقبل هو
وأصحابه يأكلون ويشربون الفقاع ، فلما فرغوا أمر بالرأس فوضع في
طشت تحت سريره وبسط عليه رقعة الشطرنج ، وجلس يزيد لعنه الله
يلعب بالشطرنج ويذكر الحسين وأباه وجده صلوات الله عليهم ، ويستهزئ
بذكرهم ، فمتى قمر صاحبه تناول الفقاع فشربه ثلاث مرّات ، ثم صب
فضلته ممّا يلي الطشت من الأرض ، فمن كان من شيعتنا فليثورع من
شرب الفقاع واللعب بالشطرنج ، ومن نظر إلى الفقاع أو الشطرنج فليذكر
الحسين عليه السلام وليلعن يزيد وآل زياد لعنهم الله يمحو الله عز وجل
بذلك ذنوبه ولو كانت كعدد النجوم .

وفيه أيضاً بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال : سمعت أبا

الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام يقول : أول من اتخذ له الفقاع في الإسلام بالشام يزيد بن معاوية ، فأحضر وهو على المائدة وقد نصبها على رأس الحسين بن علي عليهما السلام فجعل يشربه ويسقي أصحابه ويقول لهم : اشربوا فهذا شراب مبارك ، ولو لم يكن من بركته إلا أنا أول ما تناولناه ورأس عدونا بين أيدينا ، ومائدتنا منصوبة عليه ، ونحن نأكله ونفوسنا ساكنة ، وقلوبنا مطمئنة ، فمن كان من شيعتنا فليثورع عن شرب الفقاع ، فإنه شراب من شراب أعدائنا فمن لم يفعل فليس منا .

أقول : وإنما أوردت بعض الروايات مكرراً لكثرة اختلافها .

الرزية الثامنة

في بيان دخول الحرم والسبايا على يزيد وذكر جملة مما وقع في ذلك اليوم من خطبة الصديقة الصغرى ومحاجتها معه لعنه الله

اعلم أنه نقل الشيخ فخر الدين ابن طريح النجفي في المنتخب عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال : لما وفدنا على يزيد بن معاوية أتونا بجبال وربقونا مثل الأغنام ، وكان الحبل بعنقي وعنق أم كلثوم ، وبكتف زينب وسكينة والبنات ، وساقونا ، وكلما قصرنا عن المشي ضربونا حتى وقفونا بين يدي يزيد لعنه الله ، فتقدمت إليه وهو على سرير مملكته .

وفي كتاب الأنوار النعمانية : روي أن الحريم لما ادخلن في السبي على يزيد بن معاوية كان يطلع لعنه الله فيهن ويسأل عن كل واحدة منهن بعينها ، وهن مربقات بحبل طويل ، وزجر بن قيس لعنه الله يجرحهن حتى أقبلت امرأة كانت تستر وجهها بزندها لأنه لم يكن لها خرقه تستر بها وجهها . فقال لعنه الله : من هذه التي ليس لها ستر ؟ قالوا : سكينة بنت

الحُسين عليه السلام . قال : أنت سَكينة؟ فسالت دموعها على خدّها واختنقت بعبرتها فسكت عنها حتى كادت أن تطلع روحها من البكاء ، فقال لها : وما يبكيك؟ قالت : كيف لا تبكي من ليس لها ستر تستر وجهها ورأسها عنك وعن جلسائك ، فبكى يزيد لعنه الله وأهل مجلسه ، ثم قال : لعن الله ابن مرجانة عبيد الله بن زياد ما أقسى قلبه على آل الرسول .

وفي المنتخب نقل أن الحريم لما ادخلن على يزيد بن معاوية كان ينظر إليهنّ ويسأل عن كل واحدة بعينها وهنّ مربقات بحبل طويل ، فقبل : هذه أم كلثوم الكبرى ، وهذه أم كلثوم الصغرى ، وهذه صفية ، وهذه أم هاني ، وهذه رقية بنات علي ، وهذه سَكينة ، وهذه فاطمة بنتا الحسين ، وهذا علي بن الحسين . فالتفت اللّعين إلى سَكينة وقال : يا سَكينة أبوك الذي كفر حقّي وقطع رحمي ، ونازعني في ملكي ، فبكت سَكينة وقالت : لا تفرح بقتل أبي فإنه كان مطيعاً لله ولرسوله ، دعاه إليه فأجابه وسعد عليه السلام بذلك ، وإنّ لك يا يزيد بين يدي الله مقاماً يسألك عنه فاستعد للمائلة جواباً ، وأنّى لك الجواب . قال لها : اسكتي يا سَكينة فما كان لأبيك عندي حقّ .

قال أبو مخنف : فنظر إلى أم كلثوم عليها السلام وقال لعنه الله لها : يا أم كلثوم كيف رأيت ما صنع الله بكم؟ فقالت له : يا ابن الطلقاء هذه حرمك وإمائك من وراء الستور وبنات الرسول على الأقتاب بغير وطء ينظر إليهنّ البرّ والفاجر ، ويتصدق عليهنّ اليهود والنصارى ، فنظر إليها يزيد شزراً فقال له بعض جلسائه : إنّها حرمة لم تؤاخذ فسكن غيظه .

وفي الفصول المهمّة لعلي بن محمد المالكي أنه لما ادخل نساء الحُسين عليه السلام والرأس بين يدي يزيد لعنه الله ، فجعلت فاطمة وسَكينة تتطاوّلان لتنظرا إلى الرأس ، وجعل يزيد يستره عنهما ، فلمّا رأينه صحن وأعلن بالبكاء ، فبكت لبكائهن نساء يزيد لعنه الله وبنات معاوية ،

فولولن وأعلن أصواتهن . قالت فاطمة : بنات رسول الله سبايا ، وكانت سكيئة أحسن شباباً ، فقالت : يا يزيد أيسرك هذا ؟ فقال لعنه الله لهما : والله ما سرني وأني لهذا كاره ، وما أتى عليكن أعظم مما أجد منكن .

وقال السيد رحمه الله : ثم ادخل ثقل الحسين عليه السلام ونسائه ومن تخلف من أهله على يزيد لعنه الله وهم مقرنون في الجبال . فلما وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال قال له علي بن الحسين عليهما السلام : أنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآنا على هذه الصفة ؟ فأمر يزيد لعنه الله بالجبال فقطعت ، ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرون إليه ، فرآه علي بن الحسين عليهما السلام فلم يأكل الرأس بعد ذلك أبداً .

وقال ابن نما : قال علي بن الحسين عليهما السلام : ادخلنا على يزيد لعنه الله ونحن اثني عشر رجلاً مغلولون ، فلما وقفنا بين يديه قلت : ناشدتك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآنا على هذه الحالة ، وقالت فاطمة بنت الحسين عليهما السلام : يا يزيد بنات رسول الله سبايا ، فبكى الناس وبكى أهل داره حتى علت الأصوات ، فقال علي بن الحسين عليهما السلام : وأنا مغلول ، فقلت : أتأذن لي في الكلام ؟ فقال لعنه الله : قل ولا تقل هجراً . قلت : لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر ما ظنك برسول الله لو رآني في الغل^(١) فقال لعنه الله لمن حوله : حلوه .

وقال علي بن إبراهيم في تفسيره : قال الصادق عليه السلام لما ادخل رأس الحسين عليه السلام على يزيد لعنه الله ، وادخل علي بن

(١) الغل : الجامعة الحديدية .

الحسين عليهما السلام وبنات أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان علي بن الحسين عليه السلام مقيداً مغلولاً ، فقال يزيد لعنه الله : يا علي بن الحسين الحمد لله الذي قتل أباك . فقال علي بن الحسين عليهما السلام : لعن الله من قتل أبي ، فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه ، فقال علي بن الحسين عليهما السلام : فإذا قتلتني فبنات رسول الله من يردنهم إلى منازلهم وليس لهم محرم غيري . فقال لعنه الله : أنت تردنهم إلى منازلهم ، ثم دعى بمبرد فأقبل يبرد الجامعة عن عنقه بيده ، ثم قال له : يا علي بن الحسين أتدري ما الذي أريد بذلك؟ قال : بلى تريد لا يكون لأحد علي منة غيرك ، فقال يزيد لعنه الله : هذا والله ما أردت ، ثم قال يزيد لعنه الله : يا علي بن الحسين ما أصاب من مصيبة فبما كسبت أيديكم . فقال علي بن الحسين عليهما السلام : كلاً ما هذه فينا نزلت ، إنما نزلت فينا ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما آتانا منها .

وقال ابن نما : حدث عبد الملك بن مروان قال : لما أتني يزيد لعنه الله برأس الحسين عليه السلام قال : لو كان بينك وبين ابن مرجانة قرابة لأعطاك ما سألت ، ثم أنشد يزيد لعنه الله يقول :

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

قال علي بن الحسين عليهما السلام : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ﴾ الآية .

قال السيد رحمه الله : وأما زينب عليها السلام فلإنها لما رأت أنه هوت إلى جيبها فشقتة ، ثم نادى بصوت حزين يقرع القلوب : يا حسيناه يا حبيب رسول الله ، يا ابن مكة ومنى ، يا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء ، يا ابن بنت المصطفى ، قال : فأبكت والله كل من كان في المجلس ، ويزيد ساكت ، ثم جعلت امرأة من بني هاشم كانت في دار يزيد تنذب

على الحسين عليه السلام وتنادي : يا حبيباه يا سيد أهل بيتاه يا بن محمداه ، يا ربيع الأرامل واليتامى ، يا قاتل أولاد الأعداء .

قال : فأبكت كل من سمعها ، ثم دعا لعنه الله بقضيب خيزران فجعل لعنه الله ينكت به ثانيا الحسين عليه السلام ، فأقبل عليه أبو بردة الأسلمي وقال : ويحك يا يزيد أنتكث بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة عليهما السلام ، أشهد لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله يرشف ثنياه وثنيا أخيه الحسن عليه السلام ويقول : أنتما سيدا شباب أهل الجنة ، فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيراً .

قال : فغضب يزيد لعنه الله وأمر بإخراجه فأخرج سحياً^(١) ، قال : وجعل يزيد لعنه الله يتمثل بأبيات ابن الزبيري^(٢) :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلّوا واستهلّوا^(٣) فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف^(٤) إن لم أتقم من بني أحمد ما كان فعل
قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلسناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

قال : فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام فقالت له : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق

(١) سحبه كمنعه جرّه على وجه الأرض (ق).

(٢) الزبيري والد عبد الله الصباح الشاعر القرشي (ق).

(٣) استهل الهلال ظهر كأهل واهل واستهل بضمتها والشهر ظهر هلاله ولا تقل أهل ، والرجل فرح وصاح (ق).

(٤) خندف كزبرج هي ليلى بنت حلوان بن عمران ، وهي جدة يزيد وامرأة الياس بن مضر كما يفهم من (ق).

الله العظيم . كذلك يقول : ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساؤا السّوأي أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ﴾ ، أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الأسراء ، أن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة . وإن ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك جذلان سروراً حين رأيت الدّنيا لك مستوثقة ، والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا مهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى : ﴿ ولا تحسبنّ الذين كفروا إنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذابٌ مهين ﴾ أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله صلّى الله عليه وآله سبايا قد هتكت ستورهنّ ، وأبديت وجوههنّ ، تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد ، والدّني والشريف ، ليس معهنّ من حماتهنّ حمي ولا من رجالهنّ ولي ، وكيف يرتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه بدماء الشّهداء ، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشّنف والشّنان والاحن والاضغان ، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

فأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منتحياً على ثنايا أبي عبدالله سيّد شباب أهل الجنة تنكّتها بمحضرتك ، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشّافة بإراقتك دماء ذرية محمد صلّى الله عليه وآله ، ونجوم الأرض من آل عبدالمطلب وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ، ولتودن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت . اللهم خذ بحقنا وانتقم من ظالمينا ، واحلل غضبك على من سفك دماننا ، وقتل حماتنا ، فوالله ما قرّبت إلّا جلدك ، ولا جزرت إلّا لحملك ، ولتردن على رسول الله صلّى الله عليه وآله بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته حيث يجمع الله شملهم ويلمّ شعثهم ويأخذ لهم بحقهم .

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

وحسبك بالله حاكماً وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من سؤل لك ومكنك من رقاب المسلمين ، بش للظالمين بدلاً ، وأينا شر مكاناً ، وأضعف جنداً ، ولئن جرّت علي الدّواهي مخاطبتك أنّي لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعتك ، وأستكبر توبيخك ، لكنّ العيون عبرى ، والصّدور حرى ، ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنظف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطّواهر الزّواكي تتأبها العواسل ، وتعفرها أمهات الفراعيل ، ولئن اتّخذتنا مغنماً لتجد بنا وشيكاً مغرمّاً حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك ، وما ربك بظلام للعبيد ، إلى الله المشتكى وعليه المعول ، فكّد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله ما تمخو ذكرنا ولا تميت وحيّنا ولا تدركنا أمدنا ، ولا يدحض عنك عارها ، وهل رأيك إلّا فند وأيامك إلّا عدد ، وجمعك إلّا بدد ، يوم ينادي المناد ألا لعنة الله على الظالمين ، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسّعادة والمغفرة ، ولآخرنّا بالشّهادة والرّحمة ، ونسأل الله تعالى أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة إنّه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فقال يزيد لعنه الله :

يا صبيحة تحمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح
هذا والمحاجة التي نقلها الطبرسي عنها سلام الله عليها في
الاحتجاج قريبة بهذه المحاجة التي نقلناها عن السيّد إلّا أنّها تخالفها في
بعض المضامين والألفاظ ، ولذا نرويها بخصوصها .

فأقول : قال رحمه الله : روى شيخ صندوق من مشايخ بني هاشم
وغيره من النّاس أنّه لما ادخل علي بن الحسين عليهما السلام وحرمه على

يزيد لعنه الله لعنة دائمة إلى يوم القيامة ، جيء برأس الحسين صلوات الله وسلامه عليه ، ووضع بين يديه في طشت ، فجعل يضرب ثناياه^(١) بمخضرة كانت في يده ، وهو لعنه الله يقول :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
ليت أشياخ ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
فقامت إليه زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام ، وأنها
فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على جدي سيد المرسلين ،
صدق الله سبحانه كذلك يقول : ﴿ ثم كان عاقبة الذين أسأوا السوأى أن
كذبوا بآيات الله وكانوا بأيأتنا يستهزؤن ﴾ .

أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وضيق علينا آفاق
السماء ، فأصبحنا لك في إسمار الذل نساق إليك سوقاً في قطار ، وأنت
علينا ذو اقتدار ، أن بنا من الله هواناً وعليك منه كرامة وامتناناً ، وأن ذلك
لعظم خطرك وجلالة قدرك ، فشمت^(٢) بأنفك ، ونظرت في عطفك ،
تضرب أصدريك^(٣) فرحاً ، وتنفض مذرويك^(٤) مرحاً حين رأيت الدنيا لك

(١) الثنية من الأضراس الأربعة التي في مقدم الفم اثنتان من فوق واثنتان من أسفل (ق) .

(٢) شمت الرجل بأنفه تكبر .

(٣) في حديث الحسن يضرب أصدريه أي منكبيه ويروى بالسَّين والزَّاء وقد تقدما
(نهاية) .

(٤) المذرويان أطراف الاليتين ولا واحد لهما لأنه لو كان واحدهما ملزماً على ما
يزعم أبو عبيدة لقالوا في الثنية مذريان لأن المقصود إذا كان على أربعة أحرف
يشي بالياء على كل حال نحو ملقى وملقيان ، والمذروان من القوس الموضوعان
للذان تقع عليهما الوتر من أعلى وأسفل ولا واحد لهما ، وقولهم جاء فلان ينفض
بمذرويه إذا جاء باغياً يتهدد (ص) .

مستوثقة ، والأمور لديك متسقة ، وحين صفى لك ملكنا وخلص لك سلطاننا فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً ، أنسيت قول الله عز وجل : ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ .

وقال عز من قائل : ﴿ ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي^(١) لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴾ .

أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك ، وإمائك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن تحدوا^(٢) بهن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن^(٣) أهل المنافل^(٤) ، ويبرزن لأهل المناهل^(٥) ، ويتصفح^(٦) وجوههن الغريب والبعيد ، والغائب والشهيد ، والشريف والوضيع ، والذني والرفيع ، ليس معهن من رجالهن ولي ، ولا من حماتهن حميم ، عتوا منك على الله وجحوداً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ودفعاً لما جاء به رسول الله (ص) من عند الله ، ولا غرو منك ولا عجب من فعلك ، وأنتى يرتجي ممن لفظ فوه أكباد الشهداء ، ونبت لحمه بدماء السعداء ، ونصب الحرب لسيّد الأنبياء وجميع الأحزاب ، وشهر الحراب^(٧) وهز^(٨) السيوف في وجه الرسول صلى الله عليه وآله أشدّ العرب لله جحوداً ، وأنكرهم له رسولاً ،

(١) أملى الله له : أمهله وطول الله له .

(٢) حدا الإبل وبها حدوا وحداء زجرها وساقها (ق) .

(٣) استشرفت الشيء دققت البصر ، انظر إليه (ص) .

(٤) المتفلة كمرحلة السفرزنة ومعنى الطريق في الجبل .

(٥) المنهل الموضع الذي فيه المشرب .

(٦) صفح في الأمر نظر كتصفح (ق) .

(٧) ترحبية وأريحية بمعنى من حاربه محاربة وحراباً (ق) .

(٨) هزرت الشيء هزاً فانتهاز أي حركته (ص) .

وأظهرهم له عدواناً ، وأعتاهم على الرب كفرةً وطغياناً ، ألا إنها نتيجة خلال^(١) الكفر، وصبّ تجرجر^(٢) في الصدر لقتلى يوم بدر فلا يستبطأ في بغضنا أهل البيت من كان نظره إلينا شنفاً^(٤) وشناناً واحناً^(٥) واضغاناً يظهره برسوله ، ويفصح ذلك بلسانه وهو يقول فرحاً بقتل ولده وسبي ذريته غير متحوب ، ولا مستعظم يهتف بأشياخه :

لأهلوا واستهلوا فرحاً ولقالوا يا يزيد لا تشل

منتحباً على ثنایا أبي عبدالله عليه السلام ، وكان مقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ينكتها^(٦) بمحضرتها ، قد التمع السرور بوجهه ، لعمرى لقد نكأت^(٧) القرحة ، واستأصلت الشافة^(٨) بإراقتك دم سيد شباب أهل الجنة وابن يعسوب الدين والعرب ، وشمس آل عبدالمطلب ، وهتف بأشياخك وتقربت بدمه إلى الكفرة من أسلافك .

ثم صرخت بندائك ولعمرى لقد ناديتهم لو شهدوك ، ووشيكاً تشهدهم ولن يشهدوك ، ولتود يمينك كما زعمت شلت منك ما شيء عن مرفقها ، وجذت وأحييت أمك لم تحملك ، وأباك لم يلدك حين تصير إلى سخط الله ومخاصمك رسول الله . اللهم خذ بحقنا وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك على من سفك دمائنا ، ونقض ذمارنا ، وقتل حماتنا ،

(١) الخلة الخصلة جمع خلال (ق).

(٢) الوصب داء في مرفق البعير وورم في صدره وآخره في حفيه (ق).

(٣) الجرجرة صوت يردده البعير في حنجرتة (ص).

(٤) الشنف النظر إلى الشيء كالكاره (ق) ، شناناً أبغضه (ق).

(٥) نحاه ينحوه وينحاه قصده كانتحاه (ق).

(٦) النكت أن تضرب في الأرض بعقب فيؤثر فيها (ق).

(٧) نكأت القرحة كمنع قشرها قبل أن تبرأ فندبت (ق).

(٨) الشافة قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب وإذا قطعت مات صاحبها .

أصل واستأصل شافته أذهبه كما تذهب تلك القرحة ومعناه أزاله من الأصدقاء .

وهتك عنا سدولنا^(١) وفعلت فعلتك وما فريست الآ جلدك وما خرزت^(٢) الآ لحملك ، وستررد على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحملت من دم ذريته ، وانتهكت من حرمة ، وسفكت من دماء عترته ولحمته حيث يجمع به شملهم ، ويلم به شعثهم^(٣) ، وينتقم من ظالمهم ، ويسأخذ لهم بحقهم من أعدائهم ، فلا يستفزك الفرح بقتلهم .

فقال عز وجل : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، وحسبك بالله ولياً وحاكماً ، وبرسول الله خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً^(٤) ، وسيعلم من بؤاك الآن ومكنك من رقاب المسلمين أن بش للظالمين بدلاً وأينا شر مكاناً ، وأضل سبيلاً ، وما استصغاري قدرك ، ولا استعظامي تقريعتك ، توهما لانتجاع^(٥) الخطاب فيك بعد أن تركت عيون المسلمين به عبرى^(٦) وصدورهم عند ذلك حرى ، فتلك قلوب قاسية ونفوس طاغية ، وأجسام محشوة بسخط الله ولعنة الرسول ، قد عشش^(٧) فيها الشيطان ، وفرخ هناك مثلك ما درج^(٨) ونهض^(٩) فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء ، وأسباط الأنبياء ، وسليل الأوصياء بأيدي الطلقاء الخيثة ، ونسل العهرة الفجرة ،

(١) السدل بالضم والكسر السرج اسدال وسدول (ق) .

(٢) خرز الخف يخرزه ويخرز كنه (ق) .

(٣) لم شعته أي جمع ما تشتت وتفرق من أموره .

(٤) الظهير المعين ومنه قوله تعالى : ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهراً ﴾ (ص) .

(٥) تنجع الوعظ والخطاب فيه دخل وأشر كما نجع وينجع (ق) .

(٦) عبرت عينه واستعبرت أي دمعت .

(٧) عش الطائر موضعه الذي يجمع فيه من دفاق العيدان وغيرها (ص) .

(٨) درج درجاً ودرجناً مشى (ق) .

(٩) نهض الطائر إذا بسط جناحيه ليطير .

والناهض فرخ الطائر الذي وفر جناحيه ونهض للطيران (ص) .

تنظف أكفهم من دماثنا، وتتحلب^(١) أفواههم من لحومنا، والجثث^(٢) الزاكية على الجيوب^(٣) الضاحية^(٤) تتابها العواسل^(٥) وتعفوها^(٦) الفراعل^(٧) فلئن اتخذتنا مغنماً لتجد بنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى والمعول، وإليه الملجأ والمؤمل، ثم كد كيدك وأجهد جهدك، فوالذي شرفنا بالوحي والكتاب والنبوة والانتجاب، لا تدرك أمدنا ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا، ولا يدحض عنك عارنا، وهل رأيك إلا فند، وآيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعن الظالم العادي، والحمد لله الذي ختم لأوليائه بالسعادة، وحكم لأصفيائه ببلوغ الإرادة، ونقلهم إلى الرحمة والرأفة، والرضوان والمغفرة، ولم يشق بهم غيرك، ولا ابتلى بهم سواك، ونسأله أن يكمل لهم الأجر، ويجزل لهم الثواب والدخر، ونسأله حسن الخلافة، وجميل الإنابة، إنه رحيم ودود.

فقال يزيد لعنه الله مجيباً لها:

يا صيحة محمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح
ثم أمر بردهم

(١) الحلب محرك استخراج ما في الضرع من اللبن (ق).

(٢) جثة الإنسان شخصه (ق).

(٣) الجيوب الأرض أو وجهها أو غليظها أو التراب (ق).

(٤) ضاحية كل شيء ناحيته البارزة (ص).

(٥) في حديث عمر أنه قال لعمر بن معدي كرب عليك العسل هو من العسلان مشي الذئب واهتزاز الرمح يقال عسل يعسل عسلاً وعسلاناً أي عليك بسرعة المشي (نهاية).

(٦) قوله: تعفوها أي تركها من العفو أي لا يأكل الأجسام الزكية.

(٧) الفراعل أي الضباع وفي نسخة مصححة تعفرها الفراعل بالراء المهملة بدل الواو من التعفير أي تمرغها الضباع من عفره تعفيراً أي مرغه والذي في الكتاب هو الأنسب

وذكر الشيخ في المنتخب وقال: نقل أنه لما دعي يزيد لعنه الله يسبي الحسين عليه السلام وعرضوا عليه قالت له زينب بنت علي عليهما السلام: يا يزيد أما تخاف الله سبحانه من قتل الحسين عليه السلام، أما كفاك حتى تستحث حرم رسول الله (ص) من العراق إلى الشام، وما كفاك انتهاك حرمتهم حتى تسوقنا إليك كما تساق الإمام علي المطايا بغير وطء من بلد إلى بلد. فقال لها يزيد عليه اللعنة: إن أخاك قال: أنا خير من يزيد، وأبي خير من أبيه، وأمي خير من أمه وجدي خير من جده، وقد صدق في بعض وألحف في بعض، أما جده رسول الله (ص) فهو خير البرية، وأما أن أمه خير من أمي، وأباه خير من أبي، كيف ذلك وقد حاكم أبوه أبي ثم قرأ لعنه الله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ الآية.

فقالت عليها السلام: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾، ثم قالت عليها السلام: يا يزيد ما قتل الحسين عليه السلام غيرك ولولاك لكان ابن مرجانة لعنه الله أقل وأذل، أما خشيت من الله بقتله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه الحسن والحسين عليهما السلام سيّد شباب أهل الجنة، فإن قلت لا فقد كذبت، وإن قلت نعم فقد خصمت نفسك. فقال يزيد لعنه الله: ذرية بعضها من بعض، وبقي خجلان وهو مع ذلك لا يرتدع عن غيّه، وييده قضيب ينكث ثنايا الحسين عليه السلام.

قال أبو مخنف: قال سهل: فخرجت جارية من قصر يزيد لعنه الله فرأته ينكث ثنايا الإمام عليه السلام فقالت: قطع الله يديك ورجليك أتنتكث ثنايا طال ما قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها: قطع الله رأسك ما هذا الكلام، فقالت له: اعلم يا يزيد أنني كنت بين النوم واليقظة إذا نظرت إلى باب من السماء وقد فتح، وإذا أنا بسلم من نور قد نزل من السماء إلى الأرض، وإذا بغلامين أمردين عليهما ثياب خضر وهما

ينزلان على ذلك السلم ، وقد بسط لهما في ذلك الحال بساط من زبرجد الجنة ، وقد أخذ نور ذلك البساط من المشرق إلى المغرب ، وإذا برجل رفيع القامة مدور الهامة قد أقبل يسعى حتى جلس في وسط ذلك البساط ونادى : يا أبي آدم اهبط ، فهبط رجل دري اللون طويل ، ثم نادى : يا أبي سام اهبط ، فهبط . ثم نادى : يا أبي إبراهيم اهبط فهبط ، ثم نادى : يا أبي إسماعيل اهبط فهبط ، ثم نادى يا أخي موسى اهبط فهبط ، ثم نادى يا أخي عيسى اهبط فهبط ، ثم رأيت امرأة واقفة وقد نشرت شعرها وهي تنادي : يا أمي حواء اهبطي ، يا أمي خديجة اهبطي ، يا أمي هاجر اهبطي ، يا اختي سارة اهبطي ، يا اختي مريم اهبطي ، وإذا هاتف من الجن يقول : هذه فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة محمد المصطفى زوجة علي المرتضى عليه السلام ، أم سيد الشهداء المقتول بكربلاء ، ثم أنها نادت يا أبتاه ألا ترى إلى ما فعلت أمك بولدك الحسين عليه السلام ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله بكاء شديداً ، وأقبل وقال : يا آدم ألا ترى إلى ما فعل الطغاة بولدي الحسين من بعدي لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة ، فبكى آدم عليه السلام بكاء شديداً ، وبكى كل من كان حاضراً حتى بكت الملائكة لبكائهم ، ثم رأيت رجالاً كثيرة حول الرأس ، وقائلاً يقول : خذوا صاحب الدار واحرقوه بالنار ، فخرجت أنت يا يزيد من الدار ، وأنت تقول : النار النار أين المفر من النار ، فأمر بضرب عنقها ، فقالت : ألا لعنة الله على الظالمين .

وفي بعض نسخ كتاب أبي مخنف ، فأقبل عليها وقال : يا ويلك ما هذا الكلام أردت أن تخجليني بين أهل مملكتي ، فأمر بضرب عنقها رضي الله عنها ، ثم أقبل يزيد لعنه الله على علي بن الحسين عليهما السلام وقال : يا غلام أنت الذي أراد أبوك خلافتي وملكتي والحمد لله الذي سفك دمه . فقال له علي بن الحسين عليهما السلام : يا يزيد من كان أحق بالخلافة من أبي وهو ابن بنت نبيكم ، ولكن جرت الأشياء بتقدير الله عز وجل ، أما سمعت قول الله تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في

الأرض ... ﴿ إلى قوله تعالى: ﴿ ... والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ .

فكان يزيد لعنه الله يلبس النعل من الذهب الصرار ، والثياب الفاخرة ، ويختال في مشيه ، فلذلك قرأ زين العابدين عليه السلام هذه ، فغضب يزيد لعنه الله وقال : خذوه واضربوا عنقه ، فبكى علي بن الحسين عليهما السلام ونظر إلى السماء وأنشأ يقول :

أناديك يا جداه يا خير مرسل حبيبي مقتول ونسلك ضائع
أقباد ذليلاً في دمشق مكبلاً وما لي من بين الخلائق شافع
لقد حكموا فينا اللثام وشتتوا لنا شملنا من بعد ما كان جامع

قال : فتعلقن به عليه السلام عماته ، فقالت أم كلثوم : ويلك يا يزيد ما كفأك ما فعلت بنا وقد أرويت الأرض من دم أهل البيت عليهم السلام ، وقد بقي هذا الطفل أتريد أن تقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فأبكت كل من كان حاضراً ، فقال له لعنه الله بعض جلسائه : سألتك بالله يا يزيد إلا ما عفوت عنه ، فإنه صغير السن ، ولا يجب عليه القتل ، فأمر اللعين بتخليته ، ثم علي بن الحسين عليهما السلام أقبل على يزيد لعنه الله وقال له : سألتك بالله يا يزيد إذا كان لا بد من قتلي فابعث مع هؤلاء النسوة من يوصلهن إلى حرم جدhen رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : فضجّت الناس بالبكاء والنحيب ، فخشي يزيد لعنه الله الفتنة فقال : يا غلام طب نفساً وقرّ عيناً ، والله لا يوصلهن سواك ، ثم إن يزيد لعنه الله أمر رجلاً من أصحابه ذرب اللسان ، قوي الجنان ، وقال له : اصعد المنبر وسب علياً والحسن والحسين عليهم السلام ، ولا تدع شيئاً من المساوىء إلا تذكره فيهم ، ففعل ذلك ، فأقبلت عليه سكية وقالت : ويلك يا يزيد وأي مساوىء لأبي وجدي . فقال لها : اسكتي يا ابنة

الخارجي . قالت : يا يزيد ما أقل حياءك وأصلب وجهك ، أيما أحق بالملك أنت أم أبي عليه السلام وأبوه علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأمه فاطمة الزهراء عليها السلام ، وجدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله . قال لها : أنا أحق من أبيك بالخلافة ، فإنه ميراث لي من أبي .

وقال المفيد رحمه الله : ثم قال لعنه الله لعلي بن الحسين عليهما السلام : يا بن الحسين أبوك قطع رحمي وجهل حقي ، وفازعني سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيت . فقال علي بن الحسين عليهما السلام : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرئها إن ذلك على الله يسير ﴾ ، فقال يزيد لعنه الله لابنه خالد : اردد عليه ، فلم يدر خالد ما يرد عليه ، فقال له يزيد عليه اللعنة : ﴿ قل ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ .

وفي البحار عن صاحب المناقب بعد ذلك فقال علي بن الحسين عليهما السلام : يا بن معاوية وهند وصخر لم تزل النبوة والإمرة لأبائي وأجدادي من قبل أن تولد ، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار ، ثم جعل علي بن الحسين عليهما السلام يقول :

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي عند مفتقي منكم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام : ويلك يا يزيد إنك لو تدري ماذا صنعت ، وما الذي ارتكبت مع أبي وأهل بيتي وأخي وعمومي إذا لهربت في الجبال ، واقتشرت الرماد ، ودعوت بالويل والثبور ، ان يكون رأس أبي الحسين بن فاطمة وعلي عليهم السلام منصوباً على باب مدينتكم وهو وديعة رسول الله صلّى الله عليه وآله فيكم ، فابشر بالخزي والندامة غداً إذا اجتمع ليوم القيامة .

وقال المفيد رحمه الله : ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه فرأى هيئة قبيحة ، فقال : قبح الله ابن مرجانة لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بكم ، ولا بعث بكم على هذا الحال ، فقالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام : فلما جلسنا بين يدي يزيد لعنه الله رقى لنا ، فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر فقال : يا أمير المؤمنين : هب لي هذه الجارية يعني ، وكنت جارية وضيئة ، فارعدت وظننت أن ذلك جائز لهم ، فأخذت بثياب عمّي زينب عليها السلام ، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون .

وفي رواية السيد رحمه الله : قلت : يا عمّاه أيتمت واستخدم ، فقالت عمّي للشامي : كذبت والله ولؤمت والله ، ما ذلك لك ولا له ، فغضب يزيد لعنه الله وقال لعنه الله : كذبت إن ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت . قالت : كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغيرها ، فاستطار يزيد لعنه الله غضباً وقال : إياي تستقبلين بهذا ، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك ، قالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت ، أنت وأبوك وجدك إن كنت مسلماً . قال لعنه الله : كذبت يا عدوة الله . قالت له : أنت أمير تشتم ظالماً وتقهّر سلطانك ، فكأنه استحيى وسكت . فعاد الشامي فقال : هب لي هذه الجارية ، فقال له يزيد : اغرب وهب الله لك حتفاً قاضياً .

وفي المنتخب فقالت أم كلثوم لذلك الرجل : اسكت يا لكع الرجال قطع الله لسانك وأعمى عينك ، وأيس يديك ، وجعل النار مثواك ، إن أولاد الأنبياء لا يكونون خدمة لأولاد الادعياء . قال : فوالله ما استتم كلامها حتى أجاب الله دعائها في ذلك الرجل . فقالت : الحمد لله الذي عجل لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة ، فهذا جزاء من يتعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفي رواية السيد رحمه الله فقال الشامي من هذه الجارية؟ فقال يزيد

لعنه الله : هذه فاطمة بنت الحسين ، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام . فقال الشامي : الحسين بن فاطمة وعلي بن أبي طالب . قال : نعم . فقال الشامي : لعنك الله يا يزيد تقتل عترة نبيك وتسبي ذريته ، والله ما توهمت إلا أنهم سبي الروم ، فقال يزيد لعنه الله : والله لألحقنك بهم ، ثم أمر به فضرب عنقه .

قال : ودعا يزيد لعنه الله بالخاطب وأمره أن يصعد المنبر فيذم الحسين وأباه صلوات الله عليهما ، فصعد وبالع في ذم أمير المؤمنين والحسين الشهيد عليهما السلام والمدح لمعاوية ويزيد ، فصاح به علي بن الحسين عليهما السلام : ويلك أيها المخاطب اشترت مرضاة المخلوق بسخط المخلوق ، فنبأ مقعدك من النار .

ولقد أحسن ابن سنان الخفاجي في وصف أمير المؤمنين صلوات الله عليه بقوله :

على المنابر تعلنون بسببه
وسيفه نصبت لكم أعوادها

قال ووعد يزيد لعلي بن الحسين عليهما السلام في ذلك اليوم أن يقضي له ثلاث حاجات ، ثم أمر بهم إلى منزل لا يكتهم من حر ولا برد ، فأقاموا به حتى تقشعرت وجوههم ، وكانوا مدة مقامهم في البلد المشار إليه ينوحون على الحسين صلوات الله عليه .

وفي أمالي الصدوق بإسناده عن فاطمة بنت علي عليه السلام قالت : ثم أن يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين عليه السلام فجلسن مع علي بن الحسين عليهما السلام في مجلس لا كنهم من حر ولا قر حتى تقشرت وجوههم (الخبر) .

وفيه أيضاً : ثم أمر برأس الحسين عليه السلام فنصب على باب مسجد دمشق .

وفي البحار قال صاحب المناقب ، وذكر أبو مخنف وعيره : أن يزيد

لعنه الله أمر بأن يصلب الرأس على باب داره ، وأمر بأهل بيت الحسين عليه السلام أن يدخلوا داره ، فلما دخلت النسوة دار يزيد لم يبق من آل معاوية ولا أبي سفيان أحداً إلا استقبلهن بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين عليه السلام ، وألقين ما عليهن من الثياب والحلى ، وأقمن المآثم عليه ثلاثة أيام ، وخرجت هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز امرأة يزيد لعنه الله ، وكانت قبل ذلك تحت الحسين عليه السلام حتى شقت الستر وهي حاسرة ، فوثبت إلى يزيد لعنه الله وهو في مجلس عام ، فقالت : يا يزيد رأس ابن فاطمة بنت رسول الله مصلوب على فناء بابي ، فوثب إليها يزيد لعنه الله فغطاها وقال : نعم ، فاعولي عليه يا هند وابكي على ابن بنت رسول الله وصريخة قریش ، عجل عليه ابن زياد لعنه الله فقتله قتله الله ، ثم إن يزيد لعنه الله أنزلهم في داره الخاصة ، فما كان يتغذى ولا يتعشى حتى يحضر علي بن الحسين عليه السلام .

وفي البصائر عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن السعيد البرقي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن عمران بن يحيى الحلبي ، عن محمد بن علي الحلبي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لما أتى بعلي بن الحسين عليهما السلام يزيد بن معاوية ومن معه جعلوه في بيت ، فقال بعضهم : إنما جعلنا في هذا البيت ليقع علينا فيقتلنا فراطن الحرّس ، وقالوا : انظروا إلى هؤلاء يخافون أن يقع عليهم البيت وإنما يخرجون غداً فيقتلون . قال علي بن الحسين عليهما السلام : لم يكن فينا أحد يحسن الرطانة غيري والرطانة عند أهل المدينة الرومية .

وفيه أيضاً عن محمد بن الحسين ، عن صفوان ، عن داود بن فرقد قال : ذكر قتل الحسين عليه السلام ، وأمر علي بن الحسين عليهما السلام لما أن حمل إلى الشام ، فدفننا إلى السجن ، فقال أصحابي : ما أحسن بنيان هذا الجدار ، فتراطن أهل الروم والعراق بينهم ، فقالوا : ما في هؤلاء صاحب دم إن كان إلا ذلك يعنوني فمكثنا يومين ثم دعانا وأطلق عنا .

توضيح :

قوله : فدفعنا من كلام علي بن الحسين بن عليهما السلام ، وقد حذ صدف (الحديث) .

وقوله : صاحب دم المقتول أي من يريد يزيد لعنه الله قتله .

وفي البحار قال المدائني : لما انتسب السّجاد إلى النبي صلّى الله عليه وآله قال يزيد لجلوازه لعنهم الله : ادخله في هذا البستان واقتله وادفنه فيه ، فدخل به إلى البستان وجعل يحضر والسّجاد عليه السلام يصلي ، فلما هم بقتله ضربته يد من الهواء فخرّ لوجهه وشقّ ودعش ، فرآه خالد بن يزيد وليس لوجهه بقية ، فانقلب إلى أبيه لعنه الله وقصّ عليه فأمر بدفن الجلواز لعنه الله في الحفرة وإطلاقه وموضع حبس زين العابدين عليه السلام هو اليوم مسجد .

الرزية التاسعة

في ذكر الخطب والاحتجاجات لسيد السّاجدين علي بن زين العابدين عليهما السلام

على يزيد لعنه الله تعالى وبيان قضية رسول ملك الروم ونحو ذلك

ذكر الشيخ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في الاحتجاج قال : روت ثقة الرواة وعدولهم أنه لما ادخل علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليهما في جملة من حمل إلى الشام سبايا من أولاد الحسين بن علي عليهما السلام وأهاليه على يزيد لعنه الله . قال له : يا علي الحمد لله الذي قتل أباك . قال علي عليه السلام : قتل أبي الناس . قال يزيد لعنه الله : الحمد لله الذي قتله فكفانيه . قال علي عليه السلام : يا علي من قتل أبي لعنه الله عز وجل . قال يزيد لعنه الله : يا علي اصعد المنبر ، فاعلم الناس حال الفتنة وما رزق الله أمير المؤمنين من الظفر ، فقال علي بن الحسين عليهما السلام : ما أعرفني بما تريد ، فصعد المنبر

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي ، أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم والصفا ، أنا ابن محمد المصطفى ، أنا ابن من لا يخفى ، أنا ابن من علا فاستعلى فجاز سدره المنتهى ، فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى . فضج أهل الشام بالبكاء حتى خشي يزيد لعنه الله أن يرحل من مقعده ، فقال للمؤذن أذن ، فلما قال المؤذن الله أكبر الله أكبر جلس علي بن الحسين عليهما السلام على المنبر ، فلما أن قال : أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمد رسول الله بكى علي بن الحسين عليهما السلام ، ثم التفت إلى يزيد لعنه الله وقال : يا يزيد هذا جدي أم جدك ؟ أبي أم أبوك ؟ قال : بل أبوك ، فانزل فنزل فأخذ ناحية باب المسجد (الخبر) .

وفي العوالم والبحار عن المناقب لابن شهر آشوب في كتاب الأحمر قال الأوزاعي : لما أتى بعلي بن الحسين عليهما السلام ورأس أبيه إلى يزيد لعنه الله الشام قال لخطيب بليغ : خذ بيد هذا الغلام فأت به المنبر ، وأخبر الناس بسوء رأي أبيه وجدته ، وفراقهم الحق وبغيهم علينا .

قال : فلم يدع شيئاً من المساوىء إلا ذكره فيهم ، فلما نزل قام علي بن الحسين عليهما السلام فحمد الله بمحمد شريفة ، وصلى على النبي صلاة بليغة موجزة ، ثم قال :

معاشر الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه نفسي ، أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن المروة والصفا ، أنا ابن محمد المصطفى ، أنا ابن من لا يخفى ، أنا ابن من علا فاستعلى ، فجاز سدره المنتهى ، وكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلى بملائكة السماء مثني مثني ، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن خديجة الكبرى ، أنا ابن المقتول ظلماً ، أنا ابن المجزوز الرأس من القفا ، أنا

ابن العطشان حتى قضى ، أنا ابن طريح كربلاء ، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء ، أنا ابن من بكى عليه ملائكة السماء ، أنا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والطيور في الهواء ، أنا ابن من رأسه على السنان يهدى ، أنا ابن من حرمه من العراق إلى الشام تسبى .

أيها الناس : إن الله تعالى وله الحمد ابتلانا أهل البيت ببلاء حسن حيث جعل راية الهدى والعدل والتقى فينا ، وجعل راية الضلالة والردى في غيرنا ، فضلنا أهل البيت بست خصال ، فضلنا بالعلم والحلم والشجاعة والسماحة والمحبة والمحلة في قلوب المؤمنين ، وأتانا ما لم يؤت أحداً من العالمين من قبلنا ، فينا مختلف الملائكة وتنزيل الكتب .

قال : فلم يفرغ حتى قال المؤذن : الله أكبر ، فقال عليه السلام : لا شيء أكبر من الله تعالى ، فقال المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله . فقال علي عليه السلام : أشهد بما تشهد به . فلما قال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله . قال علي عليه السلام : يا يزيد هذا جدي أو جدك؟ فإن قلت : جدك فقد كذبت ، وإن قلت جدي فلم قلت أبي وسببت حرمه وسببتي .

ثم قال عليه السلام : معاشر الناس ، هل فيكم من أبوه وجده رسول الله صلى الله عليه وآله فعلت الأصوات بالبكاء ، فقام إليه رجل من شيعته يقال له المنهال بن عمرو الطائي .

وفي رواية مكحول صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له : كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ فقال : ويحك كيف أمسيت ، أمسينا فيكم كهيئة بني إسرائيل في آل فرعون ﴿يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم﴾ (الآية) وأمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً صلى الله عليه وآله منها ، وأمست قريش تفتخر على العرب بأن محمداً منها ، وأمسى آل محمد صلى الله عليه وآله مقهورين مخذولين ، فإلى الله نشكو كثرة عدونا ، وتفرق ذات بيننا وتظاهر الأعداء علينا .

وفي رواية أبي مخنف بعد نقل سكينه رؤياها التي رأتها في منامها
ليزيد لعنه الله .

قال : وأمر رجلاً يصعد المنبر ويسبّ الحسين عليه السلام ففعل
ذلك لعنه الله . فقال علي بن الحسين عليهما السلام للرجل : بالله عليك
إلا ما أذنت لي أن أصعد المنبر وأتكلم بكلام فيه رضى الله تعالى ورسوله
صلّى الله عليه وآله ، فقال له اصعد المنبر يا غلام وقل ما بدا لك ،
 واعتذر الرجل إليه .

قال : فصعد عليه السلام فجعل يتكلم بكلام الأنبياء عليهم السلام
بعذوبة لسان ، وفصاحة وبلاغة ، فأقبل إليه الناس من كل مكان ، وقال
عليه السلام : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه
بنفسي ، فأنا علي بن الحسين بن علي المرتضى صلوات الله وسلامه
عليهم ، أنا ابن من حجّ ولبي ، أنا ابن من طاف وسعى ، أنا ابن زمزم
والصفا ، أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن المذبوح من القفا ، أنا ابن
العطشان حتى قضى ، أنا ابن من منعوه من الماء ، وأحلّوه على سائر
الورى ، أنا ابن محمد المصطفى صلّى الله عليه وآله ، أنا ابن صريع
كربلاء ، أنا ابن من راحت أنصاره تحت الثرى ، أنا ابن من غدت حريمه
أسرى ، أنا ابن من ذبحت أطفاله من غير سوى ، أنا ابن من أضرم
الأعداء في خيمته لظى ، أنا ابن من أضحى صريعاً بالنقى ، أنا ابن من لا
غسل له ولا كفن يرى ، أنا ابن من رفعوا رأسه على القنا ، أنا ابن من
هتك حريمه بأرض كربلاء ، أنا ابن من جسمه بأرض ورأسه بأخرى ، أنا
ابن من لا يرى حوله غير الأعداء ، أنا ابن من سبيت حريمه إلى الشام
تهدى ، أنا ابن من لا ناصر له ولا حمى ، ثم إنّه صلوات الله عليه
وسلامه انتحب وبكى .

ثم قال : أيها الناس ، قد فضلنا الله بخمس خصال : فينا والله
مختلف الملائكة ، ومعدن الرسالة ، وفينا نزلت الآيات ، ونحن قدنا

العالمين للهدى ، وفيما الشجاعة فلم نخف بأساً ، والبراعة والفصاحة إذا افتخر الفصحاء . وفيما الهدى إلى سواء السبيل ، والعلم لمن أراد أن يستفيد علماً ، والمحبة في قلوب المؤمنين من الورى ، ولنا الشأن الأعلى في الأرض والسماء ، لولانا ما خلق الله الدنيا ، وكل فخر دون فخرنا يهوي ، ومحبتنا يسقى ، وباغضنا يوم القيامة يشقى .

قال : فلما سمع الناس كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب ، وعلت الأصوات في الجامع ، فخاف يزيد الفتنة ، وخشي أن يميل قلوب الناس إليه ، فأمر المؤذن أن يقطع عليه خطبته ، فصعد المؤذن وقال : الله أكبر ، فقال علي صلوات الله عليه : كبرت كبيراً وعظمت عظيماً وقلت حقاً . فقال المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله . فقال صلوات الله عليه : أشهد بها مع كل شاهد وأقر بها مع كل جاحد . فقال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله ، فبكى علي بن الحسين عليهما السلام وعلاً منه الصياح ، فقال : سألتك بالله يا يزيد محمد جدي أم جدك؟ فقال : جدك . فقال صلوات الله عليه : فلم قتل أهل بيته وقتلت أبي وأيتممتني على صغر سني ، فلم يرد عليه جواباً ، ودخل داره وقال : لا حاجة لي بالصلاة .

فقال : فقام المنهال إلى علي بن الحسين عليهما السلام فقال له : كيف أصبحت يا بن رسول الله ؟ فقال له الإمام صلوات الله عليه : كيف حال من أصبح وقد قتل أبوه وقتل ناصره ، وينظر إلى حرمه من حوله أسارى قد فقدوا الستر والغطاء ، وقد اعدموا الكافل والحمى ، فما تراني إلا أسيراً وذليلاً قد عدت الناصر والكفيل ، قد كسيت أنا وأهل بيتي ثياب الأسى ، وقد عدت علينا حديد العرى ، فإن تسأل فيها أنا كما ترى قد شمتت فينا الأعداء ، ونترقب الموت صباحاً ومساءً .

ثم قال : قد أصبحت العرب تفتخر على العجم لأن محمداً صلى الله عليه وآله منهم ، وأصبحت قريش تفتخر على سائر الناس لأن محمداً صلى الله عليه وآله منهم ، ونحن أهل بيته أصبحنا مقتولين مظلومين ، قد

حَلَّتْ بِنَا الرِّزَايَا نَسَاقَ سَبَايَا وَنَجَلِبَ هَدَايَا ، كَأَنَّ حُسَيْنَا مِنْ أَسْقَطِ الْحَسَبِ ، وَمُنْتَسِبِنَا مِنْ أَرْذَلِ الْمُنْتَسِبِ ، وَكَأَنَّ لَمْ تَكُنْ عَلَى هَامِ الْمَجْدِ رَقِينَا ، وَعَلَى بَسَاطِ الْجَلِيلِ سَعِينَا ، وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِيَزِيدَ لَعْنَهُ اللَّهُ وَجُنُودُهُ ، وَأُضْحَى بَنُو الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَدْنَى عَيْبِهِ .

قَالَ : فَعَلَّتْ الْأَصْوَاتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِالْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ لَمَّا أَتَى بِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْغَرِيبِ ، وَقَدْ نَطَقَ بِالْحَقِّ الْمَصِيبِ . قَالَ : فَخَشِيَ يَزِيدُ الْمَلْعُونُ الْفِتْنَةَ ، لِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ أَصْغَتْ إِلَى مَا قَالَهُ ، وَانْفَرَسَتْ مَحَبَّتُهُمْ لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَقَالَ يَزِيدُ لَعْنَهُ اللَّهُ لِلَّذِي أَصْعَدَهُ الْمُنْبِرَ : لِمَ أَصْعَدْتَ هَذَا الْغُلَامَ الْمُنْبِرَ ، إِنَّمَا أَرَدْتُ بِصُعُودِهِ زَوَالَ مَلِكِي . فَقَالَ الْمُؤَذِّنُ وَاللَّهُ مَا عَلِمْتَ أَنَّ هَذَا الْغُلَامَ يَتَكَلَّمُ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ . فَقَالَ يَزِيدُ لَعْنَهُ اللَّهُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ هَذَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِوةِ وَمَعْدَنِ الرِّسَالَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ الْمُؤَذِّنُ : فَلِمَ قَتَلْتَ أَبَاهُ وَأَبْقَيْتَهُ عَلَى صُغُرِ سَنَتِهِ ؟ قَالَ : فَأَمَرَ يَزِيدُ الْمَلْعُونُ بِضَرْبِ عُنُقِ الْمُؤَذِّنِ .

وَقَالَ فِي الْبَحَارِ وَالْعَوَالِمِ ، قَالَ صَاحِبُ الْمَنَاقِبِ وَغَيْرِهِ : رَوَى أَنَّ يَزِيدَ لَعْنَهُ اللَّهُ أَمَرَ بِمُنْبِرٍ وَخَطِيبٍ لِيُخْبِرَ النَّاسَ بِمَسَاوِيءِ الْحُسَيْنِ وَعَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَمَا فَعَلَا ، فَصَعِدَ الْخَطِيبُ الْمُنْبِرَ ، فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَكْثَرَ الْوَقِيعَةَ فِي عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَأَطْنَبَ فِي تَقْرِيطِ مَعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ ، فَذَكَرَهُمَا بِكُلِّ جَمِيلٍ ، قَالَ : فَصَاحَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : وَيْلَكَ أَيُّهَا الْخَاطِبُ : اشْتَرَيْتَ مَرْضَاةَ الْمَخْلُوقِ بِسَخَطِ الْخَالِقِ ، فَتَبَوَّأَ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ .

ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا يَزِيدُ ائْذَنْ لِي حَتَّى أَصْعِدَ هَذِهِ الْأَعْوَادَ فَأَتَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ لِلَّهِ فِيهِ رِضَا وَلِهَوْلَاءِ الْجُلُوسَاءِ فِيهِنَّ أَجْرٌ وَثَوَابٌ . قَالَ : فَأَبَى يَزِيدُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّاسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ائْذَنْ لَهُ فَلْيَصْعِدِ الْمُنْبِرَ ، فَلَعَلَّنَا نَسْمَعُ مِنْهُ شَيْئاً ، فَقَالَ لَعْنَهُ اللَّهُ : إِنَّهُ إِنْ صَعِدَ لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا بِفُضِيحَتِي وَبِفُضِيحَةِ آلِ أَبِي سَفِيَّانٍ . فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا قَدَرُ مَا يَحْسُنُ هَذَا ؟ فَقَالَ : إِلَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ قَدْ زَقُوا الْعِلْمَ

زقاً . قال : فلم يزالوا به لعنه الله حتى أذن له ، فصعد عليه السلام المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة أبكى منها العيون وأهدى منها القلوب .

ثم قال : أيها الناس أعطينا ستاً وفضلنا بسبع ، اعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبّة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بأن منّا النبي المختار محمداً صلى الله عليه وآله ، ومنّا الصديق ، ومنّا الطيار ، ومنّا أسد الله وأسد رسوله ، ومنّا سبطا هذه الأمة ، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي .

أيها الناس : أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم والصفاء ، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء ، أنا ابن خير من استقى وارتدى ، أنا ابن خير من انتعل واحتفى ، أنا ابن خير من طاف وسعى ، أنا ابن خير من حجّ ولبى ، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء ، أنا ابن من أسري من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدره المنتهى ، أنا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلى بملائكة السماء ، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى ، أنا ابن محمد المصطفى ، أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا : لا إله إلا الله ، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بسيفين وطعن برمحين ، وهاجر الهجرتين ، وباع البيعتين ، وقاتل بيدروحنين ، ولم يكفر بالله طرفة عين ، أنا ابن صالح المؤمنين ، ووارث النبيين ، وقامع الملحدين ، ويعسوب المسلمين ، ونور المجاهدين ، وزين العابدون ، وتاج البكائين ، وصبر الصابرين ، وأفضل القائمين ، من آل يس رسول ربّ العالمين ، أنا ابن المؤيد بجبرئيل المنصور بميكائيل ، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين ، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين والمجاهد أعدائه النصابين ، وأفخر من مشى من قریش أجمعين ، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين ،

وأول السابقين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد المشركين ، وسهم من رمى الله على المنافقين ، ولسان حكمة العابدين ، وناصر دين الله ، وولي أمر الله ، ويستنان حكمة الله ، وعيية علمه تعالى ، سمح سخي مغوار وصي رضي ، مقدم همام ، صابر صوام ، مهذب قوام ، قاطع الأصلاب ومفرق الأحزاب ، أربطهم عناناً ، وأثبتهم جناناً ، وأمضاهم عزيمة ، وأشدهم شكيمة ، أسد باسل ، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة وقربت الأعنة طحن الرحاء ، ويذروهم فيها ذرو الرياح الهشيم ، ليث الحجا ، وكبش العراق ، مكى مدني ، حنفي عقبي ، بلدي أحدي ، شجري مهاجري ، من العرب سيدها ، ومن الوغا ليثها ، وارث المشعرين ، وأبو السبطين ، الحسن والحسين ، ذاك جدّي علي بن أبي طالب عليه السلام .

ثم قال عليه السلام : أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن سيّدة النساء ، فلم يزل يقول أنا أنا حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب ، وخشي يزيد لعنه الله أن يكون فتنة ، فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام . فلمّا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر . قال علي عليه السلام : لا شيء أكبر من الله . فلمّا قال : أشهد أن لا إله إلا الله . قال علي بن الحسين عليهما السلام : شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي . فلمّا قال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله ، التفت من فوق المنبر إلى يزيد لعنه الله فقال : محمد هذا جدي أم جدّك يا يزيد؟ فإن زعمت أنه جدّك قد كذبت وكفرت ، وإن زعمت أنه جدّي فلمّ قتل عترته ؟ قال : ففرغ المؤذن من الأذان والإقامة ، فتقدم يزيد فصلّى صلاة الظهر .

قال : وروي أنه كان في مجلس يزيد لعنه الله حبر من أحبار اليهود ، فقال : من هذا الغلام يا أمير المؤمنين؟ قال : هو علي بن الحسين . قال : فمن الحسين؟ قال : ابن علي بن أبي طالب . قال : فمن أمّه؟ قال : أمّه فاطمة بنت محمد صلّى الله عليه وآله . فقال الحبر :

يا سبحان الله فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة ، بشما خلفتموه في ذريته ، والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لظننا أننا كنا نعبد من دون ربنا ، وأنكم إنما فارقكم نبيكم بالأمس ، فوثبتم على ابنه فقتلتموه سوءة لكم من أمة .

قال : فأمر به يزيد لعنه الله فُوجيء في حلقه ثلاثاً ، فقام الحبر وهو يقول : إن شئتم فاضربوني وإن شئتم فاقتلوني ، أو فذروني فلاني أجد في التوراة من قتل ذرية نبي لا يزال ملعوناً أبداً ما بقي ، فإذا مات يصلية الله نار جهنم .

وروى السيد وابن نما عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن عقبة ابن لهيعة ، عن أبي الأسود محمد بن عبدالرحمن قال : لقيني رأس الجالوت ابن يهودا فقال : والله أن بيني وبين داود لسبعين أباً ، وإن اليهود تلقاني فتعظمني وأنتم ليس بين ابن نبيكم وبينه إلا أب واحد قتلتم ولده .

وروي عن زين العابدين عليه السلام أنه قال : لما أتى برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد عليه اللعنة كان يتخذ مجالس الشرب ، ويأتي برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه ويشرب عليه ، وحضر في مجلسه ذات يوم رسول ملك الروم ، وكان من أشرف الروم وعظماهم ، فقال : يا ملك العرب هذا رأس من؟ فقال له يزيد لعنه الله : ما لك ولهذا الرأس؟ فقال : إني إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كل شيء رأيته فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه حتى يشاركك في الفرح والسرور . فقال له يزيد لعنه الله : هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب ، فقال الرومي : ومن أمه؟ فقال : فاطمة بنت محمد رسول الله . فقال النصراني : أف لك ولدينك ، لي دين أحسن من دينكم إن أبي من أحفاد داود عليه السلام وبينه وبينه آباء كثيرة ، والنصارى يعظموني ويأخذون من تراب قدمي تبركاً بي لأنني من أحفاد داود عليه

السلام ، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم وما بينه وبين نبيكم إلا أم واحدة .
قبح الله دينكم فأني دين دينكم .

ثم قال ليزيد لعنه الله : هل سمعت حديث كنيسة الحافر؟ فقال له :
قل حتى أسمع ، فقال : بين عمّان والصّين بحر مسيرة سنة ، ليس فيها
عمران إلا بلدة واحدة في وسط الماء طولها ثمانون فرسخاً في ثمانين
فرسخ ، ما على وجه الأرض بلدة أكبر منها ، ومنها يحمل الكافور
والياقوت ، وأشجارها العود والعنبر ، وهي في أيدي النصارى لا ملك
لأحد من الملوك فيها سواهم ، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة ، أعظمها
كنيسة الحافر ، في محرابها حقة من ذهب معلقة فيها حافر ، يقولون : إن
هذا حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام ، وقد زينا حول الحقة
بالذهب والديباج يقصدها في كل عام عالم من النصارى ويطوفون حولها ،
ويقبلون أركانها ، ويرفعون حوائجهم إلى الله تعالى عندها ، هذا شأنهم
ودأبهم بحافر حمار يزعمون أنه حافر حمار كان يركبه عيسى نبيهم صلوات
الله عليه ، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم ، فلا بارك الله تعالى فيكم ، ولا
في دينكم .

فقال يزيد لعنه الله : اقتلوا هذا النصراني لئلا يفضحني في بلاده ،
فلما أحس النصراني بذلك قال له : أتريد أن تقتلني؟ قال : نعم . قال :
إنني رأيت البارحة نبيكم في المنام يقول : يا نصراني أنت من أهل
الجنة ، فتعجبت من كلامه وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله ، ثم وثب إلى رأس الحسين عليه السلام فضمه إلى صدره وجعل
يقبله ويبكي حتى قُتل .

أقول : وروى الشيخ في المنتخب رسلاً أن نصرانياً أتى رسولاً من
ملك الروم إلى يزيد لعنه الله تعالى ، وقد حضر في مجلسه الذي أتى إليه
فيه رأس الحسين عليه السلام ، فلما رأى النصراني رأس الحسين عليه
السلام بكى وصاح وناح حتى ابتلت لحيته بالدموع ، ثم قال : اعلم يا

يزيد أني دخلت المدينة تاجراً في أيام حياة النبي صَلَّى الله عليه وآله ، وقد أردت أن آتية صَلَّى الله عليه وآله بهدية فسألت من أصحابه أي شيء أحب إليه من الهدايا ، فقالوا : الطيب أحب إليه من كل شيء ، وإن له رغبة فيه . قال : فحملت من المسك فارتين وقدرًا من العنبر الأشهب ، وجئت بها إليه وهو يومئذ في بيت زوجته أم سلمة رضي الله عنها .

فلما شاهدت جماله ازداد لعيني من جماله نور ساطع ، وزادني منه سروراً ، وقد تعلق قلبي بمحبته ، فسلمت عليه ووضعت العطر بين يديه ، فقال : ما هذا؟ فقلت : هدية محقرة أتيت بها إلى حضرتك . فقال لي : ما اسمك؟ فقلت : اسمي عبد الشمس . فقال لي : بدّل اسمك ، فأنا أسميك عبد الوهاب إن قبلت مني الإسلام ، قبلت منك الهدية . قال : فنظرته وتأملته فعلمت أنه نبيّ وهو النبي الذي أخبرنا عنه عيسى عليه السلام حيث قال : إني أبشركم برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فاعتقدت ذلك ، وأسلمت على يده في تلك الساعة ، ورجعت إلى الروم وأنا أخفي الإسلام ، ولي مدة من السنين وأنا مسلم مع خمس من البنين وأربع من البنات ، وأنا اليوم وزير ملك الروم وليس لأحد من النصارى اطلاع على حالنا .

واعلم يا يزيد أني يوماً كنت في حضرة النبي صَلَّى الله عليه وآله وهو في بيت أم سلمة ، رأيت هذا العزيز الذي وضع رأسه بين يديك مهيناً حقيراً ، قد دخل على جدّه من باب الحجرة والنبي صَلَّى الله عليه وآله فاتح باعه ليتناوله ، وهو يقول : مرحباً بك يا حبيبي حتى أنه تناوله وأجلسه في حجره وجعل يقبل شفّتي ويرشف ثنياه ، وهو يقول : بعد عن رحمة الله من قتلك ، لعن الله من قتلك يا حسين وأعان على قتلك ، والنبي صَلَّى الله عليه وآله مع ذلك يبكي .

فلما كان اليوم الثاني كنت مع النبي صَلَّى الله عليه وآله في مسجده إذ أتاه الحسين مع أخيه الحسن عليهما السلام وقال : يا جدّاه قد

تصارعت مع أخي الحسن عليه السلام ولم يغلب أحدهما الآخر ، وإنما نريد أن نعلم أيُّنا أشدُّ قوَّة من الآخر ، فقال لهما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله يا حبيبيَّ يا مهجتيَّ إنَّ التصارع لا يليق لكما ، ولكن اذهبا فتكاتبا فمن كان خطه أحسن كذلك تكون قوَّته أكثر .

قال : فمضيا وكتب كل واحد منهما سطرًا ، وأتيا إلى جدِّهما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله فأعطياهما اللوح ليقضي بينهما ، فنظر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله إليهما ساعة ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما ، فقال لهما : يا حبيبيَّ إنِّي نبيُّ أمي لا أعرف الخط اذهبا إلى أبيكما ليحكم بينكما وينظر أيكما أحسن خطًا .

قال : فمضيا إليه وقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله أيضاً معهما ودخلا جميعاً إلى منزل فاطمة عليها السلام ، فما كان إلَّا ساعة وإذا النبي مقبل وسلمان الفارسي رضي الله عنه معه ، وكان بيني وبين سلمان صداقة ومودة ، فسألته كيف حكم لهما أبوهما وخط أيهما أحسن ؟ .

قال سلمان رضي الله عنه : إنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله لم يجبهما بشيء ، لأنَّه تأمل أمرهما وقال : لو قلت خط الحسن أحسن كان يغتم الحسين ، ولو قلت خط الحسين أحسن كان يغتم الحسن ، فوجههما إلى أبيهما ، فقلت له : يا سلمان بحق الصداقة والاخوة التي بيني وبينك وبحق دين الإسلام إلَّا ما أخبرتني كيف حكم أبوهما بينهما ، فقال : لما أتيا إلى أبيهما وتأمل حالهما ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما ، قال لهما : امضيا إلى أمكما فهي تحكم بينكما ، فأتيا إلى أمهما وعرضا عليها ما كتبا في اللوح وقالوا : يا أمَّاه إنَّ جدنا أمرنا أن نتكاتب فكل من كان خطه أحسن تكون قوته أكثر ، فتكاتبا وجئنا إليه فوجهنا إلى أبينا ، فلم يحكم بيننا ، ووجهنا إليك ، فتفكرت فاطمة عليها السلام بأنَّ جدَّهما وأباهما ما أرادا كسر خاطرهما ، أنا ماذا أصنع وكيف أحكم بينهما ، فقالت : يا قرتي

عيني إني أقطع قلادتي على رأسكما فأيكما يلتقط من لؤلؤها أكثر كان خطه أحسن وتكون قوته أكثر .

قال : وكان في قلادتها سبع لؤلؤات ، ثم أنها قامت فقطعت قلادتها على رأسها ، فالتقط الحسن ثلاث لؤلؤات ، والتقط الحسين ثلاث لؤلؤات ، وبقيت الأخرى ، فأراد كل منهما تناولها ، فأمر الله تعالى جبرئيل بنزوله إلى الأرض وأن يضرب بجناحيه تلك اللؤلؤة ويقدها نصفين ليأخذ كل واحد منهما نصفها ، لئلا يغتم قلب أحدهما ، فنزل جبرئيل عليه السلام كطرفه عين وقد اللؤلؤة نصفين ، فأخذ كل منهما نصفاً ، فانظر يا يزيد كيف رسول الله صلى الله عليه وآله لم يدخل على أحدهما ألم ترجيح الكتابة ، ولم يرد كسر قلب أحدهما ، وكذلك أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام ، وكذلك رب العزة لم يرد كسر قلب أحدهما ، بل أمر من قسم اللؤلؤة بينهما لجبرئيل عليهما ، وأنت هكذا تفعل بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، أف لك ولدينك يا يزيد .

ثم إن النصراني نظر إلى رأس الحسين عليه السلام واحتضنه وجعل يقبله وهو يبكي ، ويقول : يا حسين أشهد لي عند جدك محمد المصطفى وعند أبيك علي المرتضى وعند أمك فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين .

هذا وقال أبو مخنف في بعض نسخ كتابه قال سهل : فبينما يزيد لعنه الله جالس ورأس الحسين عليه السلام بين يديه وهو ينكت ثناياه بالقضيب إذ دخل عليه جاثليق النصراني وعليه ثياب سود ، وعلى رأسه برنس وبيده عكازة ، وكان شيخاً كبيراً ، فنظر إلى رأس الحسين عليه السلام فقال : يا يزيد هذا رأس من؟ قال : رأس خارجي خرج علينا بأرض العراق . فقال : وما اسمه؟ فقال : الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام . قال : ومن أمه؟ قال : فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى صلى الله عليه وآله ، فقال له الجاثليق : فيما استوجب القتل؟ قال : لأن أهل العراق

دعوه وكتبوا إليه وأرادوا أن يجعلوه خليفة فقتله عاملي عبيد الله بن زياد ،
وبعث إليّ برأسه . قال الجاثليق : يا يزيد ارفعه من بين يديك وإلا
هلك .

اعلم أنّي كنت نائماً إذ سمعت هذة عظيمة من قبل السماء ، ورأيت
شخصاً قد نزل من السماء كأنه القمر والنور يشرق من وجهه ومعه رجال
كثيرة ، فقلت لبعضهم : من هذا؟ ف قيل محمد المصطفى صلّى الله عليه
 وآله وهؤلاء الملائكة قد نزلوا من السماء يعزونه بولده ، فقد قتلته أمته من
بعده لا أنالهم الله شفاعته يوم القيامة . قال يزيد عليه اللعنة : ويليكَ أتيت
تخبرنا بأحلامك الكاذبة ، والله لأضربن عنقك ، ثم أمر أن يضربوه بالسياط
حتى آلموه وأوجعوه ، فقال : يا أبا عبد الله اشهد لي عند جدك رسول الله
صلّى الله عليه وآله أنّي أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن
محمداً عبده ورسوله .

فغضب يزيد لعنه الله من إسلامه وقال : اضربوه ، فجعلوا يضربونه
حتى رضوا جسده ، فقال له : يا يزيد إن شئت تضرب وإن شئت أن لا
تضرب ، فهذا رسول الله صلّى الله عليه وآله واقف بإزائي ويده قميص
من نور وتاج من نور ، وهو يقول : هنيئاً لك يا هذا بالجنة ، وحين
خروجك من الدنيا نلبسك هذا التاج والقميص وتكون معنا في الجنة .

قال سهل : فتعجبت من كلامه فما استتم كلامه حتى هلك رحمة
الله عليه .

وفي كتاب الأنوار النعمانية عن المنهال بن عمرو قال : بينما أنا
أتمشى في السوق من دمشق وإذا أنا بعلي بن الحسين عليهما السلام يتوكأ
على عصا ورجلاه كأنهما قصبتان ، والدّم يسيل من ساقيه ، والصفرة قد
ازدادت عليه ، فخنقتني العبرة ، فاعترضته وقلت : كيف أصبحت يا بن
رسول الله ؟ قال : فبكى وقال : كيف حال من أصبح أسيراً ليزيد بن
معاوية ، ونسائي إلى الآن ما شعبن بطونهنّ ، ولا كسين رؤوسهنّ ،

نائجات الليل والنهار ، ونحن يا منهال كمثل بني إسرائيل في آل فرعون
 يذبحون أبنائهم ويستحيون نسائهم ، أمست العرب تفتخر على العجم بأن
 محمداً صلى الله عليه وآله عربياً ، وأمست قريش تفتخر على العرب بأن
 محمداً صلى الله عليه وآله منهم ، وأمسينا معشر أهل البيت معصوين
 مقتلين مشردين ما يدعوننا يزيد لعنه الله إليه مرة إلا ونظن القتل إنا لله وإنا
 إليه راجعون .

قلت : يا سيدي وإلى أين تريد؟ قال المجلس الذي نحن فيه ليس
 له سقف ، والشمس تصهرنا به ، ولا نرى الهواء ، فأفر منه لضعف بدني
 سوية ، وأرجع خشية على النساء . فبينما هو يخاطبني وأخاطبه وإذا بإمرأة
 تناديه فتركني ورجع إليها ، فحققت النظر إليها وإذا هي زينب بنت علي
 عليه السلام تدعوه إلى أين تمضي يا قرّة عيني فرجع وما تحرفت عنه ،
 ولم أزل أذكره وأبكي .

قال السيد رحمه الله : ودعا يزيد يوماً بعلي بن الحسين عليهما
 السلام وعمرو بن الحسين عليه السلام ، وكان عمرو صغيراً يقال : إن
 عمره إحدى عشر سنة ، فقال له : أتصارع هذا يعني ابنه خالداً ، فقال
 عمرو : لا ولكن أعطني سكيناً ، وأعطه سكيناً ثم أقاتله ، فقال يزيد عليه
 اللعنة :

شنشنة أعرفها من أخزم هل تلد الحية إلا الحية

وفي ذيل رواية الاحتجاج المتقدمة آنفاً : فلما انصرف يزيد لعنه الله
 تعالى إلى منزله دعا بعلي بن الحسين عليهما السلام ، فقال : يا علي
 أتصارع ابني خالداً ، قال عليه السلام : وما تصنع بمصارعتي إياه ،
 أعطني سكيناً وأعطه سكيناً فليقتل أقوانا أضعفنا ، فضمه يزيد لعنه الله إلى
 صدره ثم قال : لا تلد الحية إلا الحية أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب
 عليهما السلام .

ثم قال له علي بن الحسين عليهما السلام : يا يزيد بلغني أنك تريد قتلي ، فإن كنت لا بدّ قاتلي فوجه مع هؤلاء النسوة من يردّهنّ إلى حرم رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقال له يزيد لعنه الله : لا يؤدّيهن غيرك لعن الله ابن مرجانة ، فوالله ما أمرته بقتل أبيك ولو كنت متولياً لقتاله ما قتلته (الخبر) .

وفي البحار عن المناقب روي أنه قال لزینب علیها السلام :
تكلّمي . فقالت : هو المتكلّم ، فأنشأ السّجاد علیہ السلام يقول :

لا تطمعوا أن تهينونا فنكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
والله يعلم أنا لا نحبككم ولا نلومكم أن لا تحبّونا

فقال : صدقت يا غلام ، ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين ،
والحمد لله الذي قتلهما وسفك دماهما ، فقال عليه السلام : لم تزل النبوة
والامرة لأبائي وأجدادي من قبل أن تولد .

وفي البحار عن دعوات الراوندي روي أنه لما حمل علي بن
الحسين عليهما السلام إلى يزيد لعنه الله هم بضرب عنقه ، فوقفه بين
يديه وهو يكلمه ليستنطقه بكلمة يوجب بها قتله ، وعلي عليه السلام يجيبه
حسب ما يكلمه ، وفي يده سبحة صغيرة يديرها بأصابعه ، وهو يتكلّم ،
فقال له يزيد : أكلمك وأنت تجيبي وتدير أصابعك بسبحة في يدك ،
فكيف يجوز ذلك ؟ .

فقال : حدّثني أبي عن جدي أنه كان إذا صلّى الغداة وانفصل لا
يتكلّم حتى يأخذ سبحة بين يديه ، فيقول : اللهم إني أصبحت أسبحك
وأمجّدك وأحمّدك وأهللك بعدد خرز سبحتي ، ويأخذ السبحة
ويديرها وهو يتكلّم بما يريد من غير أن يتكلّم بالتسبيح ، وذكر أن ذلك
محتسب له ، وهو حرز إلى أن يأوي إلى فراشه . قال مثل فإذا آوى إلى
فراشه قال مثل ذلك القول ، ووضع سبحة تحت رأسه فهي محسوبة له

من الوقت إلى الوقت ، ففعلتُ هذا اقتداءً بجدي ، فقال له يزيد لعنه الله : لست أكلّم أحداً منكم إلاّ ويجيبني بما يعود به ، وعفى عنه ، ووصله وأمر بإطلاقه .

الرّزية العاشرة

في بيان بعض المنامات والمحاورات

قال ابن نما : ورأت سكيّنة في منامها وهي بدمشق كأن خمسة نجب من نور قدّ أقبلت وعلى كلّ نجيب شيخ والملائكة محدقة بهم ، ومعهم وصيف يمشي ، فمضى النجيب وأقبل الوصيف إليّ وقرب مني وقال : يا سكيّنة إنّ جدّك يسلم عليك ، فقلت : وعلى رسول الله السلام ، يا رسول من أنت؟ فقال : أنا وصيف من وصائف الجنّة ، فقلت : من هؤلاء المشيخة الذين جاؤا على النجب ؟ فقال : الأوّل آدم صفوة الله ، والثاني إبراهيم خليل الله ، والثالث موسى كليم الله ، والرابع عيسى روح الله . فقلت : من هذا القابض على لحيتي يسقط مرّة ويقوم أخرى . فقال : جدّك رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقلت : وأين هم قاصدون ؟ قال : إلى أبيك الحسين عليه السلام ، فقامت أسعى في طلبه لأعرفه ما صنع بنا الظالمون بعده .

فبينما أنا كذلك إذ أقبلت خمسة هوادج من نور ، في كلّ هودج امرأة ، فقلت : من هذه النسوة المقبلات ؟ قال : الأولى حواء أم البشر ، والثانية آسية بنت مزاحم ، والثالثة مريم ابنة عمران ، والرابعة خديجة بنت خويلد . فقلت : من الخامسة الواضعة يدها على رأسها تسقط مرّة وتقوم أخرى؟ فقال : جدّتك فاطمة بنت محمد صلّى الله عليه وآله أم أبيك ، فقلت : والله لأخبرنّها ما صنع بنا فلحقّتها ووقفت بين يديها أبكي وأقول : يا أمتاه جحدوا والله حقّنا ، يا أمتاه بدّدوا والله شملنا ، يا أمتاه استباحوا والله حريمنا ، يا أمتاه قتلوا والله الحسين أبانا . فقالت : كفيّ صوتك

يا سكينه ، فقد أحرقت كبدي ، وقطعت نياط قلبي ، هذا قميص أبيك الحسين عليه السلام لا يفارقني حتى ألقى الله به ، ثم انتبهت وأردت كتمان ذلك المنام ، وحدثت أهلي فشاع بين الناس .

أقول : وقد ذكرت هذه القضية في كتاب الأنوار النعمانية على وجه آخر ، وهو أن الحریم لما ادخلن في السبي إلى يزيد بن معاوية كان يطلع فيهن ويسأل عن كل واحدة بعينها إلى أن قال : فقال يزيد لعنه الله لسكينه : ارجعي مع النسوة حتى آمركن بأمری ، فقالت : يا يزيد إن بكائي أكثره من طيف رأيت ليلة ، قال : قصيه علي ، فأمر السائق في بالوقوف .

فقالت : إني لم أنم منذ قتل أبي الحسين عليه السلام ، لأنني لم أتمكن من الركوب على ظهر جمل أدبر أعجف ، هذا وكلما عثرتني يقهرني هذا زجر بن قيس لعنه الله ويوشحني ضرباً بالسوط ، فلم أر من يخلصني منه . فلعله يزيد وجلسائه .

ثم قالت : زقدت الليلة وإذا أرى قصراً من نور ، شرائفه الياقوت وأركانه من الزبرجد ، وأبوابه من العود القماري . فبينما أنا أنظر إليه وإذا أنا ببابه قد فتحت فخرج منها خمس مشايخ ويقدمهم وصيف ، فتقدمت إليه فقلت : لمن هذا القصر؟ فقال : لأبيك الحسين عليه السلام ، فقلت : ومن هؤلاء المشايخ؟ فقال : هذا آدم وهذا نوح وهذا إبراهيم وهذا موسى وهذا عيسى . فبينما أنا أنظر كلامه وإلى القصر إذ أقبل رجل قمري الوجه ، قابضاً على لحيته حزناً كثيراً ، فقلت : ومن هذا؟ قال : وما تعرفيه؟ قلت : لا . قال : هذا جدك محمد المصطفى ، فدنوت منه وقلت : يا جداه قتلت والله رجالنا وذبحت أطفالنا ، وهتكت حریمنا . يا جداه لو رأيتنا على الأقتاب بغير وطاء ولا غطاء ولا حجاب ، ينظر إلينا البر والفاجر لرأيت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً ، فأحني عليّ وضمني إلى صدره وبكى بكاء شديداً وأنا أحاكيه بهذا وأمثاله .

فقال الوصيف : كفي عنك وغضي من صوتك يا بنت الصّفوة ، فقد أوجعت قلوبنا وقلب سيّدنا وأبكيته وأبكيته ، فأخذ الوصيف بيدي وأدخلني إلى القصر ، وإذا بخمسة نسوة بينهن امرأة ناشرة شعرها على وجهها وعليها ثياب سود ويدها ثوب ملطخ بالدم ، إذا قامت قاموا معها وإذا جلست جلست لجلوسها لاطمة خديها ، جارية دمعها ، وهي تنوح والنساء تجيها بذلك ، فقلت للوصيف : من هؤلاء النسوة؟ فقال : يا سكيّنة هذه حواء وهذه مريم والتي عندها آسية بنت مزاحم ، وهذه أم موسى وهذه خديجة الكبرى . فقلت : وصاحبة القميص المضرج بالدماء؟ فقال : هذه جدّتك فاطمة الزهراء عليها السلام ، فدنوت منها وقلت : السلام عليك يا جدّته فرفعت رأسها وقالت : سكيّنة ؟ قلت : نعم . فقامت لاطمة معولة ، فقالت : ادن مني فضمّنتي إلى صدرها ، فقلت : يا جدّتي على صغر سنّي أيتمت ، فقالت : وا ويلتاه وامهجة قلباه ، من احنا عليك من بعد القتل من جمعك عن الشّات ، أين الرّجال بشريني يا سكيّنة عن حال العليل . فقلت : يا جدّته مراراً كثيرة أرادوا قتله فدفعتم عنه علته ، لأنّه مكبّوب على وجهه ، وقد سلبوه ثيابه ، فلا يطيق النهوض ، ولو تراه عينك حين أركبوه على ظهر أعجف أدبر وقيدوا عنقه بقيد ثقيل ، فبكى ، فقلنا له : ما يبكيك؟ فقال : إذا رأيت قيدي هذا ذكرت أغلال أهل النّار ، فسألناهم فكّه فقيّدوا أيضاً رجله من تحت بطن النّاقة ، فإذا بفخذيه يسيل دماً وقيحاً باكياً نهاره وليله ، إن نظر إلى رأس أبيه ورؤوس الأنصار مشهّرين ، وإن نظر إلينا عاريات مكشّفات .

فكلّما رأى ذلك ازداد بالبكاء ، فلطمت على وجهها ونادت :
وا ولداه وا ضيعته ، هكذا صدر عليكم من بعدنا .

ثمّ إنّها قالت : وجسد القتيل من غسله ومن كفّنه ومن صلّى عليه ومن دفنه ومن زاره ؟ فقلت : لم يكن له غسل غير دموعنا ، وكفّنه السّوافي من رمالها ، ورحلنا عنه ، وزوّاره الطّيور والوحش ، فنادت :

وا حسينا وا ولداه ، وا قلّة ناصراه ، هذا والنساء باكيات معولات لاعوالها ، ثم نظرن إليّ وقلن لي : مهلاً يا بنت الصّفوة ، لقد أهلككِ سيّدتنا ، وأهلكتنا فانتبهت من رقدي هذه ويزيد لعنه الله وجلسائه وامراء بني أميّة ييكون ، فأمرهم بالانصراف فانصرفن .

وفي المنتخب قال : فلمّا سمع يزيد لعنه الله ذلك لطم على وجهه وبكى وقال : ما لي ولقتل الحسين عليه السلام .

وفيه أيضاً نقل عن هند زوجة يزيد قالت : كنت أخذت مضجعي فرأيت باباً من السماء وقد فتحت والملائكة ينزلون كتائب كتائب إلى رأس الحسين عليه السلام وهم يقولون : السلام عليك يا أبا عبد الله ، السلام عليك يا بن رسول الله ، فبينما أنا كذلك إذ نظرت إلى سحابة قد نزلت من السماء ، وفيها رجال كثيرون ، وفيهم رجل دري اللّون ، قمريّ الوجه ، فأقبل يسعى حتى انكبّ عليّ ثانياً الحسين عليه السلام يقبلهما وهو يقول : يا ولدي قتلوك أتراهم ما عرفوك ، ومن شرب الماء منعوك ، يا ولدي أنا جدّك رسول الله ، وهذا أبوك علي المرتضى ، وهذا أخوك الحسن ، وهذا عمّك جعفر ، وهذا عقيل ، وهذان حمزة والعبّاس . ثم جعل يعدّد أهل بيته واحداً بعد واحد .

قالت هند : فانتبهت من نومي فزعة مرعوبة ، وإذا بنور قد انتشر على رأس الحسين عليه السلام ، فجعلت أطلب يزيد لعنه الله وهو قد دخل إلى بيت مظلم ، وقد دار وجهه إلى الحائط وهو يقول : ما لي وللحسين وقد وقعت عليه الهمومات ، فقصصت عليه المنام وهو منكس الرأس .

قال : فلمّا أصبح استدعى بحرم رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال لعنه الله لهّن : أيّما أحبّ إليكنّ المقام عندي أو الرجوع إلى المدينة ولكم الجائزة السنيّة . قالوا : نحبّ أولاً أن ننوح على الحسين عليه السلام . قال اللّعين : افعلوا ما بدا لكم ، ثم اخليت لهّن الحجر والبيوت في

دمشق ، ولم يبق هاشمية ولا قرشية إلا ولبست السواد على الحسين عليه السلام ، وندبوه على ما نقل سبعة أيام .

وفيه أيضاً روي أنه لما قدم آل الله وآل رسوله صلى الله عليه وآله على يزيد لعنه الله في الشام أفرد لهم داراً وكانوا مشغولين بإقامة العزاء ، وأنه كان لمولانا الحسين عليه السلام بنت عمرها ثلاث سنوات ، ومن يوم استشهد الحسين عليه السلام ما بقيت تراه ، فعظم ذلك عليها واستوحشت لأبيها ، وكانت كلما طلبت أباها يقولون لها: غداً يأتي ومعه ما تطلبين إلى أن كانت ليلة من الليالي رأت أباها بنومها .

فلما انتهت صاحت وبكت وانزعجت فهجعوها وقالوا : ما هذا البكاء والعويل؟ فقالت : ائتوني بوالدي وقرّة عيني ، وكلما هجعوها ازدادت حزناً وبكاء ، فعظم ذلك على أهل البيت ، فضجوا بالبكاء وجدّدوا الأحزان ، ولطموا الخدود ، وحشوا على رؤوسهم التراب ، ونشروا الشعور ، وقاموا الصياح ، فسمع يزيد لعنه الله صيحتهم وبكائهم .

فقال : ما الخبر؟ فقالوا : إن بنت الحسين الصغيرة رأت أباها بنومها فانتبهت وهي تطلبه وتبكي وتصرخ ، فلما سمع يزيد اللعين بذلك قال : ارفعوا رأس أبيها وحطوه بين يديها لتنظر إليه وتتسلّى به ، فجاءوا بالرأس الشريف إليها مغطى بمنديل دقيقي فوضع بين يديها ، وكشف الغطاء عنه ، فقالت : ما هذا الرأس؟ فقالوا لها : رأس أبيك ، فرفعته من الطشت حاضنة له وهي تقول : يا أباه من ذا الذي خضبك بدمائك ، يا أبتاه من ذا الذي قطع وريدك ، يا أبتاه من ذا الذي أيتمني على صغر سني ، يا أبتاه من بقي بعدك نرجوه ، يا أبتاه من لليتيمة حتى تكبر ، يا أبتاه من للنساء الحاسرات ، يا أبتاه من للأرامل المسيئات ، يا أبتاه من للعيون الباكيات ، يا أبتاه من للضائعات الغريبات ، يا أبتاه من للشعور المنشورات ، يا أبتاه من بعدك ، واخييتاه يا أبتاه من بعدك ، واغربتاه ليتني كنت لك الفداء يا أبتاه ، ليتني كنت قبل هذا اليوم عمياء يا أبتاه ، ليتني وسدت الشرى ولا

أرى شيبك مخضباً بالدماء ، ثم أنها وضعت فمها على فمه الشريف وبكت بكاء شديداً حتى غشي عليها .

فلما حركوها فإذا هي قد فارقت روحها الدنيا ، فلما رأى أهل البيت ما جرى عليها أعلنوا البكاء واستجدوا العزاء ، وكذلك كل من حضر من أهل دمشق فلم ير في ذلك اليوم إلا بكاءً وبكاءة .

أقول : قد مضى سابقاً في الرزية الثامنة ما نقلناه من علي بن أحمد المالكي في الفصول المهمة أنه لما أدخل نساء الحسين عليه السلام والرأس بين يدي يزيد لعنه الله فجعلت فاطمة وسكينة تتناولان لتنظرا إلى الرأس ، وجعل يزيد اللعين يستره عنهما إلى أن قال : ثم ادخلوا بهن إلى الحرم ، فلما ادخلوا على حرمه لم يبق امرأة من آل يزيد لعنه الله إلا أتتهن وأظهرت التوجع والحزن على ما أصابهن ، وعلى ما نزل بهن ، وأضعفن لهن جميع ما أخذ منهن من الحلّى والثياب بزيادة كثيرة .

وفي كتاب إكسير العبادات وأسرار الشهادات قال الشعبي : وكان ليزيد لعنه الله أخت اسمها هند غير زوجته ، فلما رأتها وثبت قائمة على قدميها ، ثم قالت : أيكن أم كلثوم أخت الحسين عليه السلام ؟ قالت أم كلثم : ها أنا ويليك ابنة الإمام الزكي ، والهمام التقى ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، من قرن الله طاعته بطاعته وعقابه بمعصيته ، ومن فرض الله له الولاية على البدو والحضر ، مبيد الاقران المتوج بالنصر ، مكسر اللات والعزى والهبل .

فأقبلت عليها اخت يزيد لعنه الله وقالت : يا أم كلثوم ولأجل ذلك أخذتكم وبمثلث طلبتم وهونتم يا بني عبد المطلب ، أمثل ربيعة وعتبة وأبي جهل وأضرابهم تسفك دمائهم ، أنسينا أباك يوم بدر وما قتل من رجالنا .

فقالت أم كلثوم : يا أم من خبث من الأولاد ، ويا بنت آكلة الأكباد ، لسنا كنسائكم المشهورات بالزنا ، ولا رجالنا كرجالكم العاكفين

على اللات والعزى ، أليس جندك أبا سفيان الذي حزب على الرسول الأحزاب ، أليس أمك هند الباذلة نفسها لوحشي ، والأكلة كبدة حمزة جهرأ ، أليس أبوك الضارب في وجه إمامه بالسيف ، أليس أخوك القتال أخي ظلماً ، وهو سيد شباب أهل الجنة ، وأهل الكتاب والسنة ، وابن بنت الرسول المخدم بجبرئيل وميكائيل ، وكثير مما ملكتموه في الدنيا ، فإنه في الآخرة قليل .

قال الشعبي : فلم تجبها هند جواب ، ثم وثبت من بعدها عاتكة ابنة يزيد لعنه الله قائمة على قدميها ، ثم نادى : أيتكن سكينه بنت الحسين ؟ فقالت : ها أنا المطلوبة بشار بدر وحنين ، ويلكم أنتم بنا مستهزون ، وبما أنزل بنا شامتون ، فنحن من أهل بيت المصائب ، وأبونا علي بن أبي طالب عليه السلام ، فمن أنت يا ويلك ؟ قالت : أنا عاتكة ابنة يزيد ، صاحبة العز الشامخ ، والذكر الباذخ ، أهل الحق والديانة ، فقالت لها سكينه : ويلك مهلاً إن الله تعالى جعل الدنيا دار بلوى ، وجعل الآخرة لمن ناوى الدنيا ، ولستم يا ويلك مثلنا ، أليس أبوك المفتخر بقتل آل محمد صلى الله عليه وآله ظلماً ، وأمك المعتكفة لعبدها ، فعليك وعليها لعنة الله . وأما فنحن أهل بيت الأحقاف ، ورجالنا أهل الأعراف ، والصفوة من عبدا مناف ، فلم تجبها بجواب عاتكة لعنه الله وقد ألقت حجراً .

قال الشعبي : ثم وثبت من بعدها أم حبيبة امرأة يزيد لعنه الله وقالت : أيتكن شهزنان ابنة كسرى أنوشيروان ، فقالت : ها أنا بنت الملك ، ومن جمع لها فخر الدنيا والآخرة في المملكة درجت ، وفي الإمامة هديت ، وأنا زوجة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله المقتول ظلماً ، وابن الوصي المرتضى ، من أنت يا ويلك ؟ قالت : أنا أم حبيب زوجة يزيد صاحب العز والفخر ، ومن خضعت لبطاعته جميع أهل الأمصار .

قال الشعبي : فأقبلت عليها زوجة الحسين عليه السلام ونادت : وا عجباه أين البعير من الفرس ، وأين ضوء الشمس من الغلس ، ونحن ملوك الأنصار ورجالنا السادة الأطهار ، وأنتم بنو أمية أخس كلاب النار .

ثم تلت : ﴿ وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴾ ويلكم أفبأجدادكم الجاهلية ، وأولادكم تفتخرون ، أم بقهركم لنا تصولون .

قال : فسكتت ولم تتكلم ، وكانت لها جارية كانت نائمة فانتبهت من نومها ولطمت وجهها ومزقت ما كان عليها من الثياب الفاخرة وقالت : شأهت وجوهكم وقعست جدودكم يا أولاد الشجرة الملعونة في القرآن ، ونسل الرجس والطغيان ، يا آل أبي سفيان ، المتهمين في أنسابكم والمعروفين بقبائح أحسابكم ، حيث لم يصح إسلامكم ، ولم يثبت عند الله إيمانكم ، ويلكم هؤلاء أولاد اليسوب الزكي ، والبرّ التقي ، أمير المؤمنين علي عليه السلام ، ثم أنشأت تقول :

وجوهاً نورها يزهر كنور البدر والشمس
رسول الله والطهر خيار الجن والإنس
حسين السبط مقتول بسيف الفاسق الرجس

قال الشعبي : ثم خرجت إلى يزيد لعنه الله منشورة الشعر فقالت : ويلك يا يزيد كفت عن أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام ، فإنّي كنت الساعة نائمة فرأيت في منامي كأن أبواب السماء قد فتحت ، ورأيت أربعة من الملائكة قد أحاطوا بقصرك وهم يقولون : احرقوا هذه الدار ، وقد سخط على أهلها الملك الجبار .

قال سهل : وكانت هذه المرأة زوجة ليزيد لعنه الله ، فقال اللعين لها : ويلك وترئين لأولاد فاطمة الزهراء ، والله لأقتلنك أشرف قتلة .

قالت له : وما ينجنيني من القتل؟ قال : قومين على قدميك وتسبين علي بن أبي طالب وعترته ، فإنك تنجين من القتل . قالت : نعم أفعل

ذلك إذا أنت أحضرت من يسمع مقالتي ، فأمر لعنه الله بإحضار الناس ، فلما اجتمعوا قامت قائمة على قدميها وقالت : يا معشر من حضر إن هذا يزيد بن معاوية لعنه الله قد أمرني أن أسب علي بن أبي طالب وعترته ، ألا فانصتوا لما أقول : ألا لعنة الله ولعنة اللأعنين والملائكة والناس أجمعين على يزيد وأبيه وجده أبي سفيان وحزبه وأتباعه إلى يوم الدين .

قال : فلما سمع الناس كلامها غضب يزيد لعنه الله تعالى غضباً شديداً وقال لعنه الله : من يكفيني أمرها ؟ فقام إليها رجل من أهل الشام فضربها ضربة جندلها صريعة ، فانتقلت إلى رحمة الله تعالى .

الرزية الحادية عشرة

في بيان بعض الأمور التي صارت سبباً لإطلاق يزيد لعنه الله أهل البيت عليهم السلام زائداً على ما مرّ وفي مدفن رأس الحسين (ع) ورجوع أهل البيت من الشام إلى المدينة

في خبر أبي مخنف بعد ذكر خطبة الإمام عليه السلام واحتجاجاته على يزيد لعنه الله وأمره بضرب عنق المؤذن .

قال : ثم إن أهل الشام كأنهم نيام ، فانتبهوا فعطّلوا الأسواق وجددوا العزاء وأظهروا المصيبة لأهل العباء ، وقالوا : والله ما علمنا أنه رأس الحسين عليه السلام ، وإنما قيل رأس خارجي خرج بأرض العراق ، فلما سمع يزيد لعنه الله تعالى ذلك استعمل لهم الاجزاء من القرآن ، وفرّقها في المسجد ، فكانوا إذا صلّوا وفرغوا من صلاتهم وضعوها بين أيديهم ليشتغلوا بها عن ذكر الحسين بن علي عليهما السلام ، فلم يشغلهم عن ذكره شيئاً .

قال : فأمر يزيد لعنه الله بإحضارهم وقام خطيباً وقال : يا أهل الشام أنتم تقولون أنني قتلت الحسين عليه السلام ، أو أمرت بقتله ، وإنما قتله

ابن مرجانة ، ثم دعى بالذين حضروا قتل الحسين عليه السلام ، فحضرُوا بين يديه ، فالتفت إلى شيث بن ربعي لعنه الله وقال له : يا ويلك ءأنت قتلت الحسين عليه السلام أو أنا أمرتك بقتله ، فقال شيث : أنا والله ما قتلته ولعن الله من قتله ، قال : من قتله؟ قال : قتله المصابرين وهيبه ، فالتفت إليه يزيد الملعون وقال له : ءأنت قتلت الحسين صلوات الله عليه أو أنا أمرتك بقتله ، قال : لا والله ما قتلته ولعن الله من قتله ، قال : فمن قتله؟ قال : قتله شمر بن ذي الجوشن الضبابي لعنه الله تعالى ، فالتفت إليه وقال له : يا ويلك أنت قتلت ما قتلته أو أنا أمرتك بقتله ، فقال : لا والله ما قتلته ، قال لعنه الله : فمن قتله؟ قال : قتله سنان بن أنس النخعي لعنه الله ، فقال له : أنت قتلت ما قتلته؟ قال : لا . قال : من قتله؟ قال : خولى بن يزيد الأصبحي لعنه الله . فقال : أنت قتلت ما قتلته؟ قال : لا ، ولعن الله من قتله . قال لعنه الله : أراني ينظر بعضكم بعضاً ! قالوا : قتله قيس بن ربيع ، قال له : أنت قتلت الحسين صلوات الله عليه؟ قال : ما قتلته . قال : ألا من قتله يا ويلكم؟

قال قيس : أقول لك يا يزيد من قتله ولي الأمان؟ قال : قل ولك الأمان . قال : والله ما قتل الحسين وأهل بيته إلا من عقد الرايات وصبّ الماء على الأقطاع ، وصيّر الجيوش جيشاً بعد جيش ، فقال يزيد لعنه الله : ومن ذاك؟ فقال : أنت والله يا يزيد . قال : فغضب يزيد من قوله ونهض ودخل داره ووضع الرأس في طشت وغطاه بمنديل ديبقي ووضع في حجره وجعل يلطم خدّه وهو يقول : ما لي وقتل الحسين صلوات الله عليه .

هذا وقد نقل جمعاً من أصحاب المقاتل منهم : السيد رحمه الله في كتاب (اللهوف) ، وابن نما في (مثير الأحزان) : أن يزيد لعنه الله قال لعلي بن الحسين عليهما السلام : اذكر حاجاتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن ، فقال له :

الأولى : أن تريني وجه سيدي ومولاي وأبي الحسين عليه السلام
فأتزوّد منه وأنظر إليه وأودّعه .

والثانية : أن ترد علينا ما أخذ منا .

والثالثة : إن كنت عزمت على قتلي أن توجّه مع هؤلاء النسوة من
يردهنّ إلى حرم جدّهنّ .

فقال : أمّا وجه أبيك فلن تراه أبداً ، وأمّا قتلك فقد عفوت عنك ،
وأمّا النساء فما يردهنّ إلى المدينة غيرك . وأمّا ما أخذ منكم فأنا أعرضكم
عنه أضعاف قيمته .

فقال عليه السلام : أمّا مالك فلا نريده وهو مؤفّر عليك ، وإنما
طلبت ما أخذ منا لأنّ فيه مغزل فاطمة بنت محمد صلّى الله عليه وآله
ومقنعتها وقلادتها وقميصها ، فأمر برّد ذلك وزاد فيه من عنده مائتي دينار ،
فأخذها زين العابدين عليه السلام وفرقها في الفقراء والمساكين ، ثم أمر
برّد الأسارى وسبايا البتول إلى أوطانهم بمدينة الرسول صلّى الله عليه
وآله .

وفي شرح شافية أبي فراس وغيره أنّه لما قال علي بن الحسين
عليهما السلام : يا يزيد أريد أن تريني وجه أبي وسيدي ومولاي الحسين
عليه السلام ، وقال له : لن تراه أبداً ، كان الرأس الشريف في طشت من
العسجد مغطى بمنديل ديبقي ، فإذا بالمنديل ارتفع وناداه : السلام عليك
يا ولداه ، السّلام عليك يا علي ، فصاح علي بن الحسين عليهما السلام :
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أبتاه ، أيتمتني على صغري ،
وذهبت يا أبتاه عني ، وفرق بيني وبينك ، فها أنا راجع إلى حرم جدي
رسول الله صلّى الله عليه وآله ، أودعتك الله واسترعيك ، وأقرأ عليك
السلام .

قال : فضج المجلس بالبكاء والعيول حتى ارتجت الأرض فخشي يزيد لعنه الله من انقلاب الناس عليه فقام ودخل منزله .

القول في مدفن رأس الحسين عليه السلام :

قال ابن نما : وأما الرأس الشريف اختلف الناس فيه ، قال قوم : إن عمرو بن سعيد دفنه بالمدينة .

وعن منصور بن جمهور أنه دخل خزانة يزيد بن معاوية لما فتحت وجد فيها جونة حمراء ، فقال لغلامه سليم : احتفظ بهذه الجونة فإنها كنز من كنوز بني أمية ، فلما فتحها فإذا فيها رأس الحسين عليه السلام ، وهو مخضوب بالسواد ، فقال لغلامه : اتني بشوب فأتاه بشوب فلفه فدفنه في دمشق عند باب الفراديس عند الباب الثالث مما يلي المشرق .

وحدثني جماعة من أهل مصر أن مشهد الرأس عندهم يسمونه مشهد الكريم عليه من الذهب شيء كثير يقصدونه في المواسم ويزورونه ، ويزعمون أنه مدفون هناك ، والذي عليه المعول من الأقوال أنه أعيد إلى الجسد بعد أن طيف به في البلاد ودفن معه (انتهى) .

أقول : قال ابن الجوزي واختلفوا في الرأس على أقوال أشهرها : أنه رد إلى المدينة مع السبايا ، ثم رد إلى الجسد ب كربلاء ، فدفن معه . قاله هشام وغيره .

والثاني : أنه دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام ، قاله ابن سعد .

قال : لما وصل إلى المدينة كان سعيد بن العاص والياً عليها ، فوضعه بين يديه وأخذ بأرنبه أنفه ثم أمر به فكفن ودفن عند أمه فاطمة عليها السلام .

وذكر الشعبي أن مروان بن الحكم كان بالمدينة فأخذه وتركه بين يديه وتناول أرنبة أنفه وقال لعنه الله :

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين

والثالث : أنه بدمشق حكى ابن أبي الدنيا قال : وجد رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد لعنه الله بدمشق ، فكفنوه ودفنوه بباب الفرديس .

وكذا ذكر البلاذري في تاريخه قال : هو بدمشق في دار الإمارة .

وكذا ذكر الواقدي أيضاً .

والرابع : أنه بمسجد الرقة على الفرات بالمدينة المشهورة ، ذكره عبدالله بن عمر الوراق في كتاب المقتل . وقال : لما حضر الرأس بين يدي يزيد بن معاوية قال : لأبعثه إلى أبي معيط عوضاً عن رأس عثمان ، وكانوا بالرقة فبعثه إليهم فدفنوه في بعض دورهم ، ثم ادخلت تلك الدار في المسجد الجامع . قال : وهو إلى جانب ستره هناك وعليه شية النيل لا يذهب شتاء ولا صيفاً .

والخامس : أن الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفرديس إلى عسقلان ، ثم نقلوه إلى القاهرة وهو فيها وله مشهد عظيم يزار .

قال ابن الجوزي ، وكذا في التبر المذاب عن عبدالله بن عمر الوراق في كتاب المقتل أنه لما حضر الرأس بين يدي ابن زياد لعنه الله أمر حجاجاً فقال : قوره^(١) فقوره وأخرج لغايدته ونخاعه وما حوله من اللحم ، واللغايد ما بين الحنك وصفحة العنق من اللحم ، فقال عمرو بن الحريث المخزومي فقال لابن زياد : قد بلغت حاجتك من هذا الرأس فهب لي ما

(١) التقوير: القطع مدوراً .

القيت منه ، فقال : ما تصنع به ، فقال : أواريه . فقال : خذه فجمعه في مطرف خَزَّ كان عليه وحمله إلى داره وهي بالكوفة تعرف بدار الخزدار عمرو بن الحريث المخزومي فغسله وطيَّه وكفَّنه ودفنه في داره .

قال ابن الجوزي : وفي أيِّ مكان كان رأسه أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر ، قاطن في الأسرار والخواطر ، أنشدنا بعض مشايخنا في هذا المعنى :

لا تطلبوا المولى الحُسين بأرض شرق أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي

وفي البحار قال صاحب المناقب : وذكر الإمام أبو العلا الحافظ بإسناده عن مشايخه أنَّ يزيد بن معاوية حين قدم عليه رأس الحسين عليه السلام بعث إلى المدينة فأقدم عليه عدَّة من موالي بني هاشم ، وضَمَّ إليهم عنده موالي أبي سفيان ، ثم بعث بثقل الحسين عليه السلام ، ومن بقي من أهله معهم وجهزهم بكلِّ شيء ، ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلَّا أمر لهم بها ، وبعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن سعيد ابن العاص وهو إذ ذاك عامله على المدينة ، فقال عمرو لعنه الله : وددت أنه لم يبعث به إليَّ ، ثم أمر عمرو به فدفن بالبقيع عند قبر أمِّه فاطمة عليها السلام .

قال : وذكر غيره أنَّ سليمان بن عبد الملك بن مروان رأى النبي صلَّى الله عليه وآله في المنام كأنه يبرِّه ويلطفه فدعى الحسن البصري فسأله عن ذلك ؟ فقال : لعلك اصطنعت إلى أهله معروفاً .

فقال سليمان : إنِّي وجدت رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد بن معاوية ، فكسوته خمسة من الدِّياج ، وصليت عليه في جماعة من أصحابي وقبرته ، فقال الحسن : إنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله رضي عنك بسبب ذلك فأحسن إلى الحسن وأمر له بالجوائز .

قال : وذكر غيره أن رأسه عليه السلام صلب بدمشق ثلاثة أيام ، ومكث في خزائن بني أمية حتى ولي سليمان بن عبد الملك ، فطلب فجاء به وهو عظم أبيض ، فجعله في سبط وطّيه وجعل عليه ثوباً ودفنه في مقابر المسلمين بعدما صلّى عليه ، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز بعث إلى المكان يطلب منه الرأس ، فأخبر بخبره فسأل عن الموضع الذي دفن فيه ، فنبشه وأخذه والله أعلم ما صنع به ، فالظاهر من دينه أنه بعث إلى كربلاء فدفن مع جسده عليه السلام .

قال المجلسي رحمه الله : هذه أقوال المخالفين في ذلك .

والمشهور بين علمائنا الإمامية أنه دفن رأسه مع جسده رده علي بن الحسين عليهما السلام ، وقد وردت أخبار كثيرة في أنه مدفون عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، ولنذكر هنا بعضها إن شاء الله تعالى .

فأقول : منها ما في كامل الزيارة لابن قولويه رحمه الله ، روي عن أبيه ومحمد بن يعقوب ، عن علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن يحيى بن زكريا ، عن يزيد بن عمر بن طلحة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام وهو بالحيرة : أما تريد ما وعدتك؟ قال : قلت بلى يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام . قال : فركب وركب اسماعيل معه وركبت معهم حتى إذا جاء الثوبة وكان بين الحيرة والنجف عند زكوات بيض نزل ونزل اسماعيل ونزلت معهم ، فصلّى وصلّى اسماعيل وصلّيت معهم ، فقال لاسماعيل : قم فسلم على جدك الحسين بن علي عليهما السلام ، فقلت : جعلت فداك أليس الحسين عليه السلام بكربلاء؟ فقال : نعم ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجانب أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

ومنها : ما في فرحة الغري بالإسناد عن محمد بن أحمد بن داود ، عن محمد بن علي ، عن عمّه قال : حدثني ابن حماد ابن زهير القرشي ، عن يزيد بن إسحق شعر عن أبي السخيف الأرموي قال : حدثنا عمر بن

عبدالله بن طلحة الهندي ، عن أبيه قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : فذكر حديثاً فحدثنا قال : فمضينا معه يعني أبا عبدالله عليه السلام حتى انتهينا إلى الغري ، فصلّى عليه السلام فاتى موضعاً فصلّى ، ثم قال لاسماعيل : قم فصلّ عند رأس أبيك حسين عليه السلام ، قلت : أليس قد ذهب برأسه عليه السلام إلى الشام؟ قال : بلى ، ولكن فلان مولى لنا سرقه فجاء به فدفنه ههنا .

وفي الكامل بإسناده عليه السلام إلى علي بن اسباط رفعه قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إنك إذا أتيت الغري رأيت قبرين قبراً كبيراً وقبراً صغيراً ، فأما الكبير قبر أمير المؤمنين . وأما الصغير فرأس الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين .

وفيه أيضاً في خبر طويل بإسناده عن يونس بن ظبيان قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بالحيرة إلى أن قال : فلما خرجنا من الحيرة قال : تقدم يا يونس فاقبل يقول عليه السلام تيامن تياسر ، فلما انتهينا إلى الذكوات الحمر قال : هو المكان . قلت : نعم . فتيامن ثم قصد إلى موضع فيه ماء وعين فتوضأ ثم دني من أكمة فصلّى عندها ، ثم مال عليها وبكى ، ثم مال إلى أكمة دونها ففعل مثل ذلك ، ثم قال : يا يونس افعل مثل ما فعلت ذلك ، فلما تفرغت قال لي : يا يونس تعرف هذا المكان؟ قلت : لا . فقال : الموضع الذي صليت عنده أولاً قبر أمير المؤمنين عليه السلام والأكمة الأخرى رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، إن الملعون عبيدالله بن زياد لما بعث برأس الحسين بن علي عليه السلام إلى الشام ردّ إلى الكوفة فقال : اخرجوه عنها لا يفتن به أهلها ، فصيّره الله عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام فالرأس مع الجسد والجسد مع الرأس .

قال المجلسي رحمه الله بعد ذكر بعض هذه الرواية في البحار: بيان قوله فقال أي عبيدالله لعنه الله تعالى .

قوله : فالرأس مع الجسد : أي بعدما دفن هناك ظاهراً الحق بالجسد بكرهلاء أو صعد به مع الجسد إلى السماء كما في بعض الأخبار ، أو أن بدن أمير المؤمنين عليه السلام كالجسد لذلك الرأس ، وهما من نور واحد .

وقال : قد روي غير ذلك من الأخبار في الكافي وفي التهذيب تدل على كون رأسه عليه السلام مدفوناً عند قبر والده صلوات الله عليه والله يعلم .

وقال في كتاب تظلم الزهراء : رأيت في مسند الزهراء لبعض علمائنا خبراً غريباً روي عن فرات بن أحنف قال : كنت مع أبي عبد الله عليه السلام ، فلما صرنا إلى الثوبة نزل فصلان ركعتين ، فقلت : يا سيدي ما هذه الصلاة؟ قال : هذه موضع منبر القائم عليه السلام أحببت أن أشكر الله في هذا الموضع ، ثم مضى ومضيت معه حتى انتهى إلى القائم الذي على الطريق ، فنزل فصلان ركعتين ، فقلت : ما هذه الصلاة؟ قال : ههنا نزل القوم الذين كان معهم رأس الحسين عليه السلام في صندوق ، فبعث الله عز وجل طيراً فاحتمل الصندوق بما فيه ، فمر بهم جمال فأخذوا رأسه وجعلوه في الصندوق وحملوه ، فنزلت وصليت ههنا شكراً لله ، ثم مضى ومضيت معه حتى انتهى إلى موضع فنزل فصلان ركعتين ، وقال : ههنا قبر أمير المؤمنين عليه السلام (الحديث) .

وقال صاحب الكتاب المذكور : واختطاف الطير الصندوق لا ينافي صيرورته إلى مولى من مواليتهم عليهم السلام آخر ، بل يحتمل أن يكون الطير هو المولى الذي سرقه واختطفه كالطير فدفنه وعلى التقديرين إنما كان هذا بعد رده من الشام لمكان المعجزات المشاهدة من رأسه المقدس صلوات الله عليه .

وقال السيد بن طاووس رحمه الله في كتاب إقبال الأعمال : اعلم أن إعانة رأس المقدس مولانا الحسين صلوات الله عليه إلى جسده الشريف

يشهد به لسان القرآن العظيم المنيف حيث قال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . فهل بقي شكّ حيث أخبر الله تعالى أنه من حيث استشهد حيّ عند ربّه مرزوق مصون فلا ينبغي أن يشكّ في هذا العارفون .

وأما كيفية إحيائه بعد شهادته وكيفية جمع رأسه الشريف إلى جسده بعد مفارقتة ، فهذا سؤال يكون فيه سوء أدب من العبد وإقدام ما لم يكلف العلم به ، ولا السؤال عن صفاته .

وأما تعيين الإعادة يسوم الأربعين من قتله والوقت الذي قتل فيه الحسين صلوات الله عليه ونقله الله جلّ جلاله إلى شرف فضله ، وقد كان الإسلام مقلوباً والحق مغلوباً ، وما تكون الإعادة بأمور دنيوية ، والظاهر أنها بقدرة الإله تعالى ، لكن وجدت نحو عشرون رواية مختلفة في حديث الرأس الشريف ، كلّها منقولات ، ولم أذكر إلى الآن أنني وقفت ولا رويت تسمية أحد ممّن كان من الشّام حتى أعادوه إلى جسده الشريف بالحائر عليه أفضل السلام ، ولا كيفية لحمله من الشّام إلى الحائر على صاحبه أكمل التحية والإكرام ، ولا كيفية لدخول حرمة المعظم ، ولا من حضر ضريحه المقدّس المكرّم حتى عاد إليه ، وهل وضعه موضعه من الجسد أو في الضريح مضموماً فليقصر الإنسان على ما يجب عليه من تصديق القرآن من أن الجسد المقدّس تكمل عقيب الشهادة ، وأنه حيّ يرزق في دار السّعادة ، ففي بيان الكتاب العزيز ما يغني عن زيادة دليل وبرهان .

أقول : وفي المنتخب لما كان اليوم الثامن من الأيام التي ناحوا فيها على الحسين عليه السلام دعاهم يزيد وعرض عليهم المقام ، فأبّين وأردن الرجوع إلى المدينة ، فأحضر لهم المحامل وزينها ، وأمر بالانقطاع الأبريسم وصبّ عليها الأموال ، وقال : يا أم كلثوم خذوا هذا المال عوض ما أصابكم ، فقالت أم كلثوم : يا يزيد ما أقلّ حياثك وأصلب وجهك ،

تقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم مالا ، والله لا كان ذلك أبداً .

وقال أبو مخنف : فأعطاهم مالا كثيراً وأخلف على كل واحدة منهم ومنهم ما أخذ منه ، وزاد عليه من الحلى والثياب والأثاث ، ثم دعى بالجمال فأبركوها فوطأها لهم بأحسن وطأ وأجمله ، فدعا بقواد من قواده وضم إليه خمسمائة فارس ، وأمره بالمسير إلى المدينة .

وقال المفيد رحمه الله : ثم ندب يزيد لعنه الله النعمان بن بشير فقال له : تجهز لتخرج بهؤلاء النسوة إلى المدينة ، ولما أراد أن يجهزهم دعى علي بن الحسين عليهما السلام فاستخلى به ، ثم قال له : لعن الله ابن مرجانة ، أم والله لو أني صاحب أبيك ما سألتني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياها ولدفعت الحنف عنه بكل ما استطعت ، ولكن الله قضى ما رأيت ، كاتبني من المدينة وأنهى كل حاجة تكون لك ، وتقدم بكسوته وكسوة أهله وأنفذ معهم في جملة النعمان بن بشير رسولا تقدم إليه أن يسير بهم في الليل ويكونوا أمامه حيث لا يفوتون طريقه ، فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم ، وينزل منهم من حيث إذا أراد إنسان من جماعتهم وضوء أو قضاء حاجة لم يحتشم ، فسار معهم في جملة النعمان ولم يزل يسايرهم في الطريق ويرفق بهم كما وصاه يزيد لعنه الله .

وفي الفصول المهمة : فقالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام لأختها : أحسن هذا الرجل إلينا ، فهل لك أن تصليه بشيء؟ فقالت : والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذه الحلى . فقالت : فافعلي . فأخرجت له سوارين ودملجين وبعثتا بهما إليه ، فردهما وقال : لو كان الذي صنعتَه رغبة للدنيا لكان في هذا مقنع بزيادة كثيرة ، ولكني والله ما فعلته إلا لله تعالى ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفي المنتخب : فقلن النساء له : بحق الله عليك إلا ما عرجت بنا إلى طريق كربلاء ، ففعل ذلك حين وصل إلى تلك الناحية ، وكان

قدومهم إلى ذلك المصرع في يوم العشرين من صفر ، فوجدوا هناك جابر بن عبدالله الأنصاري وجماعة من نساء بني هاشم ، وتلاقوا في وقت واحد ، فأخذوا بالنوح والبكاء ، وإقامة المآتم إلى ثلاثة أيام .

وفي كتاب تظلم الزهراء عن كتاب بشارة المصطفى للبيعة المرتضى تأليف محمد بن أبي القاسم الطبري ، مسنداً عن الأعمش ، عن ابن عطية العوفي قال : خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاري رحمه الله زائراً قبر الحسين عليه السلام ، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات ، فاغتسل ثم أتزر بإزار وارتدى بآخر ، ثم فتح صرة فيها سعد^(١) ، فثرها على بدنه ، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله حتى إذا دنى من القبر قال : أَلْمِسْنِيهِ فَأَلْمَسْتُهُ فخرّ على القبر مغشياً عليه ، فرششت عليه شيئاً من الماء ، فلما أفاق قال : يا حسين ثلاثاً ، ثم قال : حبيب لا يجيب حبيبه .

ثم قال : وأنى لك بالجواب وقد شحطت^(٢) أوداجك^(٣) على اشباخك^(٤) وفرق بين بدنك ورأسك ، فاشهد أنك ابن خير النبيين ، وابن سيد المؤمنين ، وابن حليف التقوى ، وسليل^(٥) الهدى ، وخامس أصحاب

(١) السعد بالضم طيب معروف .

(٢) قوله : وقد شحطت بكسر الحاء على بناء المجرد من الشحط وهو الاضطراب في الدّم أو على بناء للمجهول من باب التفعيل . يقال : شحطه تشحيطاً ضرجه بالدم فتشحط تضرج به ، واضطرب فيه ، وعلى التقديرين تعديته بعلى يتضمن معنى الصّب والأظهر شحبت بالحاء المعجمة المفتوحة والباء الموحدة كما في بعض النسخ ، والشخب السيلان ، وقد ورد مثله في الحديث كثيراً كقوله صلى الله عليه وآله : إن المقتول يجيء يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً والأوداج هي ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح .

(٣) وقيل : الودجان عرقان غليظان عن جانبي ثغرة المنحر .

(٤) الشبخ الوسط وما بين الكاهل إلى الظهر والجمع باعتبار الأجزاء .

(٥) السليل : الولد .

الكساء ، وابن سيّد النقباء ، وابن فاطمة سيّدة النساء ، وما لك لا تكون
هكذا وقد غدتك كفّ سيّد المرسلين ، ورُيت في حجر المتقين ،
ورضعت من ثدي الإيمان ، وفطمت بالإسلام^(١) ، فطبت حياً وطبت ميتاً ،
غير أن غلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك ، ولا شاكّة في حياتك ، فعليك
سلام الله ورضوانه ، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك
يحيى بن زكريّا .

ثم جال يبصره حول القبر وقال : السّلام عليك أيّها الأرواح التي
حلّت بفناء الحسين ، وأناخت برحله ، أشهد أنكم أقمتم الصّلاة وآتيتم
الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ، وجاهدتم الملحدين ، وعبدتم
الله حتى أتاكم اليقين ، والذي بعث محمداً بالحقّ لقد شاركناكم فيما
دخلتم فيه .

قال ابن عطية : فقلت لجابر : فكيف ولم نهبط وادياً ولم نعل
جبلاً ، ولم نضرب بسيف والقوم قد فرّق بين رؤوسهم وأبدانهم ، وأيتمت
أولادهم ، وأرملت الأزواج .

فقال لي : يا ابن عطية سمعت حبيبي رسول الله صلّى الله عليه وآله
يقول : من أحبّ قوماً حشر معهم ، ومن أحبّ عمل قوم أشرك في
عملهم ، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحقّ أنّ نيتي ونية
أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه (الحديث)^(٢) .

قال السيّد رحمه الله : ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة .

قال بشير بن حذام : فلما قربنا منها نزل علي بن الحسين عليهما

(١) قوله : وفطمت بالإسلام كناية عن سبق الإسلام ، واستقراره فيه بأن كان عند الفطام
مغذياً بالإيمان والإسلام من بحار .

(٢) الظاهر هذه الرواية مسنداً لها الأعمش عن عطية كما يفهم في ذيلها فتأمل (منه) .

السلام ، فحط رحله وضرب فسطاطه ، وأنزل نسائه وقال : يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعراً ، فهل تقدر على شيء منه؟ قلت : بلى يا ابن رسول الله إني لشاعر . قال : فادخل المدينة وأنع أبا عبدالله عليه السلام .

قال بشير : فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة ، فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول :

يا أهل يشرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فادمعي مدرار
الجسم منه بكر بلاء مضرَج والرأس منه على القناة يدار

ثم قلت : هذا علي بن الحسين عليهما السلام مع عماته واخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه .

قال : فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن مخمصة وجوههن ، ضاربات خدودهن ، يدعون بالويل والثبور . فلم أرباكياً ولا باكية أكثر من ذلك اليوم ، ولا يوماً أمر على المسلمين منه ، وسمعت جارية تنوح على الحسين عليه السلام فتقول :

نعي سيدي ناع نعاء فأوجعا فعيني جودا بالدموع واسكبا
وجودا بدمع بعد دمعكما معاً على من دهى هرش الجليل فزعزعا
فأصبح هذا المجد والذين أجدها

على ابن نبي الله وابن وصيه وإن كان عنا شاخص الدار أشسعا

ثم قالت : آيتها الناعي جددت حزننا بأبي عبدالله عليه السلام ، وخذشت منا قروحاً لما تندمل ، فمن أنت يرحمك الله؟ فقلت : أنا بشير بن حذام ، وجهني مولاي علي بن الحسين عليهما السلام وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبدالله عليه السلام ونسائه .

قال : فتركوني مكاني وبادروا ، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم ،

فوجدت الناس قد أخذت الطرق والمواضع ، فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من باب القسطنطين ، وكان علي بن الحسين عليهما السلام داخلاً فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه وخلفه خادم معه كرسي فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة ، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين النسوة والجواري ، والناس من كل ناحية يعزونه ، فضجت تلك البقعة ضجة شديدة ، فأوماً بيده أن اسكتوا ، فسكنت فورتهم .

فقال عليه السلام : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، بارئ الخلائق أجمعين ، الذي بعد فارتفع في السموات العلى ، وقرب فشهد النجوى . نحمده على عظام الأمور ، وفجائع الدهور ، وألم الفجائع ، ومضاضة اللواذع ، وجليل الرزء ، وعظيم المصائب ، القاطعة الكاظمة ، الفادحة الجائحة . أيها القوم إن الله له الحمد ابتلانا بمصائب جليلة ، وثلمة في الإسلام عظيمة . قتل أبو عبدالله عليه السلام وعترته ، وسبي نسائه وصبيته ، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان ، وهذه الرزية لا مثلها رزية .

أيها الناس : فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله ، أم آية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها ، فلقد بكت السبع الشداد لقتله ، وبكت البحار بأمواجها ، والسموات بأركانها ، والأرض بأرجائها ، والأشجار بأغصانها ، والحيتان في لجج البحار ، والملائكة المقربون ، وأهل السموات أجمعون .

يا أيها الناس : أي قلب لا يتصدع لقتله ، أم أي فؤاد لا يحزن إليه ، أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام .

أيها الناس : أصبحنا مطردين مشردين شاسعين عن الأمصار ، كأننا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، إن هذا إلا اختلاق فوالله لو أن النبي صلى الله عليه وآله تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم

في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فلنا لله وإنا إليه راجعون
من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها واكضها وأفظعها وأمرها وأقبحها ،
فعند الله نحتسبه فيما أصابنا وما بلغ بنا ، إنه عزيز ذو انتقام .

قال : فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان ، وكان زمناً فاعتذر إليه
صلوات الله عليه بما عنده من زمانة رجليه ، فأجابه بقبول معذرتة وحسن
الظن فيه ، وشكر له وترحم على أبيه .

وفي المنتخب : وأما أم كلثوم فحين توجهت إلى المدينة جعلت
تبكي وتقول :

مدينة جدنا لا تقبلينا	فبالحسرات والأحزان جئنا
ألا فإخبر رسول الله عنا	بأننا قد فجعنا في أبينا
وإن رجالنا بالطف صرعى	بلا رؤوس وقد ذبحوا البنينا
وأخبر جدنا أننا أسرنا	وبعد الأسر يا جد أسينا
ورحطك يا رسول الله أضحوا	عرايا بالطفوف مسليننا
وقد ذبحوا الحسين	ولم يراعوا جنابك يا رسول الله فينا
فلو نظرت عيونك للأسارى	على أقتاب الجمال محملينا
رسول الله بعد الصون صارت	عيون الناس ناظرة إلينا
وكنت تحوطنا حتى تولت	عيونك ثارت الأعداء علينا
أفاطم لو نظرت إلى السبايا	بناتك في البلاد مشتينا
أفاطم لو نظرت إلى الحيارى	ولو أبصرت زين العابديننا
أفاطم لو رأيتنا سهارى	ومن سهر الليالي قد عمينا
أفاطم ما لقيتي من عداكي	ولا قيراط ممّا قد لقينا
فلو دامت حياتك لم تزالي	إلى يوم القيامة تندبيننا
وعرج بالبقيع وقف ونادي	أين حبيب رب العالمينا
وقل يا عم يا الحسن المزكى	عيال أخيك أضحوا ضائعينا
أيا عمّاه إن أخاك أضحى	بعيداً عنك بالرمضا رهينا

بلا رأس تنوح عليه جهراً
 ولو عاينت يا مولاي ساقوا
 على متن النياق بلا وطاء
 مدينة جذنا لا تقبلينا
 خرجنا منك بالأهلين جمعاً
 وكنا في الخروج بجمع شمل
 وكنا في أمان الله جهراً
 ومولانا الحسين لنا أنيس
 فنحن الضائعات بلا كفيل
 ونحن السائرات على المطايا
 ونحن بنات يس وطه
 ونحن الطاهرات بلا خفاء
 ونحن الصابرات على البلايا
 ألا يا جذنا قتلوا حسيناً
 ألا يا جذنا بلغت عدانا
 لقد هلكوا النساء وحملوها
 وزينب أخرجوها من خباها
 سكينه تشتكي من حر وجد
 وزين العابدين بقيد ذل
 فبعدهم على الدنيا تراب
 وهذي قصتي مع شرح حالي
 الطيور والوحوش الموحشينا
 حريماً لا يجدن لهم معينا
 وشاهدت العيال مكشفيننا
 فبالحسرات والأحزان جثنا
 رجعنا لا رجال ولا بنينا
 رجعنا حاسرين مسليننا
 رجعنا بالقطيعة خائفينا
 رجعنا والحسين به رهينا
 ونحن النائحات على أخينا
 نشال على جمال المبغضينا
 ونحن الباقيات على أيمننا
 ونحن المخلصون المصطفونا
 ونحن الصادقون الناصحونا
 ولم يرعوا جناب الله فينا
 مشاهدا واشتفى الأعداء فينا
 على الأقتاب قهراً أجمعينا
 وفاطم وآله تبدي الأنينا
 تنادي الغوث رب العالمينا
 وراموا قتله أهل الخؤنا
 فكأس الموت فيها قد سقينا
 ألا يا سامعون ابكوا علينا

قال الراوي : وأما زينب فأخذت بعضادتي باب المسجد ونادت : يا
 جداه إني ناعية إليك أخي الحسين عليه السلام ، وهي مع ذلك لا تجف
 لها عبرة ، ولا تفسر من البكاء والنحيب ، وكلما نظرت إلى علي بن
 الحسين عليهما السلام تجدد حزنها وزاد وجدها .

وقال أبو مخنف : فسمعت أم لقمان صراخ زينب وأم كلثوم وعاتكة وصفية ورقية وسكينة ، فخرجت حاسرة الرأس ومعها أترابها وأم هاني ورملة وأسماء بنات علي بن أبي طالب عليه السلام ، فجعلن يبكين ويندبن الحسين عليه السلام .

قال : وكان دخولهم المدينة يوم الجمعة والخاطب يخطب الناس ، فذكروا الحسين صلوات الله عليه وما جرى عليه ، فتجددت الأحزان واشتملت عليهم المصائب ، وصاروا ما بين باك وناحب ، وأقبلت أهل المدينة بأسرها ، وكان أشبه الأيام بموت النبي صلى الله عليه وآله ، ثم قال : وأقبلت أم كلثوم إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله باكية العين ، حزينة القلب ، فقالت : السلام عليك يا جداه ، إني ناعية إليك ولدك الحسين عليه السلام .

قال : فحنّ القبر حنيناً عالياً ، وضجت الناس بالبكاء والنحيب ، ثم أقبل علي بن الحسين عليهما السلام إلى قبر جدّه ومرغ خديّه وبكى ، ثم خرج من عند قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ودخل على عمّه محمد بن الحنفية وأخبره بقتل أبيه ، فبكى حتى غشي عليه . فلما أفاق من غشوته قام وتدرع بدرعه وتقلد بسيفه وركب جواده وصعد الجبل ، والناس يشاهدون ، وغاب وما ظهر إلا في وقت ظهر فيه المختار رحمه الله .

قال : وأقامت الرجال والنساء يندبون الحسين عليه السلام في المدينة خمسة عشر يوماً .

أقول : ثم إني بعدما نقلت ما ذكر عن الكتب المعتبرة وقفت على بعض الكتب القديمة ، ذكر فيه بعض ما يزيد على ما نقلناه لفظاً ومعنى ، فأحببت تذييل المقام بنقل ما فيه من الزيادة ، خاتمة للمرام .

قال : فلما بلغوا أرض كربلاء نزلوا في موضع مصرعه ووجدوا

جماعة من بني هاشم وغيرهم ، وقد وردوا إلى زيارة الحسين عليه السلام فتلاقوا في وقت واحد ، وأخذوا بالبكاء والنحيب واللطم ، وأقاموا العزاء إلى مدة ثلاثة أيام ، واجتمع إليهم نساء أهل السواد ، فخرجت زينب عليها السلام في الجمع ، وأهوت إلى جيبها فشقتة ونادت بصوت حزين يقرح القلوب : واأخاه وا حسيناه وا حبيب رسول الله وابن مكة ومنى ، وابن فاطمة الزهراء ، وابن علي المرتضى ، آه ثم آه ووقعت مغشية عليها ، وخرجت أم كلثوم لاطمة الخذين تنادي برفع الصوت : اليوم مات محمد المصطفى ، اليوم مات علي المرتضى ، اليوم ماتت فاطمة الزهراء وباقي النساء لاطمات ناعيات نائحات قائلات : وا مصيبتاه وا حسناه وا حسيناه . فلما رأت سكينه ما حل بالنساء رفعت صوتها تنادي : وا محمداه وا جداه يعز عليك ما فعلوا بأهل بيتك ما بين مسلوب وجريح ، ومسحوب وذبيح ، وا حزني أسفاً ، ثم أمر علي بن الحسين عليهما السلام بشد رحاله ، فشدوها ، فصاحت سكينه بالنساء لتوديع قبر أبيها ، فدرن حوله فحضنت القبر الشريف وبكت بكاء شديداً ، وحنّت وأنت وأنشأت تقول :

ألا يا كربلاء نودعك جسماً بلا كفن ولا غسل دفيننا
ألا يا كربلاء نودعك روحاً لأحمد والوصي مع الأميننا

قال : ثم فصلوا من كربلاء طالبين المدينة ، فلما قربوا من المدينة بمنزلة امر علي بن الحسين عليهما السلام بأن يحطوا رحالهم ، فضرب فسطاطه وأنزل النساء والأطفال ونادى : يا بشير ، فقال : لييك يا مولاي . قال : رحم الله أباك ، فلقد كان شاعراً فهل تحسن شيئاً من الشعر؟ فقال : نعم . قال عليه السلام : قم الآن وادخل المدينة وانع أبا عبد الله الحسين عليه السلام ، ولو بيتين من الشعر ، قال : فركبت فرسي وسرت حثيثاً إلى أن دخلت المدينة ، فلما بلغت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء وأنا أقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فادمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرّج والرأس منه على القنّاة يدار

قال : ثم قلت يا أهل المدينة هذا علي بن الحسين عليهما السلام
ومعه اخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم وقد تركته
بموضع كذا ، فارتجت المدينة بأهلها فما بقيت مخدّرة إلا وبرزت من
خدرها وهنّ يندبن بالويل والثبور ، فلم أرباكياً أكثر من ذلك اليوم .

قال بشر : فضربت فرسي وإذا بطرق المدينة مسدودة من كثرة النساء
والرجال ، وهم يبكون ويلطمون إلى أن خرجوا من المدينة .

قال : ولم يكن لمحمد بن الحنفية علم بذلك الخبر الشنيع ، فسمع
أصواتاً عالية ورجّة عظيمة ، فقال : والله ما رأيت مثل هذه الزلزلة إلا يوم
مات فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ما هذه الصيحة؟ فلم يقدر أحد
أن يخبره بسوء لخوفهم عليه من الموت ، لأنّه قد أنحله المرض ، فلجّ
عليهم بالسؤال ، فتقدم إليه رجل من غلمانه وقال : جعلت فداك يا ابن أمير
المؤمنين عليه السلام ، إنّ أخاك الحسين عليه السلام قد أتى أهل الكوفة
وغسّدوا به وقتلوا ابن عمّه مسلم بن عقيل ، فرجع عنهم وأتى بأهله
وأصحابه سالمين .

فقال له : لم لا يدخل عليّ أخي؟ قالوا : ينتظر قدومك إليه ، ثم
نهض فوق تارة يقوم وتارة يسقط ، ثم يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم ، فحسّ قلبه بالشرّ ، فقال : إنّ فيها والله مصائب آل يعقوب
عليه السلام .

ثم قال : أين أخي ، أين ثمرة فؤادي ، أين الحسين عليه السلام ،
ولم يعلم بقتله ، فقالوا : يا مولانا أخوك بالموضع الفلاني ، ثم أركبوه
جواده ونسج عليه حلّة عظيمة ، ثم أتت خدّامه أمامه حتى خرج من
المدينة ، فلم ير إلا أعلاماً سوداً . فقال : ما هذه الأعلام السود؟ والله قتل

الحسين بنوأمية ، فصاح صيحة عظيمة وخرّ عن جواده إلى الأرض مغشياً عليه .

فركض الخادم إلى زين العابدين عليه السلام وقال : يا مولاي أدرك عمك قبل أن تفارق روحه الدنيا ، فخرج الإمام عليه السلام ويده خرقه سوداء يمسح بها دموعه إلى أن أتى إلى عمه ، فأخذ رأسه ووضعها في حجره .

فلما أفاق قال : يابن أخي أين أخي ، أين قرّة عيني ، أين نور بصري ، أين أبوك ، أين خليفة أبي ، أين أخي الحسين عليه السلام؟ فقال علي عليه السلام : يا عمّاه أتيك يتيماً ليس معي إلا نساء حاسرات في الذبول ، عاسرات باكيات نادبات وللمحامي فاقدات ، يا عمّاه لو تنظر إلى أخيك وهو يستغيث فلا يغاث ، ويستجير فلا يجار ، مات وهو عطشان والماء يشربه كلّ حيوان ، فصرخ محمد بن الحنفية حتى غشي عليه .

فلما أفاق من غشوته قال : قصّ عليّ يابن أخي ما أصابكم ، فجعل يقصّ عليه القصة والإمام عليه السلام عيناها كأنهما ميزاب ويده خرقه يمسح بها دموعه ، فلم يزل يخبره حتى لم تبق له قوّة أبداً ، فما كان ساعة إلا وقد أتت نساء أهل المدينة ، فتلقتهن نساء الحسين عليه السلام بلطم يكاد الصخر يتصدّع له ، ثم دخلوا ، فلما دخل الإمام عليه السلام إلى دار الرسول صلّى الله عليه وآله وجدها مقفرة خالية من سكّانها ، موحشة العرصات لفقد الأئمة الهداة ، جعل يبكي وزاد حزنه صلوات الله عليه وسلامه ، والله درّ من قال من الرجال :

وقفت على دار النبي محمد	فألقيتها قد أقفرت عرصاتها
وأمتت خلاء من تلاوة قارىء	وعطلّ منها صومها وصلاتها
وأقوت من السّادات من آل هاشم	ولم يجتمع بعد الحسين شتاتها
فعيني لقتل السّبط عبرى ولو عتي	لفقدتهم ما تنقضي زفراتها

قال الراوي : فخرجت أم سلمة من الحجرة الطاهرة وفي إحدى يديها القارورة ، وقد صارت التربة فيها دماً ، وقد أخذت بالأخرى يد فاطمة العليّة بنت الحسين عليه السلام ، فلما رأى أهل البيت أم المؤمنين والتربة المنقلبة بالدم ، ضاعف بكائهم ، فتعانقوا مع أم المؤمنين وسألوا عن حال فاطمة العليّة ، فأمرت أم سلمة لهم بالصبر .

وفي الفصول المهمة : وكان من جملة من كان معهم أم سكينه بنت الحسين بن علي عليهما السلام ، وهي الرباب ابنة امرئ القيس ، فلما وصلت إلى المدينة معهم وأقامت قليلاً خطبها الأشراف من قريش ، فقالت : ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبقيت بعده سنة لم يظّلها سقف بيت إلى أن ماتت .

وفي الكامل بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : بكى علي بن الحسين بن علي صلى الله عليهم عشرين سنة أو أربعين سنة ، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولاة : جعلت فداك يا بن رسول الله ، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين ، فقال عليه السلام : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ، واعلم من الله ما لا تعلمون ، إني لم أذكر مصرع ابن فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة .

وفيه أيضاً بإسناده عن إسماعيل بن منصور ، عن بعض أصحابنا ، قال : أشرف مولى لعلي بن الحسين عليهما السلام وهو في سقيفة له ساجد يبكي ، فقال له : يا علي بن الحسين أما آن لحزنك أن ينقضي ، فرفع رأسه إليه فقال : ويلك أوثكلتك أمك ، والله لقد شكى يعقوب عليه السلام إلى ربّه في أقلّ ممّا رأيت ، حين قال : يا أسفي على يوسف ، وإنّه فقد ابناً واحداً ، وأنا رأيت أبي عليه السلام وجماعة أهل بيتي يسدّحون حولي . قال : وكان علي بن الحسين عليهما السلام يميل إلى ولد عقيل ، فقيل له : ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون أولاد جعفر ، فقال :

إني أذكر يومهم مع أبي عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام فأرق لهم .

ثم قال السيد رحمه الله : فقد روي عن مولانا زين العابدين عليه السلام وهو ذو الحلم الذي لا يبلغ الوصف إليه ، إنه كان كثير البكاء لتلك البلوى وعظيم البث والشكوى .

فروي عن الصادق عليه السلام أنه قال : إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله ، فإذا حضر الإفطار جاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول : كل يا مولاي ، فيقول عليه السلام : آكل وقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله جائعاً ، وأشرب وقتل ابن رسول الله عطشاً ، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه من دموعه ، ويمزج شرابه من دموعه ، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل .

وحدث مولى له : أنه عليه السلام برز يوماً إلى الصحراء قال : فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشية ، فوقف وأنا أسمع شهيقة وبكائه ، وأحصيت عليه ألف مرة وهو يقول : لا إله إلا الله حقاً ، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً ، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً ، ثم رفع رأسه من سجوده وإن لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه ، فقلت : يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقل . فقال لي : ويحك إن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام كان نبياً ابن نبي ، له اثني عشر ابناً ، فغيب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن ، واحدودب ظهره من الغم ، وذهب بصره من البكاء وابنه حي في دار الدنيا ، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين ، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي .

قال المجلسي رحمه الله في ترجمة جلاء العيون : بعد نقل هذا الحديث يمكن أن يكون بكائه عليه السلام من خوف الله . قال : كما

يظهر من مناجاته ، ولما كانت هذه المصائب العظيمة لها مدخل في ذلك أظهر عليه السلام كون بكائه لأجل ذلك الضرب من المصلحة ، وإظهار كفر قتلته عليه السلام وقبح أفعالهم لعنهم الله على أن بكاء المقربين على بعضهم بعضاً ليس لأجل المحبة البشرية ، بل لإغراض أخرى .

وهنا لما كان زين العابدين عليه السلام عالماً بأحوال والده عليه السلام مما لا يخفى على غيره ويعلم أنه أحب الخلق إلى الله وأن فقدته سبب لضلالة الناس وضياع الدين ، واندراس شريعة سيد المرسلين ، وظهور البدع بكى عليه السلام لذلك (انتهى).

أقول : وقال بعض الثقات : لا حاجة إلى هذه التكاليفات ، وليس ينحصر بكاء المقربين بالخوف من الله تعالى ، بل لا يكون بكائهم إلا مرضياً لله تعالى ، ولا ريب أن البكاء لفقد الأحبة والاباء والأولاد مرضي لله تعالى مطلوب محبوب له ، ألا ترى أن نبينا صلى الله عليه وآله بكى على موت ولده إبراهيم ، فقبل له يا رسول الله تبكي وأنت تنهانا عن البكاء . فقال صلى الله عليه وآله : إن هذا رحمة ومن لا يرحم لا يرحم ، فما ظنك بالبكاء على مصيبة الحسين ابن بنت الرسول وقرّة عين البتول ، وثمرة فؤاد سيف الله المسلول ، التي هي من أعظم الطاعات ، وأفضل القربات ، وأشرف العبادات ، حتى أن من خرج من عينيه مثل جناح الذباب من الدموع عليه صلوات الله عليه كان ذلك كفارة لما لا يحصى من ذنوبه ، وموجباً لرفع الدرجات ونيل الطلبات والنعيم الأبدي ، والخلود السرمدي ، فبكائه عليه السلام لذلك غير قاذح في فضيلته فضلاً عن عصمته عليه السلام .

الرزية الثانية عشرة

فيما ظهر بعد شهادته عليه السلام من بكاء السماء والأرض عليه سلام الله
وانكساف الشمس والقمر وضجيج الملائكة ونوح الجن وغير ذلك عليه
صلوات الله وسلامه

روى ابن قولويه في كامل الزيارة بإسناده إلى زرارة قال : قال أبو
عبدالله عليه السلام : يا زرارة إن السماء بكت على الحسين عليه السلام
أربعين صباحاً بالدم ، وإن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد ، وإن
الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة ، وإن الجبال تقطعت
وانشردت ، وإن البحار تفجرت ، وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على
الحسين عليه السلام وما اختضبت منا امرأة ولا أذهنت ولا اكتحلت ، ولا
رجلت حتى أتانا رأس عبيدالله بن زياد لعنه الله ، وما زلنا في عبرة بعده ،
وكان جدي إذا ذكره بكى حتى تملاً عيناه لحيته ، وحتى يبكي لبكائه
رحمة له من رآه ، وإن الملائكة الذين عند قبره ليكون فيكي لبكائهم كل
من في الهواء والسماء . ولقد خرجت نفسه صلى الله عليه وآله وسلم
فزفرت جهنم زفرة كادت الأرض تنشق لسفرتها ، وقد خرجت نفس
عبيدالله بن زياد لعنه الله ويزيد بن معاوية فشقت جهنم شهقة لولا أن الله
حبسها بخزانها لأحرقت من على ظهر الأرض من نورها ، ولو يؤذن لها ما
بقي شيء إلا ابتلعت ، ولكنها مأمورة مصفودة ، ولقد عتت على الخزان غير
مرة حتى أتاه جبرئيل فضربها بجناحه فسكنت ، وأنها لتبكيه وتندبه ، وأنها
لتلظى على قاتله ، ولولا من على الأرض من حجج الله تعالى لنقضت
الأرض واكفئت ما عليها وما تكثر الزلازل إلا عند اقتراب الساعة ، وما
عين أحب إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه ، وما من باك
يبكيه إلا وقد وصل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه ، ووصل رسول الله
صلى الله عليه وآله ، فأدى حقنا وما من عبد يحشر إلا وعينه باكية إلا
الباكين على جدي ، فإنه يحشر وعينه قريرة والبشارة تلقاه ، والسرور بين

على وجهه ، والخلق في الفرع وهم آمنون ، والخلق يعرضون وهم
 حداث الحسين عليه السلام تحت العرش ، وفي ظل العرش لا يخافون
 سوء الحساب . يقال لهم : ادخلوا الجنة فيأبون ويختارون مجلسه
 وحديثه ، وأن الحور لترسل إليهم أنا قد اشتقناكم مع الولدان المخلدن ،
 فما يرفعون رؤوسهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة ، وأن
 أعدائهم من بين مسحوب بناصيته إلى النار ، ومن قاتل ما لنا من شافعين
 ولا صديق حميم . وإنهم ليرون منزلتهم وما يقدر أن يدنوا إليهم ولا
 يصلوا إليهم ، وإن الملائكة لتأتيهم بالرسالة من أزواجهم ومن خزانهم
 على ما أعطوا من الكرامة ، فيقولون : نأتيكم إن شاء الله فيرجعون إلى
 أزواجهم بمقالاتهم ، فيزدادون إليهم شوقاً إذا هم خبروهم بما هم فيه من
 الكرامة وقربهم من الحسين صلوات الله عليه ، فيقولون : الحمد لله الذي
 كفانا الفرع الأكبر وأهوال القيامة ، ونجاناً مما نخاف ، ويؤتون بالمراكب
 والرحال على النجائب ، فيستنون عليها وهم في الثناء على الله والحمد لله
 والصلاة على محمد وعلى آله حتى ينتهوا إلى منازلهم .

وروي فيه أيضاً بإسناده عن أبي بصير قال : كنت عند أبي عبد الله
 عليه السلام وأحدثه ، فدخل عليه ابنه فقال له : مرحباً وضمه وقبله وقال :
 حقر الله من حقركم وانتقم ممن وترككم ، وخذل الله من خذلكم ، ولعن
 الله من قتلكم ، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصرأ ، فقد طال بكاء النساء
 وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء ، وملائكة السماء . ثم بكى عليه
 السلام وقال : يا أبا بصير إذا نظرت إلى ولد الحسين عليه السلام أتاني ما
 لا أملكه بما أتى إلى أبيهم واليهم . يا أبا بصير إن فاطمة عليها السلام
 لتبكيه وتشق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكائها وقد استعدوا
 لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض
 فيكبحونها ما دامت باكية ، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل
 الأرض ، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة عليها السلام ، وإن البحار
 تكاد أن تنفلق فيدخل بعضها على بعض ، وما منها قطرة إلا بها ملك

موكل ، فإذا سمع الموكل صوتها أطفأ نارها بأجنحته وحصرها بعضها على بعض مخافة على الدنيا ومن فيها ، ومن على الأرض . فلا تزال الملائكة مشفقين يكون لبكائها ويدعون الله ويتضرعون إليه ويتضرع أهل العرش ومن حوله ، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله سبحانه مخافة على أهل الأرض ، ولو أن صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقلعت الجبل وزلزلت الأرض بأهلها .

قلت : جعلت فداك إن هذا الأمر عظيم . قال : غيره أعظم منه ما لم تسمعه ، ثم قال لي : يا أبا بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام ، فبكيت حين قالها ، فما قدرت على النطق ، وما قدرت على كلامي من البكاء ، ثم قام إلى المصلى يدعو وخرجت من عنده على تلك الحال ، فما انتفعت بطعام وما جاء لي النوم وأصبحت صائماً وجلاً حتى أتيت ، فلما رأيته قد سكن سكنت وحمدت الله حيث لم ينزل بي عقوبة .

وفيه أيضاً عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن القاسم بن يحيى ، عن جده الحسن بن راشد ، عن الحسين بن ثوير قال : كنت أنا ويونس بن ظبيان ، والمفضل بن عمر وأبو سلمة السراج جلوساً عند أبي عبدالله عليه السلام ، فكان المتكلم يونس ، وكان أكبرنا سنّاً ، وذكر حديثاً طويلاً يقول : ثم قال أبو عبدالله عليه السلام : إن أبا عبدالله عليه السلام لما مضى بكت عليه السموات السبع وما فيهن ، والأرضون السبع وما فيهن ، وما بينهن ، وما ينقلب في الجنة والنار ، ومن خلق ربنا وما يرى وما لا يرى ، بكى على أبي عبدالله عليه السلام إلا ثلاثة أشياء لم تبك عليه . قلت : جعلت فداك ما هذه الثلاثة أشياء ؟ قال عليه السلام : لم تبك عليه البصرة ولا دمشق ولا آل عثمان بن عفان ، وذكر الحديث .

وفيه أيضاً عن أبيه ، عن سعد ، عن عبدالله بن أحمد ، عن

عمرو بن سهل ، عن علي بن مسهر القرشي ، قال : حَدَّثَنِي جَدَّتِي أَنَّهَا أَدْرَكَتِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حِينَ قُتِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَمَكَّثْنَا سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَالسَّمَاءُ مِثْلَ الْعَلَقَةِ مِثْلَ الدَّمِ مَا تَرَى الشَّمْسُ .

وفيه أيضاً بإسناده عن داود بن فرق ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : احمرت السماء حين قتل الحسين بن علي عليهما السلام سنة ، ثم قال : بكت السماء والأرض على الحسين بن علي عليهما السلام سنة ، قال : وعلى يحيى بن زكريا عليه السلام وحمرتها : بكائها .

وقال فيه أيضاً : حَدَّثَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ النَّاقِدُ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ وَأَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي نَصْرَةَ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، أَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْنَا أَهْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَنَوَاحِيهَا عَشِيَّةَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، قُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَا رَفَعْنَا حَجْرًا وَلَا مَدْرًا وَلَا صَخْرًا إِلَّا وَرَأَيْنَا تَحْتَهَا دُمًّا يَغْلِي ، وَاحْمَرَّتِ الْحِبْطَانُ كَالْعَلَقِ ، وَمَطَرْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ دُمًّا عَيْيَطًا ، وَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يَنَادِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يَقُولُ :

أَتَرْجُو أُمَّةً قَتَلْتَ حُسَيْنًا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ
مَعَاذَ اللَّهِ لَا نَلْتَمِ يَقِينًا شَفَاعَةَ أَحْمَدَ وَأَبِي تَرَابِ
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَخَيْرَ الشَّيْبِ طَرًّا وَالشَّبَابِ

وانكسفت الشمس ثلاثاً ، ثم تجلّت عنها وانشبكت النجوم ، فلمّا كان من الغد ارجعنا بقتله ، فلم يأت علينا كثير شيء حتى نعي إلينا الحسين عليه السلام .

وروي فيه أيضاً بإسناده إلى عبد الملك بن مقرن ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا زرتم أبا عبد الله صلوات الله عليه فالزموا الصّمت إلا من خير ، وإنّ ملائكة الليل والنّهار من الحفظة تحضر الملائكة الذين بالحيرة فتصافحهم فلا يجيبونها من شدّة البكاء ، فينتظرونهم حتى تزول

الشمس وحتى ينور الفجر ، ثم يكلمونهم ويسألونهم عن أشياء من أمر السماء . فأما ما بين هذين الوقتين فإنهم لا ينطقون ولا يفترون عن البكاء والدعاء ولا يشغلونهم في هذين الوقتين عن أصحابهم ، فإنما شغلهم بكم إذا نطقتم .

قلت : جعلت فداك وما الذي يسألونهم عنه؟ وأيهم يسأل صاحبه الحفظة؟ أو أهل الحائر؟ . قال : أهل الحائر يسألون الحفظة ، لأن أهل الحائر من الملائكة لا يبرحون ، والحفظة تنزل وتصعد . قلت : فما ترى يسألونهم عنه؟ قال عليه السلام : إنهم يمرّون إذا عرجوا بإسماعيل صاحب الهواء ، فربما وافقوا النبي صلى الله عليه وآله عنده وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من مضى منهم ، فيسألونهم عن أشياء ، ومن حضر منكم الحائر ، ويقولون : بشروهم بدعائكم ، فتقول الحفظة : كيف نبشّركم وهم لا يسمعون كلامنا ؟ فيقولون لهم : باركوا عليهم وادعوا لهم عنا ، فهي البشارة منا ، وإذا انصرفوا فحفوهم بأجنتكم حتى يحسّوا مكانكم ، وإنّا نستودعهم الذي لا تضيع ودائعه ، ولو يعلمون ما في زيارته من الخير ويعلم ذلك الناس لاقتتلوا على زيارته بالسيوف ، ولباعوا أموالهم في إتيانه ، وإن فاطمة عليها السلام إذا نظرت إليهم ومعها ألف نبي وألف صديق وألف شهيد ومن الكرويين ألف ألف يساعدونها على البكاء ، وإنها عليها السلام لتشهق شهقة فلا يبقى في السموات ملك إلا بكى رحمة لصوتها ، وما تسكن حتى يأتيها أبوها صلى الله عليه وآله فيقول : يا بنيّة قد أبكيت أهل السموات وشغلتهن عن التسبيح والتقديس ، فكفي حتى يقدّسوا ، فإن الله بالغ أمره ، وإنها لتنظر إلى من حضر منكم فتسأل الله لهم من كلّ خير ولا تزهدوا في إتيانه ، فإن الخير في إتيانه أكثر من أن يحصى .

وفيه أيضاً عن أبيه وأخيه معاً ، عن أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى معاً ، عن العمركي ، قال : حدثنا يحيى وكان في خدمة أبي

جعفر الثاني عليه السلام ، عن علي ، عن صفوان الجمال ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألت في طريق المدينة ونحن نريد مكة ، فقلت : يا بن رسول الله ما لي أراك كئيباً حزيناً منكسراً؟ فقال عليه السلام : لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسألتني ، فقلت : وما الذي تسمع؟ قال عليه السلام : ابتهاج الملائكة إلى الله جلّ وعزّ على قتلة أمير المؤمنين ، وقتلة الحسين عليهما السلام ، ونوح الجنّ وبكاء الملائكة الذين حولهم ، وشدة جزعهم ، فمن يتهاً مع هذا بطعام أو شراب أو نوم ، وذكر الحديث .

وأيضاً فيه بإسناده عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أربعة آلاف ملك شعث غبر سيكون الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة ، فلا يأتيه أحد إلاّ استقبلوه ، ولا يمرض أحد إلاّ عادوه ، ولا يموت أحد إلاّ شهدوه .

وفيه أيضاً بإسناده عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله وكلّ بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعث غبر ، يكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس ، وإذا زالت الشمس هبط أربعة آلاف ملك ، وصعد أربعة آلاف ملك ، فلم يزل يكونه حتى يطلع الفجر ، وذكر الحديث .

وفي أمالي الصدوق بسنده عن هارون بن خارجة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : وكلّ الله عزّ وجلّ بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً ، يكون إلى يوم القيامة ، فمن زاره عارفاً بحقه شيعوه حتى يبلغوه مأمنه ، وإن مرض عادوه غدوة وعشيّاً ، وإن مات شهدوا جنازته واستغفروا له إلى يوم القيامة .

وفي الكامل مسنداً عن ابن بن تغلب قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين عليه السلام ، شعث غبر ، يكونه إلى يوم القيامة ، رئيسهم ملك يقال له منصور ، ولا يزوره زائر إلاّ

استقبلوه ، ولا يودّعه مودّع إلا شيعوه ، ولا يمرض إلا عادوه ، ولا يموت إلا صلّوا على جنازته واستغفروا له بعد موته .

أقول : قد أوردنا بعض أخبار هذه الرزية في الرزية الثانية وغيرها ، وهي في مطر السماء دماً وبكاء السماء والأرض ، ومن فيها ، أزيد من عدد التواتر ، تركنا خوفاً للإطالة .

وفي كامل الزيارة بإسناده عن حريز قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ما أقلّ بقائكم أهل البيت وأقربُ آجالكم بعضها من بعض مع حاجة هذا الخلق إليكم ، فقال عليه السلام : إنّ لكل واحد منّا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدّته ، فإذا انقضى ما فيها ممّا أمر به عرف أنّ أجله قد حضر ، وأتاه النبي صلّى الله عليه وآله ينعي إليه نفسه ، وأخبره بمآله عند الله وأنّ الحسين صلوات الله عليه قرأ صحيفته التي أعطيها ، وفسر له ما يأتي وما يبقى ، وبقي منها أشياء لم تنقُض ، فخرج إلى القتال وكانت تلك الأمور التي بقيت أنّ الملائكة سألت الله عزّ وجلّ في نصرته ، فأذن لهم ، فكانت تستعد للقتال ، وتأهّبت لذلك حتى قتل ، فنزلت وقد انقطعت مدّته ، وقتل صلوات الله عليه ، فقالت الملائكة : يا ربّ أذنت لنا في الانحذار ، وأذنت لنا في نصرته ، فأنحدرنا وقد قبضته ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم أن الزموا قبته حتى ترونها وقد خرج فأنصروه وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته ، وإنكم خصصتم بنصرته والبكاء عليه ، فبكت الملائكة تقرباً وجزعاً على ما فاتهم من نصرته ، فإذا خرج صلوات الله عليه يكونون من أنصاره عليه السلام .

وفي العوالم والبحار عن بعض كتب المناقب المعتبرة مسنداً عن هند بنت الجون ، قالت : نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله بخيمة خالتها أمّ معبد ومعه عليه السلام أصحاب له ، فكان من أمره في الشاة ما قد عرفه الناس ، فقال في الخيمة هو وأصحابه حتى أبرد ، وكان يوم قائف شديد

حرّه ، فلمّا قام من رقدته دعا بماء فغسل يديه فأنقاهما ثم مضى فاه ومجّه على عوسجة كانت إلى جنب خيمة خالتها ثلاث مرّات ، واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه وذراعيه ، ثم مسح برأسه ورجليه وقال لهذه العوسجة شأن ، ثم فعل من كان معه من أصحابه مثل ذلك ، ثم قام فصلّي ركعتين فعجبت وفتيات الحيّ من ذلك وما كان عهدنا ولا رأينا مُصلياً قبله .

فلما كان من الغد أصبحنا وقد علت العوسجة حتى صارت كأعظم دوحة عادية ، وأبهى وخضد^(١) الله شوكتها ، وساخت عروقها ، وكثرت أفنانها ، واخضر ساقها وورقها ، ثم أثمرت بعد ذلك وأينعت بثمر كأعظم ما يكون من الكماة في لون الورس المسحوق ، ورائحة العنبر وطعم الشهد ، والله ما أكل منها جائع إلا شبع ، ولا ظمآن إلا روي ، ولا سقيم إلا برىء ، ولا ذو حاجة وفاقة إلا استغنى ، ولا أكل من ورقها بغير ولا ناقة ولا شاة إلا سمّنت ودرّ لبنها ، ورأينا النماء والبركة في أموالنا منذ يوم نزل واخصبت بلادنا وأمرعت ، فكنا نسمّى تلك الشجرة المباركة ، وكان يأتينا من حولنا من أهل البوادي يستظلّون بها ، ويتزوّدون من ورقها في الاسفار ، ويحملونه معهم في الأرض القفار ، فيقوم لهم مقام الطعام والشراب ، فلم تزل كذلك وعلى ذلك أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمارها ، واصفر ورقها ، فأحزننا ذلك وفرقنا له ، فما كان إلا قليل حتى جاء نبي رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فإذا هو قد قبض عليه السلام ذلك اليوم ، فكانت بعد ذلك تثمر ثمرأً دون ذلك في العظم والطعم والرائحة ، فأقامت على ذلك ثلاثين سنة .

فلما كانت ذات يوم أصبحنا وإذا بها قد تشوكت من أولها إلى آخرها ، فذهبت نضارة عيدانها ، وتساقط جميع ثمرها ، فما كان إلا يسيراً حتى وافى مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فما

(١) خضدت الشجر قطعت شوكتها (بحار).

أثمرت بعد ذلك لا قليلاً ولا كثيراً ، وانقطع ثمرها ، ولم نزل ومن حولنا
 نأخذ من ورقها ونداوي مرضانا ونستشفى به من أسقامنا ، فأقامت علي
 ذلك برهة طويلاً ، ثم أصبحنا ذات يوم فإذا بها قد انبعث من ساقها دماً
 عبيطاً جارياً ، وورقها ذابلة تقطر دماً كماء اللحم ، فقلنا : إن قد حدثت
 عزيمة فبتنا ليلتنا فزعين مهمومين ، نتوقع الداهية ، فلما أظلم الليل علينا
 سمعنا بكاء وعويلاً من تحتها وجلبة شديدة ورحية ، وسمعنا صوت باكية
 تقول :

أيا ابن النبي ويا ابن الوصي يا بقيّة سادتنا الأكرمين
 ثم كثرت الرّنات والأصوات ، فلم نفهم كثيراً ممّا كانوا يقولون ،
 فأتانا بعد ذلك قتل الحسين عليه السلام ، ويست الشجرة ، وجفت
 فكسرتها الرياح والأمطار بعد ذلك ، فذهبت واندرس أثرها .

قال عبدالله بن محمد الأنصاري : فلقيت دعبل بن علي الخزاعي
 بمدينة الرسول صلّى الله عليه وآله ، فحدّثه بهذا الحديث ، فلم ينكره ،
 فقال : حدّثني أبي عن جدّي عن أمّه سعيدة بنت مالك الخزاعية أنّها
 أدركت تلك الشجرة فأكلت من ثمارها على عهد علي بن أبي طالب عليه
 السلام ، وأنها سمعت تلك الليلة نوح الجنّ فحفظت من جنيّة منهنّ
 تقول :

يا ابن الشهيد ويا شهيداً عمّه خير العمومة جعفر الطيّار
 عجبت لمصقول أصابك خدّه في الوجه منك وقد علاه غبار

قال دعبل : فقلت في قصيدتي :

زر خير قبر في العراق يزار واعص الحمار فمن نهاك حمار
 لولا ازورك يا حسين لك الفداء قومي ومن عطفت عليه نزار
 ولك المودة في قلوب ذوي النهى وعلى عدوك مقتة ودمار
 يا ابن الشهيد ويا شهيداً عمّه خير العمومة جعفر الطيّار

وفي أمالي الشيخ الطوسي بإسناده عن شيخ من بني تميم كان يسكن الرابية ، قال : سمعت أبي يقول : ما شعرنا بقتل الحسين عليه السلام حتى كان مساء ليلة عاشوراء ، فلنّي لجالس بالرابية ومعني رجل من الحي ، فسمعنا هاتفا تقول :

ما جئتكم حتى بصرت به	بالطف منعفر الخدين منحورا
وحوله فتية تدمي نحورهم	مثل المصابيح يطفون الدجى نورا
وقد حثت قلوبني كي أصادفهم	من قبل أن تتلاقى الحرد ^(١) الحورا
فعاقني قدر والله بالغة	وكان أمراً قضاه الله مقدورا
كان الحسين سراجاً يستضاء به	الله يعلم أنني لم أقل زورا
صلّى إلّاه على جسم تضمّنه	قبر الحسين حليف الخير مقبورا
مجاور لرسول الله في غرف	وللوصي وللطيار مسرورا

فقلنا له : من أنت يرحمك الله؟ قال : أنا والي من جنّ نصيبين أردنا مؤازرة الحسين عليه السلام ، ومواساته بأنفسنا ، فانصرفنا من الحج فأصبناه قتيلاً .

وفي كامل الزيارة عن أبيه ، عن سعد ، عن ابن عبد الله ، عن يعقوب بن يزيد ، عن إبراهيم بن عقبة ، عن أحمد بن عمرو بن مسلم ، عن الميثي قال : خمسة من أهل الكوفة أرادوا نصر الحسين بن علي عليهما السلام ، فعرضوا بقرية يقال لها شاهي ، إذ أقبل عليهم رجلان شيخ وشاب ، فسَلّما عليهم .

قال : فقال الشيخ : أنا رجل من الجنّ ، وهذا ابن أخي أراد نصر هذا الرجل المظلوم . قال : فقال لهم الشيخ الجنّي : قد رأيت رأياً .

(١) حرد جمع حارد من قولهم أسد حارد غضبان ، أو من حرد الرجل حروداً إذا تحول عن قومه (بحار) .

قال : فقال الفتية الانسيون : وما هذا الرأي الذي رأيت؟ قال : رأيت أن
أطير فأتاكم بخبر القوم ، فتذهبون على بصيرة . فقال له : نعم ما رأيت .

قال : فغاب يومه وليلته ، فلما كان من الغد إذا هم بصوت يسمعون
ولا يرون الشخص وهو يقول :

والله ما جئكم حتى بصرت به	بالطف منعفر الخدين منحورا
وحوله فتية تدمي نحورهم	مثل المصابيح يطفون الدجى نورا
وقد حثت قلوصي كي أصادفهم	من قبل ما أن تلاقوا الخرد الحورا
كان الحسين سراجاً يستضاء به	الله يعلم أنني لم أقل زورا
مجاور لرسول الله في غرف	ولرسول وللطيار مسرورا

فأجابه بعض الفتية من الانسيين يقول :

اذهب فلا زال قبر انت ساكنه	إلى القيامة يسقى الغيث ممطورا
وقد سلكت سبيلاً كنت سالكة	وقد شربت بكأس كان مغرورا
وفتية فرغوا لله أنفسهم	وفارقوا المال والأحباب والدورا

وفيه أيضاً بإسناده عن علي بن الخزور قال : سمعت ليلي وهي
تقول : سمعت نوح الجن على الحسين بن علي عليهما السلام وهي
تقول :

يا عين جودي بالدموع فإنما	يكي الحزين بحرقة وتوجع
يا عين الهاك الرقاد بطيبة	عن ذكر آل محمد وتوجع
باتت ثلاثاً بالصعيد جسومهم	بين الوحوش وكلهم في مصرع

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله في أماليه : بإسناده إلى إبراهيم بن
راحة قال : أول شعر رثي به الحسين بن علي عليهما السلام قول عقبة بن
عمر السهمي من بني سهم بن عود بن غالب :

إذ العين قرّت في الحياة وأنتم تخافون في الدنيا فاظلم نورها

مررت على قبر الحسين بكربلاء
فما زلت أرثيه وأبكي لشجوه
وبكيت من بعد الحسين عصائباً
سلام على أهل القبور بكربلاء
سلام بأصال العشي وبالضحى
ولا برح الوفاد زوار قبره
ففاض عليه من دموعي غزيرها
وسعد عيني دمعها وزفيرها
أطافت به من جانبيها قبورها
وقل لها مني سلام يزورها
توديه نكباء الرياح ومورها
يفوح عليهم مسكها وعبيرها

الفصل الرابع عشر

في ذكر بعض الحوادث المتعقبة لوقعة كربلاء من
تعجيل الله لأعدائه بالبلاء قبل يوم الجزاء ، وتأنيب يزيد
لعنه الله على لسان بعض الأولياء ، وثوران الشيعة لأخذ
الأوتار من الأعداء وأبرزته في مطالب ثلاثة

المطلب الأول

فيما عجله الله من العذاب لأعدائه زيادة على ما مر في أثناء الكتاب

في البحار والعوالم عن بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ،
عن أحمد بن عبدالله بن علي ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبيه ، عن
عبد الرحمن الغنوي ، عن سلمان قال : وهل بقي في السموات ملك لم
ينزل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يعزيه في ولده الحسين عليه
السلام ويخبره بشواب الله إياه ، ويحمل إليه تربته مصروعاً عليها مذبوحاً
مقتولاً طريحاً مخذولاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم اخذل
من خذله ، واقتل من قتله ، واذهب من ذبحه ، ولا تمتعه بما طلب .

قال عبد الرحمن : فوالله لقد عوجل الملعون يزيد ولم يتمتع بعد
قتله ، ولقد أخذ مغافصة بات سكراناً ، وأصبح ميتاً متغيراً ، كأنه مطلي
بقار أخذ على أسف وما بقي أحد ممن تابعه على قتله أو كان في محاربه

عليه السلام إلا أصابه جنون أو جذام أو برص ، وصار ذلك وراثه في نسلهم .

قال أبو مخنف : وقيل : إنه ورد على قلب ماء وقلبه يلهب عطشاً ، وعلى القلب طائر منكر عظيم الجثة ، فأراد اللعين أن يشرب ، فأهوى عليه الطير فابتلعه وطار به نحو السماء ، فرجع ذلك الطير إلى ذلك الماء ، فتقيأه وإذا هو خلقاً سوياً ، فهم أن يشرب الملعون ثانية فأهوى إليه الطير فقطعه بمنقاره إرباً إرباً ويلتقمه ويتقيأه ، وهكذا لم يزل يعذبه إلى يوم القيامة ، ثم الانتقام منه في جهنم فإنها مقره لعنه الله لعناً إلى يوم القيامة .

وروى الصدوق رحمه الله في عقاب الأعمال بإسناده إلى عمار بن عمير التيمي قال : لما جيء برأس عبيد الله بن زياد ورؤوس أصحابه عليهم غضب الله قال : انتهيت إليهم والناس يقولون : قد جاءت فجاءت حية تتخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد لعنه الله ، ثم خرجت من المنخر الآخر .

وفي البحار والعوالم عن المناقب لابن شهر آشوب روي أن الحسين صلوات الله عليه قال لعمر بن سعد لعنه الله : مما يقر لعيني أنك لا تأكل من بر العراق بعدي إلا قليلاً ، فقال لعنه الله مستهزئاً : يا أبا عبد الله في الشّعير خلف ، فكان كما قال عليه السلام لم يصل إلى الرّي وقتله المختار رحمه الله .

وفيه وفي العوالم روي السائل عن السيد المرتضى رضي الله عنه ، عن خبر^(١) روي النعماني في كتاب التّسلي ، عن الصادق عليه السلام أنه

(١) هذا خبر غريب ولم ينكره السيد في الجواب ، وأجاب بما حاصله أننا ننكر تعلّق الرّوح بجسد آخر ولا ننكر تغيير جسمه إلى صورة أخرى ، وأقول : يمكن حمله على التغيير في الجسد المثالي ، أو اجراء جسده الأصلي إلى الصور القبيحة (البحار والعوالم) .

قال : إذا احتضر الكافر حضره رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وعليه عليه السلام وجبرئيل وملك الموت فيدنو إليه علي عليه السلام فيقول : يا رسول الله إنَّ هذا كان يبغضنا أهل البيت فابغضه ، فيقول رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : يا جبرئيل إنَّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فابغضه ، فيقول جبرئيل لملك الموت : إنَّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيته فابغضه واعنف به ، فيدنو منه ملك الموت فيقول : يا عدو الله أخذت فكاك رقبتك ، أخذت أمان برائك ، تمسكت بالعصمة الكبرى في دار الحياة الدنيا؟ فيقول : يا عبدالله وما هي؟ فيقول : ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ، فيقول : ما أعرفها ولا أعتقد بها ، فيقول له جبرئيل : يا عدو الله وما كنت تعتقد فيقول له جبرئيل : أبشر يا عدو الله بسخط الله وعذابه في النار ، أما ما كنت ترجو فقد فاتك ، وأما الذي كنت تخاف فقد نزل بك ، ثم يسأل نفسه سلاً عنيماً ، ثم يوكل بروحه مائة شيطان ، كلهم ييصق في وجهه ، ويتأذى بروحه فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار يدخل إليه من فوح ريحها ولهها ، ثم أنه يؤتى إلى جبال برهوت ، ثم إنه يصير في المركبات بعد أن يجري في كل مسخ مسخوط عليه حتى يقوم قائمنا أهل البيت فيبعثه الله تعالى ، فيضرب عنقه . وذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .

والله لقد أتى بعمر بن سعد لعنه الله بعدما قتل ، وأنه لفي صورة قرد في عنقه سلسلة ، فجعل يعرف أهل الدار وهم لا يعرفونه ، والله لا يذهب الأيام حتى يمسح عدونا مسخاً ظاهراً حتى أن الرجل منهم ليمسح في حياته قرداً أو خنزيراً ، ومن ورائهم عذاب غليظ ، ومن ورائهم جهنم وساءت مصيراً .

وفيهما عن المناقب مسنداً عن خالد قال : كنت عند أبي رجا العطاردي فقال : لا تذكروا أهل البيت إلا بخير ، فدخل عليه رجل من

حاضري كربلاء وكان الملعون يسبّ الحسين عليه السلام ، فاهوى الله إليه
نجمين فعميت عيناه .

وفيها عنه أيضاً عن كثر المذكرين قال الشعبي : رأيت رجلاً متعلقاً
بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم اغفر لي ولا أراك تغفر لي ، فسألته عن
ذنبه؟ فقال لعنه الله : كنت من الوكلاء على رأس الحسين عليه السلام ،
وكان معي خمسون رجلاً ، فرأيت غمامة بيضاء من نور قد نزلت من
السماء إلى الخيمة وجمعاً كثيراً أحاطوا بها فيهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى
وعيسى عليهم السلام ، ثم نزلت أخرى وفيها النبي صلى الله عليه وآله
وجبرئيل وميكائيل وملك الموت ، فبكى النبي صلى الله عليه وآله وبكوا
معه جميعاً ، فدنا ملك الموت وقبض تسعاً وأربعين ، فوثب عليّ فوثبت
على رجلي وقلت : يا رسول الله الأمان الأمان ، فوالله ما شايعت في قتله
ولا رضيت ، فقال : ويحك وأنت تنظر إلى ما يكون . فقلت : نعم .
فقال : يا ملك الموت خُلّ عن قبض روحه فإنه لا بدّ أن يموت موتاً يوماً ،
فتركني وخرجت إلى هذا الموضع تائباً عليّ ما كان مني .

قال السيد في كتاب اللهوف على أهل الطفوف :

وروى ابن رباح قال : رأيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه
السلام ، فسألته عن ذهاب بصره ، فقال : كنت شهدت قتله عاشرة عشرة
غير أنني لم أضرب ولم أرم ، فلما قتل عليه السلام فرجعت إلى منزلي
وصلّيت العشاء الآخرة ، ونمتُ ، فأتاني آت في منامي فقال : أجب رسول
الله صلى الله عليه وآله ، فقلت : ما لي وله ، فأخذ بتلابيبي وجرّني إليه ،
فإذا النبي صلى الله عليه وآله جالس في صحراء حاسر عن ذراعيه ، أخذ
بحربة وملك قائم بين يديه ، وفي يده سيف من نار ، فقتل أصحابي
التسعة ، فكلما ضرب ضربة التهب أنفسهم ناراً ، فدنوت منه صلى الله
عليه وآله وجشوت بين يديه وقلت : السّلام عليك يا رسول الله ، فلم يردّ
عليّ ، ومكث طويلاً ، ثم رفع رأسه وقال : يا عدوّ الله انتهكت حرمتي

وقتل عترتي ، ولم ترع حقّي ، وفعلت ما فعلت . فقلت : يا رسول الله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم . قال : صدقت ولكنك كثرت السّواد ادن مني فدنوت منه فإذا طشت مملوء دماً ، فقال لي : فهذا دم ولدي الحسين عليه السلام ، فكحلني من ذلك ، فانتبهت حتى الساعة لا أبصر شيئاً .

وفي البحار والعوالم عن بعض كتب المناقب المعتبرة ، روي أن رجلاً بلا أيدي ولا أرجل ، وهو أعمى يقول : ربّ نجني من النّار ، فقيل له : لم تبق لك عقوبة ومع ذلك تسأل النجاة من النار . قال : كنت فيمن قتل الحسين عليه السلام بكربلاء . فلما قتل رأيت سراويلاً وتكة حسنة بعدما سلبه النّاس ، فأردت أن أنزع منه التكة ، فرفع يده اليمنى ووضعها على التكة ، فلم أقدر دفعها فقطعت يمينه عليه السلام ، ثم هممت أن آخذ التكة فرفع شماله فوضعه على التكة فقطعت يساره ، ثم هممت بنزع التكة من السراويل فسمعت زلزلة فخفت وتركتها فألقى الله تعالى عليّ النّوم ، فممت بين القتلى ، فرأيت كأن محمداً صلّى الله عليه وآله قد أقبل ومعه علي وفاطمة عليهما السلام ، فأخذوا رأس الحسين عليه السلام فقبّلته فاطمة عليها السلام ، ثم قالت : يا ولدي قتلوك قتلهم الله من فعل هذا بك؟ فكان يقول : قتلني شمر وقطع يدي هذا النّائم وأشار إليّ ، فقالت فاطمة عليها السلام لي : قطع الله يديك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك النّار ، فانتبهت وأنا لا أبصر شيئاً ، وسقطت مني يداي ورجلاي ، ولم يبق من دعائها إلا النّار .

وروي الشيخ الطوسي رحمه الله في أماليه بإسناده إلى محمد بن سليمان عن عمّه قال : لما رجعنا أيام الحجاج خرج نفر منا من الكوفة مستترين ، وخرجت معهم فصرنا إلى كربلاء ، وليس بها موضع نسكنه ، فبينما كوخاً على شاطئ الفرات ، وقلنا : ناوي إليه ، فبينما نحن فيه إذ جاءنا رجل غريب ، فقال : أصير معكم في هذا الكوخ الليلة ، فإني عابر

سبيل ، فأجبناه وقلنا : غريبٌ منقطع به ، فلما غربت الشمس وأظلم الليل أشعلنا وكنا نشعل بالنفط ، ثم جلسنا نتذاكر أمر الحسين عليه السلام ومصيبته وقتله ، ومن تولاه ، فقلنا : ما بقي أحد من قتلة الحسين عليه السلام إلا رماه الله تعالى ببليّة في بدنه ، فقال ذلك الرجل : فأنا قد كنت فيمن قتله والله ما أصابني سوء ، وإنكم يا قوم تكذبون . قال : فأمسكنا عنه ، وقلّ ضوء النفط ، فقام ذلك الرجل ليصلح الفتيلة بإصبعه ، فأخذت النار كفه ، فخرج فاراً حتى ألقي نفسه في الفرات يتغوّث به ، فوالله لقد رأيناه يدخل رأسه في الماء والنار على وجه الماء ، فإذا أخرج رأسه سرت النار إليه فيغوصه إلى الماء ثم يخرج به ، فتعود إليه فلم يزل دأبه ذلك حتى هلك لعنه الله .

وفي المنتخب حكى عن السدي قال : ضافني رجل في ليلة كنت أحبّ الجليس ، فرحبت به وقربت به وأكرمته وجلسنا نتسامر ، وإذا به ينطق بالكلام كالسّيل إذا قصد الحضيض ، فطرقت له فأنتهى في سمره إلى طفّ كربلاء ، وكان قريب العهد من قتل الحسين عليه السلام ، فتأوّهت الصّعداء وتزفرت كمداً .

فقال : ما بالك قلت ذكرت مصاباً يهون عنده كل مصاب . قال : أما كنت حاضراً يوم الطفّ ، قلت : لا والحمد لله . قال لعنه الله : أراك تحمد على أيّ شيء؟ قلت : على الخلاص من دم الحسين عليه السلام ، لأنّ جدّه قال : إنّ من طولب بدم ولدي الحسين عليه السلام يوم القيامة لخفيف الميزان .

قال : هكذا قال جدّه؟ قلت : نعم . وقال صلّى الله عليه وآله : ولدي الحسين يقتل ظلماً وعدواناً ألا ومن قتله يدخل في تابوت من نار ويعذب بعذاب نصف أهل النار ، وقد غلّت يده ورجلاه ، وله رائحة يتعوّذ منها أهل النار هو ومن شايع وباع أو رضي بذلك ، كلما نضجت

جلودهم بدّلوا جلوداً غيرها ليزدوقوا العذاب الأليم ، لا يفتر عنهم ساعة ويسقون من حميم جهنم ، فالويل لهم من عذاب جهنم .

قال لعنه الله : لا تصدق هذا الكلام يا أخي ، قلت : كيف هذا وقد قال صلّى الله عليه وآله لا كذبت ولا كذبت . قال لعنه الله : ترى قالوا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله قاتل ولدي الحسين لا يطول عمره ، وما أنا وحقك قد تجاوزت التسعين مع أنك لا تعرفني ، قلت : لا والله . قال لعنه الله : أنا الأخنس بن زيد . قلت : وما صنعت يوم الطف ؟ قال : أنا الذي أمّرت على الخيل الذين أمرهم عمر بن سعد بسوطيء جسم الحسين بسنابك الخيل ، وهشمت أضلاعه وجردت نطعاً من تحت علي بن الحسين وهو عليل حتى كيبته على وجهه ، وخرمت اذني صفية بنت الحسين لقرطين كانا في أذنيها .

قال السدي : فبكى قلبي هجوعاً وعيناى دموعاً ، وخرجت أعالج على إهلاكه ، وإذا بالسراج قد ضعفت ، فقمّت أزهرها قال : اجلس وهو يحكي متعجباً من نفسه وسلامته ، ومدّ إصبعه ليزهرها فاشتعلت به ، ففركها في الشراب فلم تنطف ، فصاح بي : أدركني يا أخي فكبيت الشربة عليها وأنا غير محبّ لذلك ، فلما شمت النار رائحة الماء ازدادت قوة ، وصاح بي ما هذه النار وما يطفئها؟ فقلت : الق نفسك في النهر، فرمى بنفسه ، فلما ركس جسمه في الماء اشتعلت في جميع بدنه كالخشبة البالية في الريح البارح ، هذا وأنا أنظره ، فوالله الذي لا إله إلا هو لم تطف حتى صار فحمساً ، وصار على وجه الماء ألا لعنة الله على الظالمين .

وفيه أيضاً حكى عن رجل كوفي حدّاد قال : لما خرج العسكر من الكوفة لحرب الحسين عليه السلام جمعت حديداً عندي ، وأخذت التي وصرت معهم ، فلما وصلوا وطنبوا خيمهم بنيت خيمة وصرت أعمل أوتاداً للخيم وسككاً ومرابط للخيل وأسنة للرماح ، وما أعوج من سنان أو خنجر

أو سيف كنت بذلك . فصار رزقي كثيراً ، وشاع ذكرى بينهم حتى أتى الحسين عليه السلام مع عسكره وارتحلنا إلى كربلاء وخيمنا على شاطئ العلقمي ، وقام القتال فيما بينهم ، وحملوا الماء عليه وقتلوه وأنصاره وأهل بيته وكانت مدة إقامتنا وارتحالنا تسعة عشر يوماً ، فرجعت غنياً إلى منزلي والسبايا معنا ، فعرضت على عبيد الله لعنه الله فأمر أن يشهروهم إلى يزيد لعنه الله إلى الشام ، فلبثت في منزلي أياماً قلائل وإذا أنا ذات ليلة راقدة على فراشي ، فرأيت طيفاً كأن القيامة قد قامت والناس يموجون على الأرض كالجراد إذا فقدت دليلها ، وكلهم دال على صدره من شدة الظم ، وأنا أعتقد بأن ما فيهم أعظم مني عطشاً لأنه كل سمي وبصري من شدته هذا غير حرارة الشمس يغلي منها دماغي ، والأرض تغلي كأنها القبر إذا شعل تحته نار ، فخلت أن رجلي قد تقطعت قدمها ، فوالله العظيم لو أنني خيَّرت بين عطشي وتقطيع لحمي حتى يسيل دمي لأشربه لرأيت شربه خيراً من عطشي .

فبينما أنا في العذاب الأليم والبلاء العميم إذا أنا برجل قد عم الموقف نوره ، وابتهج الكون بسروره ، راكب على فرس وهو ذو شيبة قد حفت به ألوف من كل نبي ووصي وصديق وشهيد وصالح ، فمر كأنه ربح أو سيران تلك ، فمرت ساعة وإذا أنا بفارس على جواد أغر ، له وجه كتمام القمر تحت ركابه ألوف ان أمر ائتمروا وان زجر انزجروا فاقشعرت الأجسام من التفاته وارتعدت الفرائص من خطراته ، فتأسفت على الأول ما سألت عنه خيفة من هذا ، وإذا به قد قام في ركابه وأشار إلى أصحابه وسمعت قوله خذوه فإذا بأحدهم قاهر بعصدي كلبة حديد خارجة من النار ، فمضى به إليه فخلت كتفي اليمنى قد انقلعت ، فسألته الخفة فزاد في ثقل ، فقلت : سألتك بمن أمرك علي من تكون؟ قال : ملك من ملائكة الجبار ، فقلت : ومن هذا؟ قال : علي الكرار . قلت : والذي قبله؟ قال : محمد المختار . قلت : ومن حوله؟ قال : النبيون والصديقون والشهداء والصالحون والمؤمنون . قلت : أنا ما فعلت حتى

أمرك عليّ ، قال : إليه يرجع الأمر وحالك حال هؤلاء ، فحققت النظر وإذا بعمر بن سعد أمير العسكر لعنهم الله وقوم لا أعرفهم وإذا بعنقه سلسلة من حديد والنار خارجة من عينيه وأذنيه ، فأيقنت بالهلاك وبأقبي القوم منهم مغلّل ، ومنهم مقيد ، ومنهم مقهور بعضده مثلي ، فبينما نحن نسير وإذا برسول الله صلى الله عليه وآله الذي وصفه الملك جالس على كرسي عال يزهو ، أظنه من اللؤلؤ ، ورجلين ذوي شيبتين بهيتين عن يمينه ، فسألت الملك عنهما فقال : نوح وإبراهيم وإذا برسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ما صنعت يا علي ؟ قال : ما تركت أحداً من قاتلي الحسين عليه السلام إلا وأتيت به ، فحمدت الله تعالى على أنني لم أكن منهم ، ورد إليّ عقلي ، وإذا برسول الله صلى الله عليه وآله يقول : قدّموهم فقدّموهم إليه ، وجعل يسألهم ويبكي كل من في الموقف لبكائه ، لأنه عليه السلام يقول للرجل : ما صنعت بطف كربلاء بولدي الحسين عليه السلام ؟ فيجيب : يا رسول الله أنا حميت الماء عليه ، وهذا يقول : أنا قتلت ، وهذا يقول : أنا سلبته ، وهذا يقول : وطأت صدره بفرسي ، ومنهم من يقول : أنا ضربت ولده العليل ، فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : وا ولداه وا قلّة ناصراه وا حسينا وا علياه ، هكذا جرى عليكم بعدي أهل بيتي أنظر يا أبي آدم ، انظر يا أخي نوح كيف خلفوني في ذريتي ، فبكوا حتى ارتج المحشر ، فأمر بهم زبانية جهنم يجرّونهم أولاً فأولاً إلى النار ، وإذا بهم قد أتوا برجل فسأله فقال : ما صنعت شيئاً . فقال : أما كنت نجاراً ؟ قال : صدقت يا سيدي لكنني ما عملت إلا عمود لخيمة الحصين بن نمير لعنه الله لأنه انكسر من ريح عاصف فوصلته ، فبكى صلى الله عليه وآله وقال : كثرت السواد على ولدي ، خذوه إلى النار ، وصاحوا : لا حكم إلا لله ولرسوله ووصيه .

قال الحدّاد : فأيقنت بالهلاك ، فأمر بي فقدموني فاستخبرني فأخبرته فأمر بي إلى النار ، فما سحّبوني إلا وانتبهت وحكيت لكل من لقّيته وقد

يس لسانه ومات نصفه ، وتبرأ منه كل من يحبه ، ومات فقيراً لا رحمه الله : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

المطلب الثاني

في احتجاجات ابن عباس ومحمد بن الحنفية
وعبدالله بن عمر على يزيد لعنه الله تعالى ، وما فيه من الطعن على الثاني

في البحار والعوالم مسنداً عن الأعمش ، عن شقيق بن سلمة قال :
لما قتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أتى عبدالله بن الزبير
فدعا ابن عباس إلى بيعته ، فامتنع ابن عباس ، وظن يزيد بن معاوية لعنه
الله عليهما أن امتناع ابن عباس تمسكاً منه ببيعته ، فكتب إليه :

أما بعد فقد بلغني أن الملحدين الزبير دعاك إلى بيعته والدخول في
طاعته لتكون له على الباطل ظهيراً ، وفي المأثم شريكاً ، وإنك اعتصمت
ببيعتنا وفاء منك لنا وطاعة لله لما عرفك من حقنا ، فجزاك الله من ذي
رحم خير ما يجزي الواصلين بأرحامهم الموفين بعهودهم ، فما أنسى من
أشياء فلست بناس برك ، وتعجيل صلتك بالذي أنت له أهل من القرابة
من الرسول ، فانظر من طلع عليك من الأفاق ممن سحرهم ابن الزبير
بلسانه ، وزخرف قوله فأعلمهم برأيك ، فإنتهم منك اسمع ولك أطوع من
المحل للحرم المارق .

فكتب إليه ابن عباس : أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر دعاء ابن
الزبير إياي إلى بيعته والدخول في طاعته ، فإن يكن ذلك كذلك فلإني والله
ما أرجو بذلك برك ولا حمدك ، ولكن الله بالذي أقوى به عليم ، وزعمت
أنك غير ناس بري وتعجيل صلتني ، فاحبس أيها الإنسان برك وتعجيل
صلتك ، فلإني حابس عنك ودي ، فلعمري ما تؤتينا من مالنا قبلك من
حقنا إلا اليسير ، وإنك لتحبس عنا منه العريض الطويل ، وسألت أن أحث
الناس إليك وأن أخذلهم من ابن الزبير فلا ولاء ولا سروراً ولا حياء ، إنك

تسألني نصرتك وتحثني على ودك ، وقد قتلت حسيناً عليه السلام وفتيان
عبدالمطلب مصابيح الهدى ، ونجوم الأعلام ، غادرتهم خيولك بأمرك في
صعيد واحد مزملين بالدماء ، مسلوبين بالعراء ، لا مكفين ولا موسدين ،
تسفي عليهم الرياح وتنتابهم عرج الضباع ، حتى أتاح الله بقوم لم يشركوا
في دمائهم كفؤهم وأحبوهم وجلست مجلسك الذي جلست ، فما أنسى
من الأشياء فلست بناس اطرادك حسيناً عليه السلام عن حرم رسول الله
إلى حرم الله ، وتسيرك إليه الرجال لقتله في الحرم ، فما زلت بذلك
وعلى ذلك حتى أشخصته من مكة إلى العراق ، فخرج خائفاً يترقب ،
فزلزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً ، أولئك لا كآبائك الجلاف الجفاة الحمير ،
فطلب إليكم المواعدة وسألكم الرجعة فاغتنمتم قلة أنصاره واستئصال أهل
بيته عليهم السلام ، تعاونتم عليه كأنكم قتلتم أهل بيت من الترك ، فلا
شيء أعجب عندي من طلبتك وذبي وقد قتلت ولد أبي وسيفك تقطر من
دمي ، وأنت أحد ثأري ، فإن شاء الله لا يبطل لديك دمي ولا تسبقني
بثأري ، وإن سبقتنني في الدنيا فقبل ذلك ما قتل النبيون وآل النبيون ،
فيطلب الله بدمائهم فكفى بالله للمظلومين ناصراً ، ومن الظالمين منتقماً ،
فلا يعجبك أن ظفرت بنا اليوم فلنظفرون بك يوماً ، وذكرت وفائي وما
عرفتنني من حقك فإن يك ذلك كذلك فقد والله بايعتك ومن قبلك وإنك
لتعلم أنني وولد أبي أحق بهذا الأمر منك ، ولكنكم معشر قريش كابرتمونا
حتى دفعتمونا عن حقنا ، ووليتم الأمر دوننا ، فبعد المن تحرى ظلماً
واستغوى السفهاء علينا كما بعدت ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، ألا
وإن من أعجب الاعجاب وما عسى أن أعجبك حملك بنات عبد المطلب
وأطفالاً صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبي المجلوبين ، تري الناس أنك
قهرتنا وأنت تمن علينا ، وبنا من الله تعالى عليك ولعمري والله فلئن كنت
تصبح آمناً من جراحة يدي إني لأرجو أن يعظم الله جرحك من لساني ،
ونقضي وإبرامي ، والله تعالى ما أنا بأئس من بعد قتلك ولد رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَأْخُذَكَ أَخْذاً أَلِيماً ، وَيُخْرِجَكَ مِنَ الدُّنْيَا مَذْمُوماً
مَدْحُوراً ، فَعَشْ لَا أَبَاكَ مَا اسْتَطَعْتَ ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَزْدَدْتَ عِنْدَ اللَّهِ اضْغَاعاً
وَاقْتَرَفْتَ مَأْثِماً وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ .

وفيهما عنه أيضاً ذكر كتاب يزيد لعنه الله إلى محمد بن الحنفية
ومصيره إليه ، وأخذ جائزته كتب يزيد لعنه الله إلى محمد بن الحنفية وهو
يومئذ بالمدينة :

أما بعد فإنني أسأل الله تعالى لنا ولك عملاً صالحاً يرضى به عنا ،
فإنني ما أعرف اليوم في بني هاشم رجلاً هو أرجح منك حِلْماً وعِلْماً ، ولا
أحضر منك فهماً وحكماً ، ولا أبعد من كلِّ سفه ودنس وطيش ، وليس من
يتخلق بالخير تخلُّقاً ، ويتحل بالفضل تنحلاً ، كمن جبله الله على الخير
جبلًا ، وقد عرفنا ذلك منك قديماً وحديثاً ، شاهداً وغائباً ، غير أنني قد
أحببت زيارتك والأخذ بالحق من رؤيتك ، فإذا نظرت في كتابي هذا فاقبل
إليَّ آمناً مطمئناً ، أرشدك الله أمرك وغفر لك ذنبك ، والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته .

قال : فلما ورد الكتاب على محمد بن علي عليه السلام وقرأه أقبل
إلى ابنه جعفر وعبدالله أبي هاشم ، فاستشارهما في ذلك فقال له ابنه
عبدالله : يا أبة اتق الله في نفسك ولا تصر إليه ، فإنني خائف أن يلحقك
بأخيك الحسين عليه السلام ولا يبالي ، فقال محمد : يا بني ولكني لا
أخاف ذلك منه . فقال له ابنه جعفر : يا أبة إنك قد الطفك في كتابه إليك
ولا أظنه يكتب إلى أحد من قريش بأن أرشدك الله أمرك وغفر لك ذنبك ،
وإنني أرجو أن يكف الله شره عنك . قال : فقال محمد بن علي عليهما
السلام : يا بني إنني توكلت على الله الذي يمسك السماء أن تقع على
الأرض إلا بإذنه ، وكفى بالله وكيلًا .

قال : ثم تجهز محمد بن علي عليهما السلام وخرج من المدينة ،
وسار حتى قدم على يزيد بن معاوية عليه اللعنة بالشام ، فلما استأذن أذن

له وقربه وأدناه وأجلسه معه على سريريه ، ثم أقبل عليه بوجهه فقال : يا أبا القاسم أجرتنا الله وإياك في أبي عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام ، فوالله لئن كان نقصك فقد نقصني ، ولئن كان أوجعك فقد أوجعني ، ولو كنت أنا المتولي لحربه لما قتلته ولدفعت عنه القتل ، ولو بجزأ أصابني وذهاب بصري ، ولقديته عليه السلام بجميع ما ملكت يدي ، وإن كان قد ظلمني وقطع رحمي ونازعني حقِّي ، ولكن عبيدالله بن زياد لم يعلم رأيي في ذلك ، فعجل عليه بالقتل فقتله ، ولم يستدرك ما فات وبعد فإنه ليس يجب علينا أن نرضى بالدنية في حقنا ، ولم يكن يجب على أخيك أن ينازعنا في أمر خصنا الله به دون غيرنا ، وعزيز علي ما ناله والسلام ، فهات الآن ما عندك يا أبا القاسم .

قال : فتكلم محمد بن علي عليهما السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني قد سمعت كلامك فوصل الله رحمك ورحم حسيناً وبارك فيما سار إليه من ثواب ربه والخلد الدائم الطويل في جوار الملك الجليل ، وقد علمنا ما نقصنا فقد نقصك وما عراك فقد عرانا من فرح وترح ، وكذا أظن أن لو شهدت ذلك بنفسك لاخترت أفضل الرأي والعمل ، ولجانب أسوأ الفعل والخطأ ، والآن فإن حاجتي إليك أن لا تسمعي فيه ما أكره ، فإنه أخي وشقيقي^(١) وابن أبي ، وإن زعمت أنه قد كان ظلمك وكان عدواً لك كما تقول .

قال : فقال له يزيد لعنه الله : إنك لن تسمع مني إلا خيراً ، ولكن هلم فبايعني واذكر ما عليك من الدين حتى أقضيه عنك .

قال : فقال له محمد بن علي عليهما السلام : أما البيعة فقد بايعتك ، وأما ما ذكرت من أمر الدين فما علي دين والحمد لله ، وإني من الله تبارك وتعالى في كل نعمة سابعة ، لا أقوم بشكرها .

(١) وفي نسخة أخرى : شقيقي .

قال : فالتفت يزيد لعنه الله إلى ابنه خالد ، فقال : يا بني إن ابن عمك هذا بعيد من الخبِّ واللؤم والدنس والكذب ، ولو كان غيره كبعض من عرفت لقال عليّ من الدّين كذا وكذا ليستغنم أخذ أموالنا .

قال : ثم أقبل يزيد لعنه الله فقال الملعون : يا أبا القاسم ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فإني قد أمرت لك بثلاث مائة ألف درهم ، فابعث من يقبضها ، فإذا أردت الانصراف عنا وصلناك إن شاء الله تعالى .

قال : فقال له محمد بن علي عليهما السلام : لا حاجة لي في هذا المال ولا له جئت . قال يزيد : فلا عليك أن تقبضه وتفرقه فيمن أحببت من أهل بيتك . قال : فإني قد قبلت يا أمير المؤمنين . قال : فانزله في بغض منازلهم وكان محمد بن علي عليه السلام يدخل عليه في كلّ يوم صباحاً ومساءً .

قال : وإذا وفد أهل المدينة قد قدموا على يزيد لعنه الله وفيهم المنذر بن الزبير وعبدالله بن عمر بن حفص بن المغيرة المخزومي ، وعبدالله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري ، فأقاموا عند يزيد لعنه الله أياماً فأجازهم يزيد لكل رجل منهم بخمسين ألف درهم ، وأجاز المنذر بن الزبير بمائة ألف درهم .

فلما أرادوا الانصراف إلى المدينة أقبل محمد بن علي عليه السلام حتى دخل على يزيد لعنه الله ، فاستأذنه في الانصراف معهم إلى المدينة ، فأذن له في ذلك ووصله بمائتي ألف درهم ، وأعطاه عروضا بمائة ألف درهم ، ثم قال : يا أبا القاسم إني لا أعلم في أهل بيتك اليوم رجلاً هو أعلم منك بالحلال والحرام ، وقد كنت أحب أن لا تفارقني وتأمرنني بما فيه حظي ورشدي ، فوالله ما أحب أن تنصرف عني وأنت ذامٌ لشيء من أخلاقي .

فقال له محمد بن علي عليهما السلام : أمّا ما كان منك إلى الحسين بن علي عليهما السلام فذاك شيء لا يستدرك .

وأما الآن فلإني ما رأيت منك منذ قدمت إليك إلاّ خيراً ، ولو رأيت منك خصلة أكرهها لما وسعني السكوت دون أن أنهاك عنها وأخبرك بما يحقّ لله عليك منها للذي أخذ الله تبارك وتعالى على العلماء في علمهم أن يبينوه للناس ولا يكتموا ، ولست مؤدياً عنك إلى من ورائي من الناس إلاّ خيراً غير أنني أنهاك عن شرب هذا المسكر ، فإنه رجس من عمل الشيطان ، وليس ممّن وليّ أمور الأئمة ، ودعي له بالخلافة على رؤوس الأشهاد على المنابر كغيره من الناس ، فاتق الله في نفسك وتدارك ما سلف من ذنبك والسلام .

قال : فسرّ يزيد لعنه الله بما سمع من محمد بن علي عليهما السلام سروراً شديداً ، ثم قال : فلإني قابل منك ما أمرتني به ، وأنا أحب أن تكاتبني في كلّ حاجة تعرض لك من صلة أو تعاهد ولا تقصرون في ذلك .

فقال محمد بن علي عليهما السلام : أفعل ذلك إن شاء الله ولا أكون إلاّ عند ما تحبّ .

قال : ثم ودّعه محمد بن علي عليهما السلام ورجع إلى المدينة ، ففرق ذلك المال كلّه في أهل بيته ، وسائر بني هاشم وقريش ، حتى لم يبق من بني هاشم وقريش من الرجال والنساء والذرية والموالي إلاّ صار إليه شيء من ذلك المال ، ثم خرج محمد بن علي عليهما السلام من المدينة إلى مكّة ، فأقام بها مجاوراً لا يعرف شيئاً غير الصّوم والصلاة ، وصلى الله على محمد وآله ، ورضي عنهم ورزقنا شفاعتهم بحوله ومنه وفضله وكرمه إن شاء الله تعالى .

قال المجلسي رحمه الله في البحار : أجاز لي بعض الأفاضل في مكّة زادها الله شرفاً رواية هذا الخبر ، وأخبرني أنّه أخرجه من الجزء الثاني

من كتاب دلائل الإمامة ، وهذه صورته : حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنُ مُوسَى التَّلْعَكْبَرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ هَمَامٍ قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَالِكِ الْفَزَارِيِّ الْكُوفِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ سَنَانَ الصِّيرْفِيُّ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَوَارِ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَسْكَانٍ ، عَنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ عَمْرِو الْجَعْفِيِّ ، عَنْ جَابِرِ الْجَعْفِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ : لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَوُورِدَ نَعْيُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَوُورِدَ الْأَخْبَارُ بِجَزْأِ رَأْسِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحُمِلَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَقُتِلَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَثَلَاثَةَ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَقُتِلَ ابْنُهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَابْنُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ طِفْلٌ بِنَشَابَةِ وَسْبِي ذُرَارِيهِ ، أَقِيمَتِ الْمَأْتَمُ عِنْدَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَنْزِلِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَفِي دُورِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

قال : فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ صَارِخًا مِنْ دَارِهِ ، لَا طَمَأَ وَجْهَهُ ، شَاقًّا جِيئَهُ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ وَقُرَيْشٍ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، يَسْتَحِلُّ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَهْلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَنْتُمْ أَحْيَاءُ تَرْزُقُونَ ، لَا قَرَارَ دُونَ يَزِيدَ ، وَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ تَحْتَ لَيْلِهِ لَا يَرُدُّ مَدِينَةً إِلَّا صَرَخَ فِيهَا وَاسْتَنْفَرَ أَهْلَهَا عَلَى يَزِيدَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَاجْتَبَاهُ يَكْتُبُ بِهَا إِلَى يَزِيدَ ، فَلَمْ يَمَرَّ بِمَلَأٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتَّبِعُهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ ، وَقَالُوا : هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَهُوَ يَنْكُرُ فَعَلَ يَزِيدَ بِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَسْتَنْفِرُ النَّاسَ عَلَى يَزِيدَ ، وَإِنْ مِنْ لَمْ يَجِبْهُ لَا دِينَ لَهُ وَلَا إِسْلَامَ ، وَاضْطَرَبَ الشَّامُ بِمَنْ فِيهِ وَوُورِدَ دِمَشْقُ وَأَتَى بَابَ اللَّعِينِ يَزِيدَ فِي خَلْقٍ مِنَ النَّاسِ يَتْلُونَهُ ، فَدَخَلَ أَذُنَ يَزِيدَ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ بِوُورُودِهِ وَيدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ وَالنَّاسِ يَهْرَعُونَ عَلَيْهِ وَوُورَاتِهِ ، فَقَالَ يَزِيدُ : فَوْرَةٌ مِنْ فَوْرَاتِ أَبِي مُحَمَّدٍ ، وَعَنْ قَلِيلٍ يَفِيقُ مِنْهَا ، فَأَذِنَ لَهُ وَحْدَهُ فَدَخَلَ صَارِخًا يَقُولُ : لَا أَدْخُلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ فَعَلْتَ بِأَهْلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَوْ تَمَكَّنْتَ التَّوَكُّلَ وَالرَّوْمَ مَا اسْتَحْلَوْا مَا اسْتَحْلَلْتَ وَلَا فَعَلُوا مَا فَعَلْتَ ، قَمِ عَنْ هَذَا الْبَسَاطِ حَتَّى يَخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ مَنْ هُوَ

أحق به منك ، فرحب به يزيد لعنه الله وتطاول له وضمه إليه وقال له : يا أبا محمد اسكن من فورتك وبغيك واعقل ، وانظر بعينك واسمع بأذنك ما نقول في أبيك عمر بن الخطاب ، أكان هادياً مهدياً خليفة رسول الله وناصره ومصاهره باختك حفصة ، والذي قال : لا يعبد الله سراً ، فقال عبدالله هو كما وصفت فأني شيء تقول فيه ؟ قال : أبوك قلد أبي أمر الشام أم أبي قلد أباك خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : أبي قلد أباك الشام . قال : يا أبا محمد أفترضى به وبعهده إلى أبي أو ما ترضاه ؟ قال : بل أرضى . قال : أفترضى بأبيك ؟ قال : نعم ، فضرب يزيد بيده على يد عبدالله بن عمر وقال له : قم يا أبا محمد حتى تقرأه ، فقام معه حتى ولاه خزائنه من خزائنه فدخلها ودعا بصندوق ففتحه واستخرج منه تابوتاً مقفلاً مختوماً ، فاستخرج منه طوماراً لطيفاً في خرقة حرير سوداء ، فأخذ الطومار بيده ونشره ، ثم قال : يا أبا محمد هذا خط أبيك ؟ قال : أي والله ، فأخذه من يده فقبله فقال له : اقرأ فقرأه ابن عمر فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : إن الذي أكرهنا بالسيف على الإقرار به فأقررنا ، والصدور وغرة والأنفس واجفة ، والنيات والبصائر شائكة مما كانت عليه من جحدنا ما دعانا إليه وأطعناه فيه رفعاً لسيوفه عنا وتكاثره بالحي علينا من اليمن ، وتعاضد من سمع به ممن ترك دينه وما كان عليه آبائه في قريش فبهبل أقسم والأصنام والأوثان واللات والعزى ما جحدتها مذ عبدها ولا عبد للكعبة رباً ، ولا صدق لمحمد قولاً ، ولا ألقى السلام إلاً للحيلة عليه وإيقاع البطش به ، فإنه قد أتانا بسحر عظيم ، وزاد في سحره على سحر بني إسرائيل مع موسى وهارون وداود وسليمان وابن أمه عيسى ، ولقد أتانا بكل ما أتوا به من السحر ، وزاد عليهم ما لو أنهم شهدوه لأقروا له بأنه سيد السحرة ، فخذ يا ابن أبي سفيان سنة قومك واتباع ملتك والوفاء بما كان عليه سلفك من جحد هذه البيعة التي يقولون أن لها رباً أمرهم بآتيانها ، والسعي حولها ، وجعلها لهم قبلة فأقروا بالصلاة والحج الذي جعلوه ركناً وزعموا أنه لله اختلفوا ، فكان ممن أعان محمداً

منهم هذا الفارسي الطمطماني رزوبة وقالوا إنه أوحى إليه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ
 بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيْكَةً مَبَارَكًا وَهَدَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ .
 وقولهم قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ،
 فولَّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
 وجعلوا صلواتهم للحجارة ، فما الذي أنكره علينا لولا سحره من عبادتنا
 للأصنام والأوثان واللات والعزى وهي من الحجارة والخشب والنحاس
 والفضة والذهب لا واللات والعزى ما وجدنا سبيلاً للخروج عما
 عندنا ، وإن سحرنا وموهنا فانظر بعين مبصرة ، واسمع بأذن واعية ،
 وتأمل بقلبك وعقلك ما هم فيه واشكر اللات والعزى واستخلاف السيد
 الرشيد عتيق ابن عبدالعزيز على أمة محمد ، وتحكمه في أموالهم ودمائهم
 وشريعتهم وأنفسهم وحلالهم وحرامهم وجبايات الحقوق التي زعموا أنهم
 يجبونها لرَبِّهم ، ليقيموا بها أنصارهم وأعوانهم ، فعاش سديداً رشيداً
 يخضع جهراً ، ويشتد سراً ولا يجد حيلة غير معاشرة القوم ، ولقد وثبت
 وثبة على شهاب بني هاشم الثاقب ، وقرنها الظاهر وعلمها الناصر ، وعدتها
 وعددها المسمى بحيدرة المصاهر لمحمد علي المرأة التي جعلوها سيِّدة
 نساء العالمين ، يسمونها فاطمة حتى أتيت دار علي وفاطمة وابنيهما
 الحسن والحسين وابنتيهما زينب وأم كلثوم ، والأمة المدعوة بفضة ، ومع
 خالد بن الوليد وقنفذ مولي أبي بكر ، ومن صحب من خواصنا ، فقرعت
 الباب عليهم قرعاً شديداً ، فأجابتنى الأمة ، فقلت لها : قولي لعلي دع
 الأباطيل ولا تلج نفسك إلى طمع الخلافة تقيس الأمر لك ، الأمر لمن اختاره
 المسلمون ، واجتمعوا عليه ورب اللات والعزى ، لو كان الأمر والرأي
 لأبي بكر لفشل عن الوصول إلى ما وصل إليه من خلافة ابن أبي كبشة ،
 لكنني أبديت لها صفحتي وأظهرت لها بصري ، وقلت للحيين نزار وقحطان
 بعد أن قلت لهم ليس الخلافة إلا في قريش ، فأطيعوهم ما أطاعوا الله ،
 وإنما قلت ذلك لما سبق من ابن أبي طالب من وثوبه واستثاره بالدماء
 التي سفكها في غزوات محمد وقضاء ديونه وهي ثمانون ألف درهم ،

وانجاز عاداته ، وجمع القرآن فقضاها على تليده وطارقه ، وقول المهاجرين والأنصار لما قلت أن الإمامة في قريش ، قالوا : هو الأصلع البطين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي أخذ رسول الله البيعة له على أهل ملته ، وسلمنا له بإمرة المؤمنين في أربعة مواطن ، فإن كنتم نسيتموها معشر قريش فما نسيناها ، وليست البيعة ولا الإمامة والخلافة والوصية إلا حقاً مفروضاً ، وأمرأً صحيحاً ، لا تبرعاً ولا ادعاءً ، فكذبناهم وأقمت أربعين رجلاً شهدوا على محمد أن الإمامة بالاختيار .

فعند ذلك قال الأنصار : نحن أحق من قريش لأننا أوينا ونصرنا وهاجر الناس إلينا ، فإذا كان دفع من كان الأمر له فليس هذا الأمر لكم دوننا . وقال قوم منا أمير ومنكم أمير ، قلنا لهم : قد شهد أربعون رجلاً أن الأئمة من قريش فقبل قوم وأنكر آخرون ، وتنازعوا . فقلت والجمع يسمعون : إلا أكبرنا سنًا وأكثرنا لينًا؟ قالوا : فمن تقول؟ قلت : أبو بكر الذي قدمه رسول الله في الصلاة ، وجلس معه في العريش يوم بدر يشاوره ويأخذ برأيه ، وكان صاحبه في الغار وزوج ابنته عائشة التي سماها أم المؤمنين .

فأقبل بنو هاشم يتميزون غيظاً وعاضدهم الزبير وسيفه مشهور ، وقال : لا يبايع إلا علي أو لا أملك رقبة قائمة سيفي ، هذا فقلت يا زبير صرختك اسكن من بني هاشم أمك صفية بنت عبد المطلب ، فقال : ذلك والله الشرف الباذخ ، والفخر الفاخر يا ابن ختمة يا ابن صهاك ، اسكت لا أم لك . فقال قولاً فوثب أربعون رجلاً ممن حضر سقيفة بني ساعدة على الزبير ، فوالله ما قدرنا على أخذ سيفه من يده حتى وسدناه الأرض ، ولم نر له علينا ناصراً ، فوثبت إلى أبي بكر فصافحته وعاقدته البيعة ، وتلاني عثمان بن عفان وسائر من حضر غير الزبير وقلنا له : بايع أو نقتلك ، ثم كفت عنه الناس ، فقلت له : امهلوه فما غضب إلا نخوة لبني هاشم ، وأخذت أبا بكر بيدي فأقمته وهو يرتعد قد اختلط عقله ، فأزعجته إلى منبر محمد إزعاجاً .

فقال لي : يا أبا حفص أخاف وثبة علي عليه السلام ، فقلت له :
 إِنَّ علياً عنك مشغول ، وأعاني على ذلك أبو عبيدة بن الجراح ، كان
 يمدّه بيده إلى المنبر وأنا أزعجه من ورائه كالتيس إلى شفار الجازر
 متهوناً ، فقام عليه مدهوشاً ، فقلت له : اخطب فأغلق عليه وثبت فدهش
 وتلجلج وغمض فعضضت على كفي غيظاً وقلت له : قل ما سنع لك ،
 فلم يأت خيراً ولا معروفاً فاردت أن أحطه عن المنبر وأقوم مقامه فكرهت
 تكذيب الناس لي بما قلت فيه ، وقد سألتني الجمهور منهم كيف قلت من
 فضله ما قلت ما الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله في أبي
 بكر؟ فقلت لهم : قد قلت من فضله على لسان رسول الله ما لوددت أنني
 شعرة في صدره ولي حكاية ، فقلت : قل وإلا فانزل فتبينها والله في
 وجهي . وعلم أنه لو نزل لرقيت وقلت ما لا يهتدي إلى قوله .

فقال بصوت ضعيف عليل : وليتكم ولست بخيركم وعلي فيكم ،
 واعلموا لله لي شيطاناً يعتريني - وما أراد به سواي - فإذا زللت فقوموا لي لا
 أقع في شعوركم وأبشاركم وأستغفر الله لي ولكم ونزل ، فأخذت بيده
 وأعين الناس ترمقه وغمزت يده غمزاً ، ثم أجلسته وقدمت الناس إلى بيعته
 وصحبته لأرهبه وكل من ينكر بيعته ويقول ما فعل علي بن أبي طالب
 فأقول : خلعها من عنقه وجعلها طاعة المسلمين قلة خلاف عليهم في
 اختيارهم ، فصار جليس بيته فبايعوا وهم كارهون .

فلما فشت بيعته علمنا أن علياً يحمل فاطمة والحسن والحسين إلى
 دور المهاجرين والأنصار ، ويذكرهم بيعته علينا في أربعة مواطن ،
 ويستنفرهم فيعدونه النصر ليلاً ويقعدون عنه نهائراً ، فأتيت داره مستشيراً
 لإخراجه منها ، فقالت الأمة فضة ، وقد قلت لها : قولي لعلي يخرج إلى
 بيعة أبي بكر ، فقد اجتمع عليه المسلمون ، فقالت : إن أمير المؤمنين
 علياً مشغول ، فقلت : خلّي عنك هذا وقولي له يخرج وإلا دخلنا
 وأخرجناه كرهاً ، فخرجت فاطمة فوقفت من وراء الباب فقالت : أيها

الضَّالُّونَ الْمَكْذُوبُونَ ، ماذا تقولون وأي شيء تريدون؟ فقلت : يا فاطمة فقالت فاطمة : ما تشاء يا عمر؟ فقلت : ما بال ابن عمك قد أوردك للجواب وجلس من وراء الحجاب ، فقالت : في طغيانك يا شقي أخرجني وألزمك الحجة وكلّ ضالّ غويّ ، فقلت : دعي عنك الأباطيل وأساطير النساء ، وقولي لعلي يخرج لا حب ولا كرامة .

فقالت : أبحزب الشيطان تخوفني يا عمر ، وكان حزب الشيطان ضعيفاً . فقلت : إن لم يخرج جئت بالحطب الجزل وأضرمتها ناراً على أهل هذا البيت ، وأحرق من فيه أو يقاد علي إلى البيعة ، وأخذت سوط قنفذ فضربت بها وقلت لخالد بن الوليد : أنت ورجالنا هلموا في جمع الحطب ، فقلت : إني مضرمها .

فقالت : يا عدوّ الله وعدوّ رسوله وعدوّ أمير المؤمنين ، فضربت فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه ، فرمته فتصعب علي فضربت كفيها بالسوط فآلمها ، فسمعت لها زفيراً وبكاءً فكدت أن ألين وأنقلب عن الباب ، فذكرت أحقاد علي وولوعه في دماء صناديد العرب وكيد محمد وسحره ، فركلت الباب وقد التصقت أحشائها بالباب تترسه ، وسمعتها وقد صرخت صرخة حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها وقالت : يا أبتاه ويا رسول الله هكذا كان يفعل بحبيبتك وابنتك آه يا فضة إليك فخذيني فقد والله قتل ما في أحشائي من حمل ، وسمعتها تمخض وهي مستندة إلى الجدار ، فدفعت الباب ودخلت فأقبلت إليّ بوجه أغشى بصري ، فصفقت صفقة على خديها من ظاهر الخمار ، فانقطع قرطها وتناثرت إلى الأرض وخرج علي .

فلما أحسست به أسرعت إلى خارج الدار وقلت لخالد وقنفذ ومن معهما : نجوت من أمر عظيم .

قال : وفي رواية أخرى قد جنيت جناية عظيمة لا آمن على نفسي وهذا علي قد برز من البيت وما لي ولكم جميعاً به طاقة ، فخرج علي

وقد ضربت يديها إلى ناصيتها لتكشف عنها وتستغيث بالله العظيم ما نزل بها ، فأسبل علي عليها ملائتها وقال لها : يا بنت رسول الله إن الله بعث أباك رحمة للعالمين ، وأيم الله لئن كشفت عن ناصيتك سائلة إلى ربك ليهلك هذا الخلق لأجابتك حتى لا يبقى على الأرض منهم بشراً ، لأنك وأباك أعظم عند الله تعالى من نوح عليه السلام الذي غرق من أجله بالطوفان جميع من على وجه الأرض ، وتحت السماء إلا من كان في السفينة ، وأهلك قوم هود بتكذيبهم له ، وأهلك عاد بريح صرصر ، وأنت وأبوك أعظم قدراً من هود ، وعذب ثمود وهي اثني عشر ألفاً بعقر الناقة والفصيل ، فكوني يا سيّدة النساء رحمة على هذا الخلق المنكوس ، ولا تكوني عذاباً ، واشتدّ بها المخاض ودخلت البيت فأسقطت سقطاً سمّاه محسنأ ، وجمعت جمعاً كثيراً لا مكاثرة لعلي ، ولكن ليشتد بهم قلبي وجئت وهو محاصر ، فاستخرجته من داره مكرهاً مغضوباً وسقته إلى البيعة سوقاً ، وإنّي لأعلم علماً يقيناً لا شك فيه لو اجتهدت أنا وجميع من على الأرض جميعاً على قهره ما قهرناه ، ولكن لهنات كانت في نفسه أعلمها ولا أقولها .

فلما انتهيت إلى سقيفة بني ساعدة قام أبو بكر ومن بحضرته يستهزؤن بعلي ، فقال علي : يا عمر أتحب أن تعجل لك ما أخرته من سوءتك عنه ، فقلت : لا يا أمير المؤمنين فسمعني والله خالد بن الوليد ، فأسرع إلى أبي بكر فقال له أبو بكر ما لي ولعمر ثلاثاً والناس يسمعون ، ولما دخل السقيفة صبا أبو بكر إليه ، فقلت : قد بايعت يا أبا الحسن وانصرف ، فاشهد أنه ما بايعه ولا مدّ يده إليه ، وكرهت أن أطلبه بالبيعة فيعجل لي ما أخره عني وودّ أبو بكر أنه لم ير علياً في ذلك المكان جزعاً وخوفاً منه ، ورجع علي من السقيفة وسألنا عنه ، فقالوا : مضى إلى قبر محمد فجلس إليه ، فقمت أنا وأبو بكر إليه وجئنا نسعى وأبو بكر يقول : ويلك يا عمر ما الذي صنعت بفاطمة هذا والله الخسران المبين ، فقلت : إن أعظمها هاماً عليك أنه ما بايعنا ولا أثق أن تتأقل المسلمون عنه .

فقال : فما تصنع ؟ فقال : تظهر أنه قد بايعك عند قبر محمد فأتيناه
وقد جعل القبر قبلة مسنداً كفه على تربته وحوله سلمان وأبو ذر والمقداد
وعمار وحذيفة بن اليمان ، فجلسنا بإزائه وأوعزت إلى أبي بكر أن يضع
يده على مثل ما وضع علي يده ويقربها من يده ، ففعل ذلك ، وأخذت
بيد أبي بكر لأمسحها على يده وأقول : قد بايع فقبض علي يده فقممت أنا
وأبو بكر مولياً وأنا أقول : جزا الله علياً خيراً ، فإنه لم يمنعك البيعة لما
حضرت قبر رسول الله ، فوثب من دون الجماعة أبو ذر جندب بن جنادة
الغفاري وهو يصيح ويقول : والله يا عدو الله ما بايع علي اعتيقاً ولم يزل
كلما ألقينا قوم وأقبلنا على قوم نخبرهم ببيعته وأبو ذر يكذبنا ، والله ما
بايعنا في خلافة أبي بكر ولا في خلافتي ولا يبايع لمن بعدي ولا بايع من
أصحابه اثني عشر رجلاً لا لأبي بكر ولا لي ، فمن فعل يا معاوية فعلي
فاستشار أحقاده السالفة غيري .

وأما أنت وأبوك أبو سفيان وأخوك عتبة فاعرف ما كان منكم في
تكذيب محمد وكيدته وإدارة الدوائر بمكة وطلبتة في جبل حري لقتله ،
وتألف الأحزاب وجمعهم عليه وركوب أبيك الجمل ، وقد قاد الأحزاب
وقول محمد لعن الله الرّاكب والقائد والسائق وكان أبوك الراكب وأخوك
عتبة القائد وأنت السائق ، ولم أنس أمك هنداً وبذلت لوحشي ما بذلت
حتى تكمن نفسه لحمزة الذي دعوه أسد الرّحمن في أرضه ، وطعنه
بالحرية ، ففلق فؤاده وشق عنه وأخذ كبده ، فحملة إلى أمك وزعم محمد
بسحره أنه لما أدخلته فاها لتأكله صار جلموداً فلفظته من فيها ، فسماها
محمد وأصحابه آكلة الأكباد ، وقولها في شعرها لاعتداء محمد ومقاتليه :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
كالدر في المخانق والمسك في المفارق
ان تقبلوا نعانق أو تدبروا نفسارق
فراق غير وامق

ونسوتها في الثياب الصفرة المرسية مبديات وجوههن وسط جمعهن ورؤوسهن ويحرضن على قتال محمد ، انكم لم تسلموا طوعاً ، وإن أسلمتم كرهاً يوم فتح مكة ، فجعلكم طلقاء ، وجعل أخى زيدا وعقيل ، وأخو علي بن أبي طالب والعباس عنهم مثلهم ، وكان من أهلك في نفسه ، فقال : والله يا بن أبي كبشة لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً وأحول بينك وبين هذه الأعداء ، فقال محمد ويؤذن للناس أنه ما في نفسه أو يكفي الله شرك يا أبا سفيان ، وهو يري للناس أن لا يغلوها أحد غيري وغير علي ومن يليه من أهل بيته فبطل سحره وخاب سعيه وعلاها أبو بكر وعلوتها بعده ، وأرجو أن تكونوا معاشر بني أمية عيدان أطناها ، فمن ذلك قد وليتك وقلدتك اباحة ملكها وعرفتك فيها وخالفت قوله فيكم وما أبالي من تأليف شعره ونثره . أنه قال : يوحى إلي منزلي من ربي في قوله والشجرة الملعونة في القرآن ، فزعم أنها أنتم يا بني أمية ، فبين عداوته حيث ملك كما لم يزل هاشم وبنوه أعداء بني عبد شمس ، وأنا مع تذكيري أباك يا معاوية وشرحي لك ما قد شرحت ناصح لك ومشفق عليك من ضيق عقلك وخرج صدرك ، وقلة حلمك أن تعجل فيما وصيتك به ومكتك منه من شريعة محمد وأمة أن تبدي لهم مطالبة بطعن أو شماتة بموت أو رداً عليه فيما أتى به ، أو استصغاراً لما أتى به فتكون من الهالكين ، فتخفض ما رفعت وتهدم ما بنيت ، واحذر كل الحذر حيث دخلت على محمد مسجده ومنبره وصدق محمداً في كل ما أتى به وأورده ظاهراً ، وأظهر التحرز والواقعة في رعيتك وأوسعهم حلماً وأعمهم بروائح العطايا ، وعليك بإقامة الحدود فيهم وتضعيف الجناية منهم واعط محمد من مالك ورزقك ولا ترهم أنك تدع الله حقاً ولا تنقض فرضاً ، ولا تغير لمحمد سنة فتفسد علينا الأمة ، بل خذهم من مآمنهم واقتلهم بأيديهم وأيديهم بسيوفهم وتطاولهم ولا تناجزهم ولن لهم ولا تبخس عليهم وافسح لهم في مجلسك وشرفهم في مقعدك ، وتوصل إلى قتلهم برئيسهم وأظهر البشر والبشاشة بل اكظم غيظك واعف عنهم يحبوك ، وكلهم يطيعوك ،

فما آمن علينا وعليك ثورة علي وشبليه الحسن والحسين عليهما السلام ،
فإن أمكنك في عدة من الأمة فبادر ولا تقنع بصغار الأمور ، واقصد
بعظيمها ، واحفظ وصيتي إليك وعهدي واخفه ولا تبده وامثل أمري
ونهي وانهض بطاعتي وإياك والخلاف عليّ واسلك طريق أسلافك واطلب
بثأرك واقتص آثارهم فقد أخرجت إليك سري وجهري وشفعت هذا بقولي :

معاوي إن القوم جلّت أمورهم بدعوة من عم البرية بالوترى
صبوت إلى دين لهم فأرابني فابعد بدين قد قصمت به ظهري
وإن انس لا أنس الوليد وشيبة وعتبة والعاص الصريع لدى بدر
وتحت شغاف القلب لذع لفقدهم أبو حكم أعني الضئيل من الفقري
اولئك فاطلب يا معاوي ثأرهم بيض سيوف الهند والأسل السمرى
وسل برجال الشام في معشرهم هم الأسد والباقون في أكم الوعري
توصل إلى التخليط في الملة التي أتانا به الماضي المموه بالسحر
وطالب بأحقاد مضت لك مظهرها لعلّة دين عم كلّ بني النضر
فلست تنال الثأر إلاّ بدينهم فتقتل بسيف القوم جيد بني عمر
لهذا لقد وليتكم الشام راجياً وأنت جدير أن تولّ إلى صخر

قال : فلمّا قرأ عبدالله بن عمر هذا العهد قام إلى يزيد فقبل رأسه
فقال : الحمد لله يا أمير المؤمنين على قتلك الشاري ابن الشاري والله ما
أخرج أبي إلى ما أخرج إلى أبيك ، والله لا رأيي أحد من رهط محمد
بحيث يحبّ ويرضى ، فأحسن جائزته وبرّه وردّه مكرماً ، فخرج عبدالله بن
عمر من عنده ضاحكاً ، فقال له الناس : ما قال لك؟ قال : قولاً صادقاً
لوددت أنّي كنت مشاركته فيه ، وسار راجعاً إلى المدينة ، وكان جوابه لمن
يلقاه هذا الجواب ، ويروى أنه أخرج يزيد لعنه الله إلى عبدالله بن عمر
كتاباً فيه عهد عثمان بن عفان فيه أغلظ من هذا وأدهى وأعظم من العهد
الذي كتبه عمر لمعاوية ، فلمّا قرأ عبدالله العهد الآخر قام فقبل رأس يزيد
لعنه الله وقال : الحمد لله على قتلك الشاري ابن الشاري .

واعلم أنّ والدي عمر أخرج إليّ من سرّه بمثل هذا الذي أخرجه
إلى أبيك معاوية ، ولا أرى أحداً من رهط محمد وأهله وشيعته بعد يومي
هذا إلا غير منطوي لهم على خير أبداً ، فقال يزيد لعنه الله : أفيه شرح
الخفاء يا بن عمر والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

قال ابن عباس : أظهروا الإيمان وأسروا الكفر ، فلما وجدوا عليه
أعواناً أظهروه .

المطلب الثالث

في أحوال المختار وما جرى له في أخذ الثار
لريحانة النبي المختار على سبيل الاختصار
ويلحقه صنع السفاح في أبناء السفاح فاشتمل على مقامين

المقام الأول : في أحوال المختار :

قال الشيخ الفاضل جعفر بن محمد بن نما في رسالته ذوب النصار :
هو المختار بن أبي عبيدة بن مسعود بن عمير الثقفي ، وقال المرزباني ابن
عمير بن عقدة بن عترة كنيته أبو إسحاق ، وكان أبو عبيدة والده يتنوق في
طلب النساء ، فذكر له نساء قومه فأبى أن يتزوج منهن ، فأتاه آت في
منامه فقال : تزوج دومة الحسنة الحومة ، فما تسمع فيها لللائم لومة ،
فأخبر أهله فقالوا : قد أمرت فتزوج دومة بنت وهب بن عمر بن معتب ،
فلما حملت بالمختار قالت : رأيت في النوم قائلاً يقول :

أبشري بولد أشبه شيء بأ سد إذا الرجال في كبد
فقاتلوا على لبد كان له الحظّ الأشد

فلما وضعت أتاها ذلك الآتي فقال لها : إنّه قبل أن يترعرع وقبل أن
يتشعشع قليل الهلع ، كثير التبع ، يدان بما صنع ، وولدت لأبي عبيدة
المختار وحيرا ، وأبا حير وأبا الحكم ، وأبا أمية ، وكان مولده في عام

الهجرة ، وحضر مع أبيه وقعة قيس الناطف ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان ينفلت للقتال فيمنعه سعد بن مسعود عنه ، فنشأ مقداماً شجاعاً لا يتقي شيئاً ، وكان يتعاطى معالي الأمور ، وكان ذا عقل وافر ، وجواب حاضر ، وخلال مأثورة ، ونفس بالسّخاء موفورة ، وفطنة تدرك الأشياء بفراستها ، وهمّة تعلو على الفراقد بنفاستها ، وحس مصيب ، وكفّ في الحروب مجيب ، ومارس التجارب ، فحنكته . ولا بس الخطوب فهذبتة .

وروى الثقة الجليل محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي في رجاله بإسناده إلى عمر بن علي عليه السلام ، أنّ المختار أرسل إلى علي بن الحسين عليهما السلام بعشرين ألف دينار ، فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ، ودارهم التي هدمت قال : ثم أنّه بعث إليه بأربعين ألف دينار بعدما أظهر الكلام^(١) الذي أظهره فردّها ولم يقبلها ، والمختار هو الذي دعا النّاس إلى محمد بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ابن الحنفية ، وسموا الكيسانيّة وهم المختاريّة ، وكان لقبه كيسان ، ولقب بكيسان لصاحب شرطة المكنى أبا عمرة ، وكان اسمه كيسان ، وقيل : إنّهُ سَمِيَ الكيسان بكيسان مولى علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو الذي حمّله على الطّلب بدم الحسين عليه السلام ، ودلّه على قتلته ، وكان صاحب سرّه ، والغالب على أمره ، وكان لا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين عليه السلام أنّه في دار أو في موضع إلّا قصده وهدم الدار بأسرها ، وقتل كلّ من فيها من ذي روح ، وكل دار بالكوفة خراب فهي ممّا هدمها ، وأهل الكوفة يضربون به المثل ، فإذا افتقر الإنسان قالوا : دخل أبو عمرة بيته حتى قال فيه الشّاعر :

إبليس بما فيه خير من أبي عمرة يغويك ويطفيك ولا يعطيك كسرة

(١) وهو دعاء النّاس إلى محمد بن الحنفية .

وفي العوالم والبحار وكتاب المختصر للشيخ حسن بن سليمان أنه بعث المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين عليهما السلام بمائة ألف درهم ، فكره أن يقبلها منه ، وخاف أن يردّها فتركها في بيت ، فلمّا قتل المختار كتب إلى عبد الملك يخبره بها ، فكتب إليه : خذها طيبة هنيئة ، فكان علي عليه السلام يلعن المختار ويقول : كذب علي الله وعلينا لأنّ المختار كان يزعم أنه يوحى إليه .

أقول : قال بعض الفضلاء أنه يمكن توجيهه بأنّ كراهته عليه السلام وترك المال في بيت للخوف من عبد الملك لا من المختار لعدم تسلطه على أهل المدينة .

ولعنه عليه السلام إيّاه لعلمه على سبيل الفرض ، أي أنه ملعون لو كان دعواه الوحي على الحقيقة ، ووجه الاستناد أنّه نقل أنّ له غلاماً اسمه جبرئيل ، وكان يقول مراراً أخبرني جبرئيل بكذا لأنّ مبنّى فعّاله وآدابه على التكلّم بالإيهام والخدعة والفراسة لحسن السلطنة واحكام السياسة كما سيحيي إن شاء الله تعالى .

وقد مضى ذم المختار في الباب الرابع من الفصل الخامس في سبب صلح الحسن عليه السلام على ما في رواية الصدوق في العلل قول المختار لعنه تعال حتى نأخذ الحسن ونسلمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق الخ ..

وروى الكشي في رجاله بسنده عن يونس بن يعقوب ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين عليهما السلام ، وبعث إليه بهدايا من العراق ، فلمّا وقفوا على باب علي عليه السلام دخل الأذن يستأذن لهم فخرج إليهم رسوله فقال : اميطوا عن بابي ، فإنّي لا أقبل هدايا الكذّابين ، ولا أقرأ كتبهم ، فمحووا العنوان وكتبوا للمهدي محمد بن علي عليه السلام .

فقال أبو جعفر عليه السلام : والله لقد كتب إليه بكتاب ما أعطاه فيه

شيئاً ، إنما كتب إليه يابن خير^(١) من طشي^(٢) ومشى ، فقال أبو بصير :
فقلت لأبي جعفر عليه السلام : أما المشي فإني أعرفه فأني شيء الطشي ،
فقال أبو جعفر عليه السلام : الحياة .

وروى ابن إدريس في مستطرفات السرائر ، عن كتاب إبان بن
تغلب ، عن جعفر بن إبراهيم بن ناجية الخضرمي ، عن زرعة بن محمد
الخضرمي ، عن سماعة بن مهران ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام
يقول : إذا كان يوم القيامة مرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بشفير النار ،
وأمر المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام ، فيصيح صائح من النار :
يا رسول الله يا رسول الله يا رسول الله أغثني . قال : فلا يجيبه . قال :
فينادي : يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين ثلاثاً أغثني ،
فلا يجيبه ، قال : فينادي يا حسن يا حسن يا حسن أغثني فقال : لا
يجيبه . قال : فينادي يا حسين يا حسين يا حسين أغثني ، أنا قاتل
أعدائك . قال : فيقول رسول الله صلّى الله عليه وآله قد احتج عليك ،
قال : فينقض^(٣) عليه كأنه عقاب كاسر . قال : فيخرجه من النار .

قال : فقلت لأبي عبد الله عليه السلام : ومن هذا جعلت فداك؟ قال
عليه السلام : المختار . قلت له : ولم عذب بالنار وقد فعل ما فعل؟ قال
عليه السلام : إنه كان في قلبه منهما شيء والذي بعث محمداً صلّى الله
عليه وآله بالحق لو أنّ جبرئيل وميكائيل كان في قلبهما شيء لأكتبهما الله
في النار على وجوههما .

(١) لعل المراد بابن خير من حيّ على وجه الأرض ، ومشى عليها أو مضى لسبيله ،
فيكون بالإضافة معنى خير أهل الأرض ، وإن كان خير فإن كان هذا ممّا كتبه المختار
فالمراد علي عليه السلام ، وإن كان ممّا كتبه ابن الحنفية فالمراد أبو عبيدة أبو المختار
والمديح ممّا هو الشائع .

(٢) قال المجلسي رحمه الله : لم أجد الطشي فيما عندنا من كتب اللغة .

(٣) انقض الطائر وهو في طيرانه وكثر الطائر أي ضم جناحيه حين ينقض (بحار) .

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله في التهذيب بإسناده إلى أمية بن علي القيسي ، عن بعض من رواه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لي يجوز النبي صلى الله عليه وآله على الصراط يتلوه علي عليه السلام ، ويتلو علياً الحسن والحسين عليهم السلام ، فإذا توسّطوه نادى المختار الحسين عليه السلام : يا أبا عبدالله إنني طلبت بشارك فيقول النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام : أجبه فينفض الحسين عليه السلام في النار كأنه عقاب كاسر فيخرج المختار حممة ، ولو شق عن قلبه لوجد حبهما في قلبه .

بيان : قال في العوالم والبحار : الحمم بضم الحاء وفتح الميم الرماد ، والفحم ، وكلما احترق من النار وقوله عليه السلام حبهما الشيخين ، وقيل : حبّ الحسين صلوات الله عليهما ، فيكون تعليلاً لإخراجه كما أنه على الأول تعليل لدخوله واحتراقه ، ويدفعه خبر سماعة الأول ، وقيل : المراد حبّ الرئاسة والمال ، والأول هو الصواب ، ثم اعلم أن هذا الخبر كان وجه جمع بين الأخبار المختلفة الواردة في هذا الباب بأنه وإن لم يكن كاملاً في الإيمان واليقين ولا مأذوناً فيما فعله صريحاً من أئمة الدين ، لكن لما جرى عليه على يديه الخيرات الكثيرة وشفا بها صدور قوم مؤمنين كانت عاقبة أمره آيلة إلى النجاة ، فدخل بذلك تحت قوله سبحانه : ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ . وأنا في شأنه من المتوقفين ، وإن كان الأشهر بين أصحابنا أنه من المشكورين والله أعلم .

أقول : ظاهر هذه الأخبار يدل على ذمه ، وإن كان لا يخلو بعضها بل تمامها عن توجيهِه .

وأما ما يدل على مدحه فممنه ما رواه الثقة الجليل محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي في رجاله بإسناده إلى عبدالله بن شريك ، قال : دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متكئ وقد أرسل إلى

الحلاق ، فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة ، فتناول يده ليقبلها فمنعه ، ثم قال : من أنت؟ قال : أنا أبو محمد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، وكان متباعدًا عن أبي جعفر عليه السلام ، فمدّ عليه السلام يده إليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده ، ثم قال : أصلحك الله إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك .

قال : وأي شيء يقولون؟ قال : يقولون : كذاب ولا تأمرني بشيء إلا قبلته . فقال عليه السلام : سبحان الله أخبرني أبي عليه السلام والله أن مهر أمي كان مما بعث به المختار أولم بين دورنا وقتل قاتلينا وطلب بدمائنا فرحمه الله تعالى ، وأخبرني والله أبي عليه السلام أن أبوك كان ليسمر عند فاطمة بنت علي عليه السلام يمهّد لها الفراش ويثني لها الوسائد ومنها أصاب الحديث رحم الله أباك رحم الله أباك ، ما ترك لنا حقًا عند أحد إلا طلبه قتل قتلنا وطلب بدمائنا .

بيان في البحار : يسمر من السمر وهو الحديث بالليل ، وفي بعض النسخ ليستمر فهو إما افتعال أيضاً من السمر أو بتشديد الراء ، أي كان دائماً عندها ، وفي بعض النسخ ليقم وفي بعضها ليتم ، والأول كأنه أصوب وفي رجال الكشي بإسناده عن الأصمغ قال : رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح رأسه ويقول : يا كيس يا كيس .

وفيه أيضاً بإسناده عن جارود بن المنذر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام .

وفيه أيضاً بإسناده عن سدير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلنا وطلب بشارنا وزوج أراملنا وقسم فينا المال على العسرة .

أقول : قال المحقق الأردبيلي في كتابه المسمى بحديقة الشيعة ما معناه : ان ليس في حسن عقيدة المختار كلام وعدّه العلامة الحلي رحمه الله من المقبولين ، ودعا له محمد بن علي الباقر عليهما السلام بالخير ، ثم أيد ذلك بأنه إذا كان من شأن سيد الشهداء عليه الصلاة والسلام أن يفوز الناس من جهة البكاء عليه بالجنة والخلص من النار وكذلك من تمنى أن يكون معه ومع أصحابه ليشاركهم في الفوز بالشهادة ، فكيف يجوز أن يدخل النار مثل المختار الذي كان قد قتل عمر بن سعد وشمربن ذي الجوشن ، وخولى الأصبحي ، وقيس بن الأشعث الكندي ، واضرابهم من أعداء الحسين عليه السلام ومحاربيه ويحرم من دخول الجنة ، ثم قطع رحمه الله بأن المختار وأمثاله من أهل الدرجات الرفيعة والمراتب العالية .

وقال ابن نما في آخر ما ذكره في قضية المختار : اعلم أن كثيراً من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنة توقفهم على معاني الألفاظ ، ولا روية تنقلهم من رقدة الغفلة إلى الاستيقاظ ، ولو تدبروا أقوال الأئمة في مدح المختار لعلموا أنه من السابقين المجاهدين الذين مدحهم الله تعالى جلّ جلاله في كتابه المبين ، ودعاء زين العابدين عليه السلام للمختار رحمه الله دليل واضح وبرهان لاثق على أنه عنده من المصطفين الأخيار ، ولو كان غير الطريقة المشكورة ، ويعلم أنه مخالف له في اعتقاده لما كان يدعو له دعاء لا يستجاب ، ويقول فيه قولاً لا يستطاب ، وكان دعاؤه عليه السلام له عبثاً ، والإمام عليه السلام منزّه عن ذلك ، وقد أسلفنا في أقوال الأئمة عليهم السلام في مطاوي الكتاب تكرار مدحهم له ونهيهم عن ذمه ما فيه غنية لذوي الأبصار ، وبغية لذوي الاعتبار ، وإنما أعدائه عملوا له مثالب ليلاعدوه من قلوب الشيعة ، كما عمل أعداء أمير المؤمنين عليه السلام له مساوئ وهلك بها كثير ممن حاد عن محبته وحال عن طاعته ، فالولي له عليه السلام لم تغيّره الأوهام ولا باحته تلك الأحلام ، بل كشفت له عن فضله المكنون وعلمه المصون فعمل في قضية المختار ما عمل مع أبي الأئمة الأخيار عليهم السلام .

وفي التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام : كما أن بني إسرائيل أطاعوا فأكرموا وبعضهم عصوا فعذبوا ، فكذلك تكونون أنتم . قالوا : فمن العصاة يا أمير المؤمنين؟ قال : الذين أمروا بتعظيمنا أهل البيت وتعظيم حقوقنا فخالفوا ذلك وعصوا وجحدوا حقوقنا واستخفوا بها وقتلوا أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أمروا بإكرامهم ومحبتهم . قالوا : يا أمير المؤمنين وإن ذلك لكائن؟ قال : بلى . خبراً حقاً وأمرأ كائناً سيقتلون ولدي هذين الحسن والحسين ، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : وسيصيب أكثر الذين ظلموا رجلاً في الدنيا بسيف يسلطه الله عليهم للانتقام بما كانوا يفسقون كما أصاب بني إسرائيل الرجز .

قيل : ومن هو؟ قال : غلام من ثقيف يقال له المختار بن أبي عبيدة .

وقال علي بن الحسين عليهما السلام : فكان ذلك بعد قوله هذا بزمان ، وإن هذا الخبر اتصل بالحجاج بن يوسف عليه لعائن الله من قول علي بن الحسين عليهما السلام ، فقال : أما رسول الله صلى الله عليه وآله فما قال هذا ، وأما علي بن أبي طالب عليه السلام فأنا أشك فيما حكاه عن رسول الله ، وأما علي بن الحسين عليهما السلام فصبي مغرور يقول الأباطيل ويغربها متبعوه اطلبوا إلي المختار فطلب وأخذ فقال : قدموه إلى النطع واضربوا عنقه ، فأتي بالنطع فبسط وابرک عليه المختار ، ثم جعل الغلمان يجيئون ويذهبون لا يأتون بالسيف .

قال الحجاج لعنه الله : ما لكم؟ قالوا : لسنا نجد مفتاح الخزانة وقد ضاع منا ، والسيف في الخزانة ، فقال المختار : لن تقتلني ولن يكذب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولئن قتلني ليحييني الله تعالى حتى أقتل منكم ثلاثمائة وثلاثة وثمانين ألفاً . فقال الحجاج لعنه الله لبعض حجاجه : أعط السيف سيفك يقتله ، فأخذ السيف سيفه وجاء ليقتله به ، والحجاج يحثه ويستعجله .

فبينما هو في تدبيره إذ عشر والسيف في يده ، فأصاب السيف بطنه فشقه فمات ، فجاء بسيف آخر وأعطاه السيف ، فلما رفع يده ليضرب عنقه لدغته عقرب وسقط ومات ، فنظروا إذا العقرب فقتلوه ، فقال المختار : يا حجاج إنك لا تقدر على قتلي ، ويحك يا حجاج أما تذكر ما قال نزار بن معد بن عدنان لسابور ذي الاكتاف حين كان يقتل العرب ويصطلمهم فأمر نزار فوضع في زنبيل في طريقه .

فلما رآه قال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل من العرب أريد أن أسألك لم تقتل هؤلاء العرب ولا ذنوب لهم إليك وقد قتلت الذين كانوا مذنبين في عملك والمفسدين ؟ قال : لأنني وجدت في الكتاب أنه يخرج منهم رجل يقال له محمد يدعى النبوة فيزيل دولة ملوك الأعاجم ويفنيها ، فأقتلهم حتى لا يكون منهم ذلك الرجل . فقال نزار : لئن كان وجدته في كتب الكذابين فما أولاك أن تقتل البراء غير المذنبين ، وإن كان ذلك من قول الصادقين فإن الله سيحفظ ذلك الأصل الذي يخرج منه هذا الرجل ، ولن تقدر على إبطاله ويجري قضاؤه وينفذ أمره ، ولو لم يبق من جميع العرب إلا واحد .

فقال سابور : صدقت هذا نزار بالفارسية يعني المهزول ، كفوا عن العرب فكفوا غيهم ، ولكن يا حجاج إن الله قد قضى أن أقتل منكم ثلثمائة ألف وثلاثة وثمانين ألف رجل ، فإن شئت فتعاط قتلي وإن شئت فلا تعاط ، فإن الله إما أن يمنعك عني وإما أن يحييني بعد ذلك ، فإن قول رسول الله صلى الله عليه وآله حق لا مرية فيه .

فقال لعنه الله للسيف : اضرب عنقه . فقال المختار : إن هذا لن يقدر على ذلك ، وكنت أحب أن تكون أنت المتولي لما تأمره ، فكان يسلط عليك أفعى كما سلط على هذا الأول عقرباً .

فلما هم السيف أن يضرب عنقه إذا برجل من خواص عبد الملك بن

مروان قد دخل فصاح بالسَّيَاف : كَفَّ عنه ومعه كتاب من عبد الملك بن مروان ، فإذا فيه :

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ : أمَّا بعد ، يا حجاج بن يوسف فإنه قد سقط إلينا طير عليه رقعة أنك أخذت المختار بن أبي عبيدة تريد قتله ، فتزعم أنه حكى عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فيه أنه سيقتل من أنصار بني أمية ثلثمائة وثلاثة وثمانون ألف رجل ، فإذا أتاك كتابي هذا فخل عنه ولا تعرض له إلا بسبيل خير ، فإنه زوج ظئر الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وقد كلمني فيه فإن الذي حكى إن كان باطلاً فلا معنى لقتل رجل مسلم بخبر باطل ، فإن كان حقاً فإنك لا تقدر على تكذيب قول رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، فخلى عنه الحجاج فجعل المختار يقول : سأفعل كذا وأخرج وقت كذا وأقتل من الناس كذا ، وهؤلاء صاغرون يعني بني أمية .

فبلغ ذلك الحجاج فأخذ وأنزل لضرب العنق ، فقال المختار : إنك لن تقدر على ذلك ، فلا تتعاط رداً على الله ، فكان في ذلك إذ سقط طائر آخر عليه كتاب من عبد الملك بن مروان :

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ : يا حجاج لا تعرض للمختار ، فإنه زوج مرضعة ابن الوليد ، ولئن كان حقاً فتمنع من قتله كما منع دانيال من قتل بخت نصر الذي كان قضى الله أن يقتل بني إسرائيل ، فتركه الحجاج وتوعده إن عاد لمثل مقالته فعاد لمثل مقالته ، فاتصل بالحجاج الخبر ، فطلبه فاخترى مدة ثم ظفر به .

فلما هم بضرب عنقه إذ قد ورد عليه كتاب عبد الملك أن ابعث إلي المختار مثل ما ورد قبل فاحتبسه الحجاج وكتب إلى عبد الملك كيف تأخذ إليك عدواً مجاهراً يزعم أنه يقتل من أنصار بني أمية كذا وكذا ألفاً ، فبعث إليه عبد الملك أنك رجل جاهل لئن كان الخبر فيه باطلاً فما أحقنا برعاية حقه لحق من خدمنا ، وإن كان الخبر فيه حقاً فإننا سنريه ليست

علينا كما ربّي فرعون موسى حتى سلّط عليه ، فبعثه إليه الحجاج ، فكان من أمر المختار ما كان وقتل من قتل .

وقال علي بن الحسين عليهما السلام لأصحابه : وقد قالوا له : يا بن رسول الله (ص) : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام ذكر من أمر المختار ولم يقل متى يكون قتله لمن يقتل؟ فقال علي بن الحسين عليهما السلام : صدق أمير المؤمنين عليه السلام ، أولاً أخبركم متى يكون؟ قالوا : بلى .

قال عليه السلام : يوم كذا إلى ثلاث سنين من قولي هذا ، وسيؤتى برأس عبيد الله بن زياد وشمر بن ذي الجوشن عليهما اللّعة في يوم كذا وكذا ، وسنأكل وهما بين أيدينا ننظر إليهما .

قال : فلمّا كان في اليوم الذي أخبرهم أنّه يكون فيه القتل من المختار لأصحاب بني أمية كان علي بن الحسين عليهما السلام مع أصحابه على مائدة ، إذ قال لهم : معاشر اخواننا طيبوا نفساً وكلوا فإنكم تأكلون وظلمة بني أمية يحصدون . قالوا : أين؟ قال عليه السلام : في موضع كذا يقتلهم المختار وسيؤتى برأسين يوم كذا وكذا .

فلمّا كان في ذلك اليوم أتى بالرّأسين لمّا أراد أن يقعد للأكل ، وقد فرغ من صلاته ، فلمّا رآهما سجد وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني فجعل يأكل وينظر إليهما . فلمّا كان في وقت الحلواء لم يؤت بالحلواء لمّا كانوا قد اشتغلوا عن عمّله بخبر الرّأسين ، فقال ندماءه : لم يعمل اليوم الحلواء . فقال علي بن الحسين عليهما السلام : لا نريد حلواء أحلى من نظرنا إلى هذين الرّأسين ، ثم عاد إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام . قال عليه السلام : وما للكافرين والفسّاقين عند الله أعظم وأوفى .

وروى ابن نما في الرّسالة عن أبي حمزة الثمالي قال : كنت أزور علي بن الحسين عليهما السلام في كلّ سنة مرّة في وقت الحجّ ، فأتيته

سنة وإذا على فخذ صبي ، فقام الصبي فوق عتبة الباب ، فانشج فوثب إليه مهرولاً ، فجعل ينشف دمه ويقول : إني أعيذك أن تكون المصلوب في الكناسة ، قلت : بأبي أنت وأمي وأي كناسة؟ قال : كناسة الكوفة ، قلت : ويكون ذلك؟ قال : أي والذي بعث محمداً بالحق ، لئن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة وهو مقتول ومدفون منبوش مسحوب مصلوب في الكناسة . ثم ينزل فيحرق ويذرى في البر .

قلت : جعلت فداك ، وما اسم هذا الغلام؟ فقال : ابني زيد ، ثم دمعت عيناه ، وقال : لأحدثك بحديث ابني هذا : بينما أنا ليلة ساجد وراكع ذهبت في النوم فرأيت كأنني في الجنة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم ، قد زوجوني حوراء من حور العين ، فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى ، ووليت هتف بي هاتف ليهنك زيد فاستيقظت وتطهرت وصليت صلاة الفجر ، فذق الباب رجل ، فخرجت إليه فإذا معه جارية ملفوف كمها على يده ، مخمرة بخمار ، قلت : ما حاجتك؟ قال : أريد علي بن الحسين عليه السلام . قلت : أنا هو . قال : أنا رسول المختار بن أبي عبيدة الثقفي يقرئك السلام ويقول : وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريتها بستمائة دينار ، وهذه ست مائة دينار فاستعن بها على دهرك ودفع إلي كتاباً كتبت جوابه وقلت : ما اسمك؟ قالت : حوراء فهيأوها لي بيت بها عروساً . فعلمت بهذا الغلام فسميته زيدا وسترى ما قلت لك (الخبر) .

وفي المنتخب قال أبو حمزة الثمالي : فوالله لقد رأيت زيدا مقتولاً ثم سحب ثم دفن ثم نبش ثم صلب ولم يزل مصلوباً زماناً طويلاً حتى عشعشت الفاختات في جوفه ، ثم أحرق ودق وذري في الهواء .

أقول : ولا بأس بإيراد خبر يشتمل على كيفية حال زيد وماله ، وإن كان غير مناسب في المقام لأنه قد انجر إليه الكلام .

وهو ما روى الشيخ فخر الدين بن طريح النجفي في المنتخب ، عن بعض الاخباريين قال : سألت خالد بن فضلة ، عن فضل زيد بن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، فقال : أي رجل كان؟ قال : ما علمت من فضله . قال : كان يبكي من خشية الله تعالى حتى تخلط دموعه بدمه طول الليلة حتى اعتقد كثير من الناس فيه الإمامة ، وكان سبب اعتقادهم ذلك منه لخروجه بالسيف يدعو بالرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله ، فظنوه يريد بذلك نفسه ، ولم يكن يريد لها لمعرفته باستحقاق من قبله . وكان سبب خروجه الطلب بدم جدّه الحسين عليه السلام ، وإنه دخل يوماً على هشام بن عبد الملك وقد كان جمع له هشام بني أمية وأمرهم أن يتضايقوه في المجلس حتى لا يتمكن زيد من الوصول إلى قربه . فوقف زيد مقابله وقال له : يا هشام ليس أحد من عباد الله فوق أن يوصى بتقوى الله في عباده ، وأنا أوصيك بتقوى الله فاتقه . فقال له هشام : يا زيد أنت المؤهل نفسك للخلافة ، وأنت الرّاجي لها ، وما أنت وذاك لا أم لك وإنما أنت ابن أمة . فقال له زيد : إني لا أعلم أحداً أعظم عند الله من نبي بعثه ، فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعث الله اسماعيل نبياً وهو ابن أمة ، فالنبوة أعظم أم الخلافة وبعد فما يقصر في رجل جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن علي بن أبي طالب عليه السلام أن يكون ابن أمة .

قال : فنهض هشام مغضباً ودعى قهرمانه وقال : والله لآتين هذا بعسكر يضيق عليه الفضاء ، وخرج زيد وهو يقول : لم يكره قوم قط حرّ السيف إلا ذلوا ، ثم إنه توجه إلى الكوفة فاجتمع عليه أهلها وبايعوه على الحرب معه ، فنقضوا بيعته وسلموه لعدوه فقتل رحمة الله عليه وصلب في موضع يقال له الكناسة ، وبقي مصلوباً بينهم أربع سنوات لا ينكر أحد منهم بيد ولا لسان ، وقد عششت الفاختات في جوفه ، وقد خانوا به أهل الكوفة ، ونقضوا بيعته كما خانوا آبائهم وأجدادهم من قبل .

قال : فلمّا بلغ قتله إلى الصادق عليه السلام حزن عليه حزناً عظيماً ، وجعل يأنّ عليه من وجده وفرّق من ماله صدقة عنه وعمّن أصيب معه من أصحابه لكل بيت منهم ألف دينار ، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر صفر سنة عشرين ومائة من الهجرة ، وكان عمره يوم قتل اثنين وأربعين سنة . قال : فلمّا قتل زيد سرّ بقتله المنافقون وحزن له المؤمنون .

وأما الحكم لعنة الله عليه فإنه فرح بقتله وعمل يوم قتله عيداً ، وهو مسرور يقول :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خير من علي وأطيب

قال : فبلغ قوله الصادق عليه السلام فاغتمّ منه عليه السلام غمّاً شديداً ، ورفع يديه إلى نحو السماء وهما يرعشان من شدة عزمه وقال عليه السلام : اللهم إن كان عبدك الحكم كاذباً فسلب عليه كلباً من كلابك يأكله . قال : فأرسله بنو أمية إلى الكوفة فافترسه الأسد لا رضي الله عنه ، فوصل خبره إلى الصادق عليه السلام فخرّ ساجداً لله لسرعة إجابة دعائه عليه السلام . وقال : الحمد لله الذي أنجز وعده وأهلك عدوه .

أقول : وتفصيل أحوال المختار على ما ذكره الشيخ جعفر بن محمد بن نما زيادة على ما ذكرناه سابقاً في هذا المضممار من بعض أحواله من الكتب المفصلة ذوات الاعتبار ، هو أن المختار كان ذا مقول مشحوذ الغرار ، مأمون العثار ، إن نطق سجع ، وإن نطق برع ، ثبت الجنان ، مقدم الشجعان ، ما حدس إلا أصاب ، ولا تفرس قط فخاب ، ولو لم يكن كذلك لما قام بأدوات المفاخر ، ورأس على الأمراء والعساكر ، وولى علي عليه السلام عمّه على المدائن عاملاً ، والمختار معه .

فلمّا ولى المغيرة بن شعبة الكوفة من قبل معاوية رحل المختار إلى

المدينة ، وكان يجالس محمد بن الحنفية ، ويأخذ عنه الأحاديث ، فلما عاد إلى الكوفة ركب مع المغيرة يوماً ، فمر بالسوق فقال المغيرة : يا الخارة ويا له جمع إني لأعلم كلمة لو نعلق لها ناعق ولا ناعق لها لا تبعوه ولا سيما الأعاجم الذين إذا القي إليهم الشيء قبلوه ، فقال له المختار : وما هي يا عم؟ قال : يا ستادون بآل محمد صلى الله عليه وآله فاغضى عليها المختار ولم يزل ذلك في نفسه ، ثم جعل يتكلم بفضل آل محمد صلى الله عليه وآله وينشر مناقب علي والحسن والحسين عليهم السلام ويسر ذلك ويقول : إنهم أحق بالأمر من كل أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويتوجع عليهم مما نزل بهم .

ففي بعض الأيام لقيه سعيد بن خالد الجدلي جديلة قيس ، فقال له : يا سعيد إن أهل الكتب ذكروا أنهم يجدون رجلاً من ثقيف يقتل الجبارين وينصر المظلومين ، ويأخذ بثأر المستضعفين ، ووصفوا صفته ، فلم يذكروا صفة في الرجل إلا وهي في غير خصلتين ، أنه شاب وقد جاوزت الستين ، وأنه رديء البصر وأنا أبصر من عقاب ، فقال سعيد : أما السن فإن ابن الستين والسبعين عند أهل ذلك الزمان شاب ، وأما بصرك فما تدري ما يحدث الله تعالى فيه لعله يكل .

قال عيسى : فلم يزل على ذلك حتى مات معاوية وولي يزيد ووجه الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، فأسكنه المختار داره وبأيعه ، فلما قتل مسلم سعي بالمختار إلى عبيد الله بن زياد فأحضره فقال له : يا بن عبيد أنت المبايع لأعدائنا ، فشهد له عمرو بن حريث أنه لم يفعل ، فقال عبيد الله لعنه الله : لولا شهادة عمرو لقتلتك وشتمه وضربه بقضيب في يده ، فشر عينه وحبسه وحبس أيضاً عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب .

وكان في الحبس ميثم التمار رحمه الله ، فطلب عبد الله حديدة يزيل بها شعر يديه ، وقال : لا آمن بابن زياد يقتلني ، فأكون قد القيت ما علي

من الشعر ، فقال المختار : والله لا يقتلك ولا يقتلني ولا يأتي عليك إلا قليل حتى تلي البصرة ، فقال ميثم للمختار : وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدميك على وجنتيه ولم يزل ذلك يتردد في صدره حتى قتل الحسين عليه السلام ،

فكتب المختار إلى اخته صفية بنت أبي عبيدة ، وكانت زوجة عبدالله بن عمر لتسأله مكاتبة يزيد بن معاوية فكتب إليه فقال يزيد لعنه الله : تشفع أبا عبدالرحمن وكلمته هند بنت أبي سفيان في عبدالله بن الحارث وهي خالته .

فكتب إلى عبيدالله بن زياد لعنهما الله فأطلقهما بعد أن أجل للمختار ثلاثة أيام ليخرج من الكوفة ، وإن تأخر عنها ضرب عنقه .

فخرج هارباً نحو الحجاز حتى إذا صار براقصة لقي الصقعب بن زهير الأزدي ، فقال : يا أبا إسحق ما لي أرى عينك على هذه الحال . قال : فعل ذلك بي عبيدالله بن زياد قتلني الله إن لم أقتله وأقطع أعضائه ولأقتلن بالحسين عليه السلام عدد الذين قتلوا بيعحي بن زكريا عليه السلام وهم سبعون ألفاً .

ثم قال : والذي أنزل القرآن وبين الفرقان ، وشرع الأديان ، وكره العصيان ، لأقتلن العصاة من ازد عمان ومذحج وهمدان ، ونهد وخولان ، وبكر وهزان ، ونفل وتيهان ، وعبس وذبيان ، وقبائل قيس وعيلان ، غضباً لابن بنت نبي الرحمن .

نعم يا صقعب وحق السميع العليم ، العلي العظيم ، العدل الكريم ، العزيز الحكيم ، الرحمن الرحيم ، لأعركن عرك الأديم ، بني كندة وسليم ، والأشراف من تميم .

ثم سار إلى مكة قال ابن العرق : رأيت المختار أشتري العين ، فسألت فقال : شترها ابن زياد لعنه الله ، يابن العرق إن الفتنة أرعدت وأبرقت ،

وكان قد أينعت ، وألقت خطامها وخبطت ، وشمست وهي رافعة ذيلها
وقائلة ويلمها بدجلة وحولها .

فلم يزل على ذلك حتى مات يزيد يوم الخميس لأربع عشرة ليلة
خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة أربع وعمره على
الخلافة فيه ثمان وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته ستين وثمانية أشهر ،
وخلف أحد عشر ولداً منهم أبو ليلى معاوية وبويع له بالشام ، وخلع نفسه
وأخوه خالد أمه بنت هاشم بن عتبة بن عبد مناف تزوجها مروان بن
الحكم لعنه الله بعد يزيد لعنه الله تعالى ، وفيها قال الشاعر :

سلمى أم خالد رب ساع لقاعد

وفي تلك السنة بويع لعبدالله بن الزبير ولمروان بن الحكم بالشام
ولعبيد الله بن زياد بالبصرة .

وأما أهل العراق فإنهم وقعوا في الحيرة والأسف والندم على تركهم
نصرة الحسين عليه السلام ، وكان عبيدالله بن الحر بن المجمع بن خريم
الجعفي من أشراف أهل الكوفة ، وكان قد مشى إليه الحسين عليه السلام
وندبه إلى الخروج معه فلم يفعل ، ثم تداخله الندم حتى كادت نفسه
تفيض فقال شعراً :

فيا لك حسرة ما دمت حياً	تردد بين حلقي والتراقي
حسين حين يطلب بذل نصري	على أهل الضلالة والنفاق
غداً يقول لي بالقصر قولاً	أتركنا وتزعم بالفراق
ولو أنني أواسيه بنفسي	لنلت كرامة يوم التلاق
مع ابن المصطفى نفسي فداه	تولى ثم ودع بانطلاق
فلو فلق التلهف قلب حي	لهم اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الألى نصروا حسينا	وخاب الآخرون أولي النفاق

ولم يكن في العراق من يصلح للقتال والنجدة والبأس إلا قبائل العرب بالكوفة .

فأول من نهض سليمان بن صرد الخزاعي ، وكان له صحبة مع النبي صلى الله عليه وآله ومع علي عليه السلام .

والمسيب بن نجية الفزاري ، وهو من كبار الشيعة ، وله صحبة مع علي عليه السلام وعبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي ورفاعة بن شداد البجلي ، وعبدالله بن وائل التيمي من بني التيم ، واللات بن ثعلبة ، فاجتمعوا في دار سليمان ومعهم أناس من الشيعة ، فبدأ سليمان بالكلام فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أما بعد فقد ابتلينا بطول العمر والتعرض للفتن ، ونرغب إلى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له : ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ .

وقال علي عليه السلام : العمر الذي أنذر فيه ابن آدم ستون سنة ، وليس فينا إلا من قد بلغها ، وكنا مغرمين بتذكية أنفسنا ومدح شيعتنا حتى بلى الله خيارنا فوجدنا كذابين في نصر ابن بنت نبيتنا ولا عذر لنا دون أن تقتلوا قاتليه فعسى ربنا أن يعفو عنا .

قال رفاعة بن شداد : قد هداك الله لأصوب القول ، ودعوت إلى أرشد الأمور ، جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب ، فمسموع منك مستجاب لك مقبول قولك ، فإن رأيتم ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله سليمان بن صرد ، فقال المسيب بن نجية أصبتم ووفقتم ، وأنا أرى الذي رأيتم ، فاستعدوا للحرب .

وكتب سليمان كتاباً إلى من كان بالمدينة من الشيعة من أهل الكوفة ، وحمله مع عبدالله بن مالك الطائي إلى سعد بن حذيفة اليماني يدعوهم إلى أخذ الثار ، فلما وقفوا على الكتاب قالوا : رأينا مثل رأيهم ، وكتب سعد بن حذيفة الجواب بذلك .

وكتب سليمان إلى المثنى بن مخزومة العبدى كتاباً وبعثه مع
ظبيان بن عمادة التميمي من بني سعد ، فكتب المثنى الجواب :

أما بعد فقد قرأت كتابك واقرأته اخوانك ، فحمدوا رأيك واستجابوا
لك ، ونحن موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت والسلام عليك .
وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات :

تبصر فلاني قد أتيتك معلماً	على ائلع الهادي أجش هزيم
طويل القرانهـد أشق مقلص	ملح على قاري اللجام رؤوم
بكل فتى لا يملأ الدرع نحره	محش لثار الحرب غير سؤوم
أخي ثقة يبغي الإله بسيفه	ضروب بنصل السيف غير أثيم

وذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه ، أن أول ما ابتدأ به الشيعة
من أمرهم سنة إحدى وستين وهي السنة التي قتل فيها الحسين عليه
السلام ، فما زالوا في جمع آله الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الشيعة
بعضهم لبعض في السير للطلب بدم الحسين عليه السلام حتى مات يزيد
لعنه الله ابن معاوية ، وكان بين مقتل الحسين عليه السلام وهلاك يزيد
لعنه الله ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام ، وكان أمير العراق عبيدالله لعنه
الله وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث المخزومي ، وكان عبدالله بن الزبير
قبل موت يزيد لعنه الله يدعو الناس إلى طلب ثار الحسين عليه السلام
وأصحابه ويغريهم بيزيد لعنه الله ويوثبهم عليه ، فلمّا مات يزيد لعنه الله
أعرض عن ذلك القول وبأنه يطلب الملك لنفسه لا للثار .

وذكر المدائني عن رجاله أن المختار لما قدم على عبدالله بن الزبير لم
يرعده ما يريد ، فقال :

ذو مخاريق وذو مندوحة	وركابي حيث وجهت ذل
لا تبين منزلاً تكرهه	وإذا زلت بك النعل فزل

فخرج المختار من مكة متوجّهاً إلى الكوفة فلقيه هاني بن أبي حية

الوداعي ، فسأله عن أهلها ، فقال : لو كان لهم رجل يجمعهم على شيء واحد لأكل الأرض بهم ، فقال المختار : أنا والله أجمعهم على الحق ، وألقى بهم ركبان الباطل ، وأقتل بهم كل جبار عنيد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

ثم سأله المختار عن سليمان بن صرد هل توجه لقتال الملحدين ؟ قال : لا ، ولكنهم عازمون على ذلك ، ثم سار المختار حتى انتهى إلى نهر الحيرة وهو يوم الجمعة ، فنزل واغتسل ولبس ثيابه وتقلد سيفه ، وركب فرسه ودخل الكوفة نهراً لا يمر بمسجد القبائل ومجالس القوم ومجتمع المحال إلا وقف وسلم وقال : أبشروا بالفرج ، فقد جئكم بما تحبون ، وأنا المسلط على الفاسقين ، والطالب بدم أهل بيت نبي رب العالمين .

ثم دخل الجامع وصلى فيه ، فرأى الناس ينظرون إليه ويقول بعضهم لبعض : هذا المختار ما قدم إلا لأمر ونرجوه بالفرج ، وخرج من الجامع ونزل داره ويعرف قديماً بدار سالم المسيب ، ثم وجه إلى وجوه الشيعة وعرفهم أنه جاء من محمد بن الحنفية للطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام ، وهذا أمر لكم فيه الشفاء ، وقتل الأعداء ، فقالوا : أنت موضع ذلك وأهله غير أن الناس قد بايعوا سليمان بن صرد الخزاعي ، فهو شيخ الشيعة اليوم ، فلا تعجل في أمرك ، فسكت المختار وأقام ينتظر ما يكون من أمر سليمان والشيعة حينئذ يدبرون أمرهم سرراً خوفاً من عبد الملك بن مروان ، ومن عبدالله بن الزبير ، وكان خوف الشيعة من أهل الكوفة أكثر لأن أكثرهم قتلة الحسين عليه السلام .

وصار المختار يفخذ الناس عن سليمان ويدعوهم إلى نفسه ، فأول من بايعه وضرب على يده عبيد بن عمر واسماعيل بن كثير ، فقال عمر بن سعد وشبث بن ربعي لعنهم الله لأهل الكوفة : إن المختار أشد عليكم لأن سليمان إنما خرج يقاتل عدوكم والمختار إنما يريد يثب

عليكم ، فسيروا إليه وأوثقوه بالحديد وخلدوه في السجن ، فما شعر حتى أحاطوا بداره واستخرجوه .

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة لعبد الله بن يزيد : أوثقه كتافاً ومشه حافياً ، فقال له : لم أفعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة ولا حرباً ، إنما أخذناه على الظن ، فأتي بيغلة له دهماً فركبها وأدخلوه السجن .

قال يحيى بن عيسى : دخلت مع حميد بن مسلم الأزدي إلى المختار وسمعتة يقول : أما وربّ البحار والنخل والأشجار ، والمهامه القفار ، والملائكة الأبرار ، والمصطفين الأخيار ، لأقتلن كلّ جبار ، بكلّ لدن خطار ، ومهند تبار ، في جموع من الأنصار ، ليسوا بميل ولا أغمار ، ولا بعز أشرار ، حتى إذا أقمت عمود الدين ، ورأيت صدع المسلمين ، وأدركت ثار النبيين لم يكبر عليّ زوال الدنيا ، ولا أحفل بالموت إذا أتى .

أقول : ثم أخذ رحمه الله تعالى في ذكر رجال سليمان بن صرد وخروجه ومقتله في المرتبة الثانية من المراتب التي قررها لذكر ما وقع من المختار ، فقال : لما أراد يعني سليمان بن صرد النهوض بعسكره من النخيلة وهي العباسية مستهل ربيع الآخر سنة خمس وستين وهي السنة التي أمر مروان بن الحكم أهل الشام بالتبعية من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما وليّ عهده ، وفيها مات مروان لعنه الله بدمشق مستهل شهر رمضان المبارك وهو ابن إحدى وثمانين سنة ، وكانت خلافته تسعة أشهر ، وكان عبيد الله لعنه الله بالعراق ، فسار حتى نزل الجزيرة ، فأتاه الخبر بموت مروان وخرج سليمان بن صرد ليرحل فرأى عسكره فاستقله فبعث حكيم بن منقذ الكندي والوليد بن حصين الكناني في جماعة وأمرهما بالنداء في الكوفة : يا لشارت الحسين عليه السلام ، فسمع النداء رجل من كثير من الأزدي ، وهو عبد الله بن حازم وعنده ابنته وامراته سهلة بنت سبرة ، وكانت من أجمل النساء وأحبهن إليه ، ولم يكن دخل في القوم ، فوثب إلى ثيابه فلبسها وإلى سلاحه وفرسه ، قالت له زوجته :

ويحك أجننت قال : لا ولكني سمعت داعي الله عز وجل ، فأنا مجيبه
وطالب بدم هذا الرجل حتى أموت ، فقالت : إلى من تودع بيتك هذا؟
قال : إلى الله ، اللهم إني أستودعك أهلي وولدي ، اللهم احفظني فيهم
وتب علي فيما فرطت في نصرة ابن بنت نبيك صلى الله عليه وآله .

ثم نادى : يا لشارات الحسين عليه السلام في الجامع والناس
يصلون العشاء الآخرة ، فخرج مع جمع كثير إلى سليمان ، وكان معه ستة
عشر ألفاً مثبتة في ديوانه ، فلم يصف منهم سوى أربعة آلاف وعزم على
المسير إلى الشام لمحاربة عبيد الله بن زياد لعنه الله ، فقال له عبدالله بن
سعد : إن قتلة الحسين عليه السلام كلهم بالكوفة ، منهم عمر بن سعد
لعنه الله ورؤوس الأرباع وأشراف القبائل ، وليس بالشام إلا عبيد الله بن زياد
لعنه الله فلم يوافق إلا على المسير ، فخرج عشية الجمعة لخمس مضيئ
من شهر ربيع الآخر ، كما ذكرنا فباتوا بدير الأعور ، ثم سار فنزل على
اقساس بني مالك على شاطئ الفرات ، ثم أصبحوا عند قبر الحسين عليه
السلام ، وأقاموا يوماً وليلة يصلون ويستغفرون ، ثم ضجّوا ضجّة واحدة
بالبكاء والعويل ، فلم يُر يوماً أكثر بكاءً منه وازدحموا عند الوداع على قبره
الشريف كالزحام على الحجر الأسود ، وقام في تلك الحال وهب بن زمعة
الجعفي باكياً على القبر ، وأنشد أبيات عبدالله بن الحر الجعفي :

بييت النشاوى من أمية نوما	وبالظف قتلى لا ينام حميمها
وما ضيع الإسلام إلا قبيلة	تأمر نوكاها ودام نعيمها
وأضحت قناة الدين في كف ظالم	إذا اعوج منها جانب لا يقيمها
فأقسمت لا تنفك نفسي حزينه	وعيني تبكي لا يجف سجومها
حياتي أو تلقى أمية خزية	يذل لها حتى الممات قرومها

ثم قال رحمه الله تعالى : فساروا حتى أتوا هيت ، ثم خرجوا حتى
انتهوا إلى قرقيسيا وبلغهم أن أهل الشام في عدد كثير ، فساروا سيراً مغذاً
حتى وردوا عين الورد ، عن يوم وليلة ، ثم قام سليمان بن صرد فوعظهم

وذكرهم الدار الآخرة ، وقال : إن قتلت فأميركم المسيب بن نجية ، فإن أصيب المسيب فالأمير عبدالله بن سعيد بن نفيل ، فإن أصيب فأخوه خالد بن سعيد ، فإن قتل خالد فالأمير عبدالله بن وائل ، فإن قتل ابن وائل فأميركم رفاعه بن شداد .

ثم بعث سليمان بالمسيب بن نجية في أربعة آلاف فارس رائداً ، وأن يشن عليهم الغارة .

وقال حميد بن مسلم : كنت معهم فسرنا يومنا كله وليلتنا حتى إذا كان السحر نزلنا وهو منا ، ثم ركبنا وقد صليتنا الصبح ففرق العسكر ، وبقي معه مائة فارس ، فلقي أعرابياً فقال : كم بيننا وبين أدنى القوم؟ فقال : هذا عسكر شرحبيل بن ذي الكلاع من قبل عبيد الله معه أربعة آلاف ومن ورائهم الحصين بن نمير في أربعة آلاف ، ومن ورائهم الصلت بن ناحية الغلابي في أربعة آلاف ، وجمهور العسكر مع عبيد الله بن زياد لعنه الله بالرقّة ، فساروا حتى أشرفوا على عسكر الشام .

فقال المسيب لأصحابه : كروا عليهم ، فحمل عليهم عسكر العراق فانهزموا فقتل منهم خلق كثير ، وغنموا منهم غنيمة عظيمة ، وأمرهم المسيب بالعود فرجعوا إلى سليمان بن صرد ، ووصل الخبر إلى عبيد الله ، فسرح إليهم الحصين بن نمير واتبعه بالعساكر حتى نزل في عشرين ألفاً وعسكر العراق يومئذ ثلاثة آلاف ومائة لا غير . ثم تهيأت العساكر للحرب فكان على ميمنة أهل الشام عبدالله بن الضحّاك بن قيس الفهري وعلى ميسرتهم مخارق بن ربيعة الغنوي ، وعلى الجناح شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري ، وفي القلب الحصين بن نمير السكوني ، ثم جعل أهل العراق على ميمنتهم المسيب بن نجية الفزاري ، وعلى ميسرتهم عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي ، وعلى الجناح رفاعه بن شداد البجلي ، وعلى القلب الأمير سليمان بن صرد الخزاعي . ووقف العسكر فنادى أهل الشام : ادخلوا في طاعة عبدالملك بن مروان ، ونادى أهل العراق سلموا

إلينا عبيد الله بن زياد ، وان يخرج الناس من طاعة عبد الملك وآل الزبير ،
ويسلم الأمر إلى أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله ، فأبى الفريقان ،
فحمل بعضهم على بعض ، وجعل سليمان بن صرد يحرضهم على القتال
ويبشّرهم بكرامة الله ، ثم كسر جفن سيفه وتقدم نحو أهل الشام وهو
يقول :

إليك ربّي تبّت من ذنوبي وقد علاني في الوري مشيبي
فارحم عبيداً غير ما تكذيب واغفر ذنوبي سيدي وحُوبي

قال حميد بن مسلم : حملت ميمتنا على ميسرتهم ، وحملت
ميسرتنا على ميمنتهم ، وحمل سليمان في القلب فهزمناهم ، وظفرنا بهم
وحجز الليل بيننا وبينهم ، ثم قاتلناهم في الغد وبعده حتى مضت ثلاثة
أيام ، ثم أمرهم الحصين بن نمير لأهل الشام برمي النبل ، فأتت السهام
كالشرار المتطائر ، فقتل سليمان بن صرد رحمه الله ، فلقد بذل في أهل
الشام مهجته ، وأخلص لله توبته ، ولقد قلت هذين البيتين حيث مات مبرئاً
من العيب والشين :

قضى سليمان نحبه فغداً إلى جنان ورحمة الباري
مضى حميداً في بذل مهجته وأخذه للحسين بالشار

ثم أخذ الراية المسيّب بن نجية فقاتل قتالاً خرت له الأذقان ، وأثر
في ذلك الجيش الجَمّ الطّعان ثلاث مرّات ، وكان من أعظم الشجعان
قتالاً وأكبرهم على الأعداء نكالاً وهو يقول :

قد علمت ميّالة الذّوائب واضحة الخدين والترائب
أنّي غداة الرّوع والتغالب أشجع من ذي لبدة موائب
قصاع أقران مخوف الجانب

فلم يزل يكرّ عليهم فيفرون بين يديه حتى تكاثروا عليه فقتلوه .

ثم أخذ الراية عبدالله بن سعد بن نفيل ثم حمل على القوم وطعن وهو يقول :

ارحم إلهي عبدك الثوابيا ولا تأخذه فقد أنابا
وفارق الأهلين والأحبابا يرجو بذاك الفوز والثوابا

فلم يزل يقاتل حتى قتل ، ثم تقدم أخوه خالد بن سعد بالراية ، وحرّضهم على القتال ورغبهم في حميد الفحال ، فقاتل أشد قتال ، ونكل بهم أي نكال ، حتى قتل وتقدم عبدالله بن وائل فأخذ الراية وقاتل حتى قطعت يده اليسرى ، ثم استند إلى أصحابه ويده تشخب دماً ، ثم كرّ عليهم وهو يقول :

نفسى فداكم اذكروا الميثاقا وصابروهم واحذروا النفاقا
لا كوفة نبغي ولا عراقا لا بل نريد الموت والعناقا

وقاتل حتى قتل ، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم النجدة مع المشي بن مخزومة العبدي من البصرة ، ومن المدائن مع كثير بن عمرو الحنفي ، فاشتدت قلوب أهل العراق بهم ، واجتمعوا وكثروا ، واشتد القتال ، فتقدم رفاعه بن شداد نحو صفوف أهل الشام وهو يرتجز ويقول :

يا ربّ أني تائب اليكما قد أتكلت حبيدي عليكما
قدما ارجى الخير من يديكما فاجعل ثوابي أملي لديكما

قال عبدالله بن عوف الأزدي : واشتد القتال حتى بان في أهل العراق الضعف ، فتحدّثوا في ترك القتال ، فبعضهم يوافق وبعضهم يقول : إنّ ولينا ركبنا السيف ، فلا نمشي فرسحاً حتى لا يبقى منا واحد ، وإنما نقاتل حتى يأتي الليل ونمضي ، ثم تقدم عبدالله بن عوف إلى الراية ، فرفعها فاقتتلوا أشد القتال ، فقتل جماعة من أهل العراق وانفلت الجموع وافترق الناس ، وعاد العسكر حتى وصلوا قرقيسياً من جانب البرّ ، وجاء سعد بن حذيفة إلى هيت فلقية الأعراب فأخبروه بما لقي الناس ، ثم

دعا أهل المدائن وأهل البصرة وأهل الكوفة إلى بلادهم ، والمختار محبوس ، وكان يقول لأصحابه : عدوا لغارتكم هذا أكثر من عشر ودون الشهر ، ثم يجيئكم بنا هتر من طعن بتر وضرب هبر وقتل جمّ وأمرهم فمن لها أنالها لا يكذبن أنا لها وكان المختار يأخذ أفعاله بالزجر والفراسة والخدع وحسن السياسة .

قال المرزباني في كتاب الشعراء : كان للمختار غلام يقال له جبرئيل ، وكان يقول : قال لي جبرئيل ، وقلت لجبرئيل ، فيتوهم الأعراب وأهل البوادي أنه جبرئيل عليه السلام ، فاستحوذ عليهم بذلك حتى انتظمت له الأمور ، وقام بإعزاز الدين ونصره ، وكسر الباطل وقصره .

ولما قدم أصحاب سليمان بن صرد من الشام كتب إليهم المختار من الحبس :

أما بعد فإن الله أعظم لكم الأجر وحطّ عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهاد المخالفين ، إنكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ، ولم تخطوا خطوة إلاّ رفع الله لكم بها درجة ، وكتب لكم بها حسنة ، فأبشروا فإنني لو خرجت إليكم جردت فيما بين المشرق والمغرب من عدوكم بالسيف بإذن الله تعالى ، فجعلتهم ركاًماً وقتلتهم فرداً وتوأماً فرحب الله لمن قارب واهتدى ، ولا يبعد الله إلاّ من عصى وأبى والسلام عليكم يا أهل الهدى .

فلما جاء كتابه وقف عليه جماعة من رؤساء القبائل وأعداؤوا الجواب : قرأنا كتابك ونحن حيث يسرك ، فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك من الحبس فعلنا ، فأخبره الرسول فسرّ باجتماع الشيعة له ، وقال : لا تفعلوا هذا فإنني أخرج في أيامي هذه وكان المختار قد بعث إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب :

أما بعد فإنني حبست مظلوماً ، وظنّ بي الولاة ظنوناً كاذبة ، فاكتب

فِي يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِلَى هَذَيْنِ الظَّالِمِينَ ، وَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ كِتَاباً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَخْلُصَنِي مِنْ أَيْدِيهِمَا بِلَطْفِكَ وَمَنْكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِمَا ابْنُ عُمَرَ أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُخْتَارِ مِنَ الْمَصَاهِرَةِ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مِنَ الْوَدِّ ، فَأَقْسَمْتُ عَلَيْكُمَا إِلَّا خَلَيْتُمَا سَبِيلَهُ حِينَ تَنْظُرَانِ فِي كِتَابِي هَذَا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ طَلَبَا مِنَ الْمُخْتَارِ كَفْلَاءً فَأَتَاهُ بِجُمَاعَةٍ مِنْ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ عَشْرَةَ ضَمَنُوهُ وَحَلَفَ أَنْ لَا يَخْرُجَ عَلَيْهِمَا ، فَإِنْ هُوَ خَرَجَ فَعَلَيْهِ أَلْفُ بَدَنَةٍ يَنْحَرُهَا لَدَى رَتَاجِ الْكَعْبَةِ وَمِمَّا لِيَكُهُ كُلُّهُمْ أَحْرَاراً ، فَخَرَجَ وَجَاءَ دَارَهُ .

قَالَ حَمِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ : سَمِعْتُ الْمُخْتَارَ يَقُولُ : قَاتَلَهُمُ اللَّهُ مَا أَجْهَلَهُمْ وَأَحْمَقَهُمْ حَيْثُ يَرُونَ أَنِّي أَفِي لَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ هَذِهِ .

أَمَّا حَلْفِي بِاللَّهِ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي إِذَا حَلَفْتَ يَمِيناً وَرَأَيْتَ مَا أَوْلَى مِنْهَا أَنْ أَتْرَكَهَا ، وَأَعْمَلِ الْأَوْلَى وَاكْفُرْ عَنِ يَمِينِي وَخُرُوجِي خَيْرٌ مِنْ كَفْيِ عَنْهُمْ .

وَأَمَّا هَدْيِ أَلْفِ بَدَنَةٍ فَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ بَصْقَةِ مَا يَهْوِلُنِي عَنْ أَلْفِ بَدَنَةٍ .

وَأَمَّا عَتَقَ مَمَالِكِي فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ اسْتَتَبَ لِي أَمْرِي مِنْ أَخْذِ الثَّأْرِ ثُمَّ لَمْ أَمْلِكْ مَمْلُوكاً أَبَداً ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي دَارِهِ اخْتَلَفَتِ الشَّيْعَةُ إِلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى الرِّضَا بِهِ ، وَكَانَ قَدْ بَوَّعَ لَهُ وَهُوَ فِي السَّجَنِ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَكْثُرُونَ وَأَمْرُهُمْ يَقْوَى وَيَشْتَدُّ حَتَّى عَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْوَالِيَيْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ ، وَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنَ طَلْحَةَ الْمَذْكُورِينَ ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ وَالْيَأْ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَدَخَلَ ابْنُ مُطِيعٍ إِلَيْهَا وَبَعَثَ الْمُخْتَارَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَجَمَعَهُمْ فِي الدَّوْرِ حَوْلَهُ وَأَرَادَ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى

أهل الكوفة ، فجاء رجل من أصحابه من شبام عظيم الشرف ، وهو عبد الرحمن بن شريح ، فلقي جماعة منهم سعد بن منقذ ، وسعد بن أبي شعر الحنفي ، والأسود الكندي ، وقدامة بن مالك الجشمي ، وقد اجتمعوا له فقالوا له : إن المختار يريد الخروج بنا للأخذ بالثأر ، وقد بايعناه ولا نعلم أرسله إلينا محمد بن الحنفية أم لا ، فانهضوا بنا إليه نخبره بما قدم به علينا ، فإن رخص لنا اتباعناه وإن نهانا تركناه ، فخرجوا وجاءوا إلى ابن الحنفية ، فسألهم عن الناس فخبروه ، وقالوا : لنا إليك حاجة . قال : سر أم علانية؟ قلنا : بل سر . قال : رويداً إذن ، ثم مكث قليلاً وتنحى فبدأ عبد الرحمن بن شريح بحمد الله والثناء عليه وقال : أما بعد فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة ، وشرفكم بالنبوة ، وعظم حقكم على هذه الأمة ، وقد أصبتم بحسين عليه السلام مصيبة عمت المسلمين ، وقد قدم المختار يزعم أنه جاء من قبلكم ، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله والطلب بدماء أهل البيت ، فبايعناه على ذلك ، فإن أمرتنا باتباعه أتبعناه وإن نهيتنا اجتنبناه .

فلما سمع كلامه وكلام غيره حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وآله ، فصلى عليه وقال : أما ما ذكرتم مما خصنا الله فإن الفضل لله يؤتاه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، وأما مصيبتنا بالحسين عليه السلام فذلك في الذكر الحكيم ، وأما الطلب بدمائنا ، قال جعفر بن نما مصنف هذا الكتاب : فقد رويت عن والدي رحمه الله أنه قال لهم : قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين عليهما السلام .

فلما دخلوا عليه أخبره خبرهم الذي جاؤا به ولأجله قال عليه السلام : يا عم لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس موازرتة ، ولقد وليت هذا الأمر ، فاصنع ما شئت ، فخرجوا وقد سمعوا كلامه وهم يقولون : أذن لنا زين العابدين عليه السلام ومحمد بن الحنفية ، وكان المختار قد علم بخروجهم إلى محمد بن الحنفية ، وكان

يريد النهوض بجماعة الشيعة قبل قدومهم ، فلم يتهياً ذلك له ، وكان يقول : إن جماعة منكم تحيروا وارتابوا ، فإن هم أصابوا اقبلوا وانا بوا ، وإن هم كبوا وهابوا واعترضوا وانجابوا ، فقد خسروا وخابوا ، فدخل القادمون من عند محمد بن الحنفية على المختار فقال : ما وراءكم فقد فتنتم وارتبتم . فقالوا : قد أمرنا بنصرتك .

فقال أبو إسحاق : اجمعوا إلي الشيعة ، فجمعوا من كان قريباً ، فقال : يا معشر الشيعة إن نفرأ أحبوا أن يعملوا مصداق ما جئت به ، فخرجوا إلى إمام الهدى والنجيب المرتضى ، وابن المصطفى المجتبى ، يعني زين العابدين عليه السلام ، فعرفهم أني ظهيره ورسوله ، وأمرهم باتباعي وطاعتي . وقال كلاماً يرغبهم إلى الطاعة والاستنفار معه ، وأن يعلم الحاضر والغائب ، وعرفه قوم أن جماعة من أشراف الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع ، ومتى جاء معنا إبراهيم ابن الأشتر رجونا بإذن الله تعالى القوة على عدونا ، فله العشرة . فقال : القوه ، وعرفوا الاذن لنا في الطلب بدم الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام فعرفوه ، فقال : قد أجبتمكم على أن تولوني الأمر ، فقالوا له : أنت له أهل ولكن ليس إليه سبيل ، هذا المختار قد جاءنا من قبل إمام الهدى ، ومن نائبه محمد بن الحنفية ، وهو المأذون له في القتال ، فلم يجب فانصرفوا وعرفوه المختار ، فبقي ثلاثاً ، ثم إنه دعى جماعة من جوه أصحابه .

قال عامر الشعبي : وأنا وأبي فيهم ، فسار المختار يقدمنا بيوت الكوفة لا ندري أين يريد حتى وقف على باب إبراهيم بن مالك الأشتر ، فأذن له والقيت الوسائد فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه .

وقال : هذا كتاب محمد ابن أمير المؤمنين عليه السلام يأمرك أن تنصرونا ، فإن فعلت اغتبطت وإن امتنعت فهذا الكتاب حجة عليك ، وسيغني الله محمداً وأهل بيته عنك ، وكان المختار قد سلم الكتاب إلى الشعبي على تم كلامه .

قال : ارفع الكتاب إليه ، ففضّ ختمه وهو كتاب طويل فيه :

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر ، سلام عليك ، قد بعثت إليك المختار ومن ارتضيت له نفسي ، وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي ، فامض معه بنفسك وعشيرتك وتمام الكتاب بما يرغب إبراهيم في ذلك .

فلما قرأ الكتاب قال : ما زال يكتب إليّ باسمه واسم أبيه فما باله ويقول في هذا الكتاب المهدي . قال المختار : ذاك زمان وهذا زمان .

قال إبراهيم : من يعلم أنّ هذا كتاب ابن الحنفية إليّ؟ قال يزيد بن أنس وأحمر بن سقيط وعبدالله بن كامل وغيرهم : نحن نعلم ونشهد أنّه كتاب محمد إليك . قال الشعبي : إلّا أنا وأبي لا نعلم فعند ذلك تأخر إبراهيم عن صدر الفراش ، وأجلس المختار عليه وقال : ابسط يديك فبايعه ودعا بفاكهة وشراب من غسل فأصبنا منه ، فأخرجنا معنا إبراهيم إلى أن دخل المختار داره ، فلما رجع إبراهيم أخذ بيدي وقال : يا شعبي علمت أنّك لا تشهد ولا أبوك إلّا حقاً أفترى هؤلاء شهدوا على حق؟ قلت : شهدوا على ما رأيت وفيهم سادة القراء ومشايخة المصر وفرسان العرب ، وما يقول مثل هؤلاء إلّا حقاً .

وكان إبراهيم رحمه الله ظاهر الشجاعة واري زناد الشهامة ، نافذ حدّ الصرامة ، مشمراً في محبة أهل البيت عن ساقيه متلقياً راية النصيح لهم بكلتي يديه ، فجمع عشيرته وإخوانه وأهل مودّته وأعوانه ، وكان يتردد بهم إلى المختار عامة الليل ومعه حميد بن مسلم الأزدي حتى تصوب النجوم ، وتنقض الرجوم ، وأجمعوا رأيهم أن يخرجوا يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة السادسة والسّتين .

وكان إياس بن مضارب صاحب شرطة عبدالله بن مطيع أمير الكوفة ، فقال له : إنّ المختار خارج عليك لا محالة فخذ حذرك منه ، ثم خرج

اياس مع الحرث وبعث ولده راشد إلى الكناسة وجاء هو إلى السوق وأنفذ ابن مطيع إلى الجبانات من شحتها بالرجال يحرسها من أهل الرية .

وخرج إبراهيم بن مالك الأشتر بعد المغرب إلى المختار ومعه جماعة عليهم الذروع وفوقها الأقبية ، وقد أحاط الشرط بالسوق والقصر ، فلقي اياس بن مضارب أصحاب إبراهيم وهم متسلحون ، فقال : ما هذا الجمع إن أمرك لمريب ولا أتركك حتى آتي بك إلى الأمير ، فامتنع إبراهيم ووقع التشاجر بينهم ومع اياس رجل من همدان اسمه أبا قطن ، قال له إبراهيم : ادن مني لأنه صديقه ، فظن أنه يريد أن يجعله شفيعه في تخلية القوم ويبدأ أبي قطن رمح طويل ، فأخذه إبراهيم منه وطعن ابن اياس في نحره فصرعه ، وأمرهم فاجتزوا رأسه وانهزم أصحابه ، وأقبل إبراهيم إلى المختار وعرفه ذلك ، فاستبشر وتفاءل بالنصر والظفر ، ثم أمر باشتعال النار في هوادي القصب وبالنداء يا لثارات الحسين عليه السلام ، ولبس درعه وسلاحه وهو يقول :

قد علمت بيضاء حسناء الطلل واصحة الخدين عجزاء الكفل
إنني غداة الرّوع مقدم بطل لا عاجز فيها ولا وغد فشل

فأقبل الناس من كل ناحية وجاء عبدالله بن الحر الجعفي في قومه وتقاتلوا قتالاً عظيماً ، وشرد الناس ومن كان في الطرق والجبانات من أصحاب السلاح ، واستشعروا الحذر وتفرقوا في الأزقة خوفاً من إبراهيم ، وأشار شيث بن ربيعي على الأمير ابن مطيع بالقتال ، وسلم المختار ، فخرج في أصحابه حتى نزل دير هند ممّا يلي بستان زائدة في السبخة .

ثم جاء أبو عثمان النهدي في جماعة من أصحابه إلى الكوفة ونادوا : يا لثارات الحسين ، يا منصور أمت وهذه علامة بينهم ، يا أيها الحيّ المهتدون الا ان أمين آل محمد قد خرج فنزل دير هند وبعثني إليكم داعياً ومبشراً فاخرجوا إليه رحمكم الله ، فخرجوا من الدور يتداعون ، وفي

هذا المعنى قلت هذا الأبيات متأسفاً على ما فات كيف لم أكن من أصحاب الحسين عليه السلام في نصرته ولا من أتباع المختار وجماعته :

ولما دعا المختار للشار أقبلت كتائب من أتباع آل محمد
وقد لبسوا فوق الدروع قلوبهم وخاضوا بحار الموت في كل مشهد
هم نصروا سبط النبي ورهطه ودانوا بأخذ الثار من كل ملحد
فجازوا بجنات النعيم وطيبها وذلك خير من لجين وعسجد
ولو أنني يوم الهياج لدى الوغا لأعملت حد المشرقي المهند
فوا أسفاً إذ لم أكن من جماعته فأقتل فيهم كل باغ ومعتد
وأنقع غلي من دماء نحورهم وأتركهم ملقون في كل فدغد

ثم أخذ رحمه الله في وصف الواقعة مع ابن مطيع في المرتبة الثالثة من المراتب التي أشرنا إليها سابقاً .

فقال : قال الوالبي وحيد بن مسلم والنعمان بن أبي الجعد خرجنا مع المختار ، فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ المختار من تعبئة أصحابه ، فلما أصبح تقدم وصلّى بنا الغداة ، فقرأ والنازعات وعبس فوالله ما سمعنا إماماً أفصح لهجة منه ، ونادى ابن مطيع في أصحابه ، فلما جاؤا بعث شيث بن ربيعي في ثلاثة آلاف وراشد بن إياس في أربعة آلاف ، وحجار ابن أبجر العجلي في ثلاثة آلاف ، وعكرمة بن ربيعي وشداد بن أبجر وعبد الرحمن بن سويد في ثلاثة آلاف ، وتتابع العساكر نحواً من عشرين ألفاً ، فسمع المختار أصواتاً مرتفعة وضجة ما بين بني سليم وسبكة البريد ، فأمر باستعلام ذلك فإذا هو شيث بن ربيعي ومعه خيل عظيمة ، وأتاه في الحال سعر بن أبي سعر الحنفي وهو ممن بايع المختار يركض من قبل مراد ، فلقني راشد بن إياس ، فأخبر المختار ، فأرسل إبراهيم ابن مالك الأشتر في تسعمائة فارس ، وستمائة راجل ، ونعيم بن هبيرة في ثلاثمائة فارس ، وستمائة راجل ، وقدم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شيث في تسعمائة ، فقاتلوهم حتى أدخلوهم البيوت ، وقتل من

الفريقين جمع كثير ، وقتل نعيم بن هبيرة وجاء إبراهيم بن الأشتر ، فلقي راشد بن إلياس ومعه أربعة آلاف فارس ، فقال إبراهيم لأصحابه : لا يهولنكم كثرتهم فربّ فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ، والله مع الصّابرين فاشتدّ قتالهم وبصر خزيمة بن نصر العبسي براشد فحمل عليه فطعنه وقتله ، ثم نادى خزيمة : قتلت راشداً وربّ الكعبة ، فانهزم القوم وانكسروا وأجفلوا اجفال النعال ، واطلوا عليهم كقطع الغمام ، واستبشر أصحاب المختار وحملوا على خيل الكوفة ، فجعلوا صفو حياتهم كدراً وساقوهم إلى الموت زمراً ، حتى أوصلوهم السّكك وأدخلوهم الجامع ، وحصروا الأمير ابن مطيع ثلاثاً في القصر ، ونزل المختار بعد هذه الوقعة جانب السّوق وولى حصار القصر إبراهيم بن مالك الأشتر .

فلما ضاق عليه وعلى أصحابه الحصار وعلموا أنّه لا تعويل لهم على مكر ولا سبيل لهم على مفر أشاروا عليه أنّ يخرج ليلاً في زِيّ امرأة ويستترّ في بعض دور الكوفة ، ففعل وخرج حتى سار إلى دار أبي موسى الأشعري ، فأواه وأما هم فإنهم طلبوا الأمان من المختار فأمنهم وخرجوا وبابعوه فصار يمينهم ويشجر مودّتهم ويحسن السّيرة فيهم .

ولما خرج أصحاب ابن مطيع من القصر سكنه المختار ، ثم خرج إلى الجامع وأمر بالنداء الصلاة جامعة ، فاجتمع النّاس وركب المنبر ، ثم قال : الحمد لله الذي وعد وليّه النصر وعدوّه الخسر ، وعداً مأتياً وأمرأ مفعولاً ، وقد خاب من افترى .

أيّها النّاس : مدت إلينا غاية ، ورفعت لنا راية ، فقبل في الرّاية ارفعوها ولا تضعوها ، وفي الغاية خذوها ولا تدعوها ، فسمعنا دعوة الداعي ، وقبلنا قول الرّاعي ، فكم من باغ وباغية وقتلى في الرّاعية ألا فبعداً لمن طغى وبغى وجحد ولغى وكذب وتولّى ، ألا فهلّموا عباد الله إلى بيعة الهدى ، ومجاهدة الأعداء والذّبّ عن الضّعفاء من آل محمد المصطفى ، وأنا المسلّط على المخلّين السّطّال بدم ابن بنت نبيّ ربّ

العالمين ، أما ومنشئ السحاب الشديد العقاب لأنبش قبر ابن شهاب
المفتري الكذاب المجرم المرتاب ، ولأنفين الأحزاب إلى بلاد الأعراب ،
ثم ورب العالمين لأقتلن أعوان الظالمين وبقايا القاسطين .

ثم قعد على المنبر ووثب قائماً وقال : أما والذي جعلني بصيراً ونوراً
قلبي تنويراً ، لأحرقن بالمصر دوراً ، ولأنبشن بها قبوراً ، ولأشفين بها
صدوراً ، ولأقتلن بها جباراً كفوراً ملعوناً غدوراً ، وعن قليل ورب الحرم
والبيت المحرم وحق النون والقلم ، ليرفعن لي علم من الكوفة إلى أضمر
إلى أكتاف ذي سلم من العرب والعجم ، ثم لأتخذن من بني سليم أكثر
الخدم .

ثم نزل ودخل قصر الامارة وانعكف عليه الناس للبيعة ، فلم يزل
باسطاً يده حتى بايعه خلق كثير من العرب والسادات والموالي ، ووجد في
بيت المال بالكوفة تسعة آلاف ألف ، فأعطى كل واحد من أصحابه الذين
قاتل بهم في حصار ابن مطيع ، وهم ثلاثة آلاف وثمان مائة رجل ، كل
واحد منهم خمسمائة درهم وستة آلاف رجل من الذين أتوه بعد حصار
القصر مائتين مائتين ، ولما علم أن ابن مطيع في دار أبي موسى الأشعري
دعا عبدالله بن كامل الشاكري ودفع إليه عشرة آلاف درهم يحملها إليه
ويقول له : استعن بها على سفرك فلإني أعلم أنه ما يمنعك إلا ضيق
يدك ، فأخذها ومضى إلى البصرة ، ولم يمش إلى عبدالله بن الزبير حياء
مما جرى عليه من المختار ، واستعمل على شرطته عبدالله بن كامل ،
وعلى حرسه كيسان أبا عمرة مولى عريية ، وعقد لعبدالله بن الحارث أخي
الأشتر لأمه على أرمينية ، ولمحمد بن عطار على أذربايجان ،
ولعبد الرحمن بن سعد بن قيس على الموصل ، ولسعد بن حذيفة بن اليمان
على حلوان ، ولعمر بن السائب على الرّي وهمدان ، وفرق العمال
بالجبال والبلاد ، وكان يحكم بين الخصوم حتى إذا اشغلته أموره فولّى
شريحاً قاضياً . فلما سمع المختار أن علياً عليه السلام عزله ، وولّاه

عبدالله بن عتبة بن مسعود فمرض فجعل مكانه عبدالله بن مالك الطائي قاضياً .

وكان مروان بن الحكم لعنه الله لما استقامت له الشام بالطاعة بعث جيشين أحدهما إلى المختار والآخر إلى العراق مع عبيدالله بن زياد لينهب الكوفة إذا ظفر بها ثلاثة أيام ، فاجتاز بالجزيرة فعرض له أمر منعه من السير وعاملها من قبل ابن الزبير قيس بن غيلان ، فلم يزل عبيدالله مشغولاً بذلك عن العراق ، ثم قدم الموصل وعامل المختار عليها عبدالرحمن بن سعد بن قيس ، فوجه عبيدالله لعنه الله إليه خيله ورجله فانحاز عبدالرحمن إلى تكريت وكتب إلى المختار يعرفه ذلك ، فكتب إليه الجواب يصوب رأيه ويحمد مشورته وأن لا يفارق مكانه حتى يأتيه أمره إن شاء الله تعالى .

ثم دعا المختار يزيد بن أنس وعرفه جلية الحال ، ورغبه في النهوض بالخيال والرجال ، وحكمه في تخيير من شاء من الأبطال ، فتخير ثلاثة آلاف فارس ، ثم خرج من الكوفة وشيعة المختار إلى دار أبي موسى ، وأوصاه بشيء من أدوات الحرب ، وإن احتاج إلى مدد عرفه فقال : أريد أن لا تمدني إلا بدعائك وكفى به مدداً ، ثم كتب المختار إلى عبدالرحمن بن سعد بن قيس :

أما بعد ، فخل بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله والسلام عليك .

فسار حتى نزل إلى أرض الموصل ، فنزل بموضع يقال له يابلي ، وبلغ خبره إلى عبيدالله بن زياد لعنه الله ، وعرف عدتهم ، فقال : أرسل إلى كل ألف ألفين ، فبعث ستة آلاف فارس ، فجاؤا ويزيد بن أنس مريض مدنف ، فأركبوه حماراً مصرياً ورجالاً بمسكونه يميناً وشمالاً ، فيقف على الأرباع ويحثهم على القتال ويرغبهم في حميد المال .

وقال : إن هلك فأميركم ورقاء بن غازب الأسدي ، فإن هلك فأميركم عبدالله بن ضمرة العذري ، فإن هلك فأميركم سحر بن أبي سحر

الحنفي ، ووقع القتال بينهم في ذي الحجة يوم عرفة سنة ست وستين قبل شروق الشمس ، فما ارتفع الضحى حتى هزمهم عسكر العراق وأزالوهم عن مآزق الحرب زوال السراب ، وقشعوهم انقشاع الذباب ، فأتوا يزيد بثلاثمائة أسير ، وقد أشفى على الموت ، فأشار بيده أن اضربوا أعناقهم فقتلوا جميعاً ، ثم مات يزيد بن أنس رحمه الله ، فصلّى عليه ورقاء بن غازب الأسدي ، ودفنه واغتم عسكر العراق لموته ، فعزاهم ورقاء فيه وعرفهم أن عبيدالله بن زياد لعنه الله في جمع كثير ولا طاقة لكم به ، فقالوا : الرأي أن ننصرف في جوف الليل .

قال محمد بن جرير الطبري في تاريخه : كان مع عبيدالله بن زياد لعنه الله ثمانون ألفاً من أهل الشام ، ثم اتصل بالمختار وبأهل الكوفة إرجاف الناس بيزيد بن أنس ، فظنوا أنه قتل ولم يعلموا كيف هلك ، فاستطلع المختار ذلك من عامله على المدائن ، فأخبره بموته وأن العسكر انصرف من غير هزيمة ، ولا كسرة ، فطاب قلب المختار ثم ندب الناس .

قال المرزباني : وأمر إبراهيم بن مالك الأشتر بالمشير إلى عبيدالله ابن زياد لعنه الله ، فخرج في ألفين من مدحج وأسد ، وألفين من تميم وهمدان ، وألف وخمسمائة من قبائل المدينة ، وألف وأربعمائة من كندة وربيعة ، وألفين من الحمراء .

وقيل : خرج في اثني عشر ألفاً أربعة آلاف من القبائل وثمانية آلاف من الحمراء ، وشيخ المختار إبراهيم بن مالك ماشياً ، فقال : اركب رحمك الله ، فقال المختار : إني لأحتسب الأجر في خطاي معك ، وأحب أن تتغير قدمي في نصر آل محمد صلّى الله عليه وآله والطلب بدم الحسين عليه السلام ، ثم ودعه وانصرف ويات إبراهيم بموضع يقال له حمام أعين ، ثم رحل حتى وافى ساباط المدائن ، فحينئذ توسم أهل الكوفة في المختار القلة والضعف فخرج أهل الكوفة عليه وجاهروه

بالعداوة ، ولم يبق أحد ممن شرك في قتل الحسين عليه السلام وكان مختفياً إلا وظهر ، ونقضوا بيعته وسلوا عليه سيفاً واحداً ، واجتمعت القبائل عليه من بنجيلة والأزد وكندة وشمر بن ذي الجوشن لعنه الله ، فبعث المختار من ساعته رسولا إلى إبراهيم بن مالك الأشتر وهو بساباط لا تضع كتابي هذا حتى تعود بجميع من معك إلي .

فلما جاءهم كتابه نادى بالرجوع ، فوصلوا السير بالسري وأرخوا الأعنة وجذبوا البري ، والمختار يشغل أهل الكوفة بالتسويق والملاطفة حتى يرجع إبراهيم بعسكره ، فيكف عاديتهم ويقمع شرتهم ويحصد شوكتهم ، وكان مع المختار أربعة آلاف ، فبغى عليه أهل الكوفة وبدأوه بالحرب ، فحاربهم يومه أجمع ، وباتوا على ذلك ، فوافاهم إبراهيم في اليوم الثاني بخيله ورجله ومعه أهل النجدة والقوة .

فلما علموا قدومه افترقوا فرقتين ربيعة ومضر على حدة واليمن على حدة ، فخير المختار إبراهيم إلى أي الفرقتين تسير ، فقال : إلى أيهما أحببت ، وكان المختار ذا عقل وافر ، ورأي حاضر فأمره بالمسير إلى ربيعة ومضر بالكناسة ، وسار هو إلى اليمن إلى جبانة البيع ، فبدأ بالقتال رفاعة بن شداد ، فقاتل قتال الشديد البأس القوي المراس ، حتى قتل وقاتل حميد بن مسلم وهو يقول :

لأضربن عن أبي حكيم مفارق الأعبد والحميم

ثم انكسروا كسرة هائلة ، وجاء البشير إلى المختار أنهم ولّوا مدبرين ، فمنهم من اختفى في بيته ومنهم من لحق بمصعب بن الزبير ، ومنهم من خرج إلى البادية ، ثم وضعت الحرب أوزارها وحلت أزارها ، ومحض القتل شرارها ، فأحصوا القتلى منهم فكانوا ستمائة وأربعين رجلاً ، ثم استخرج من دور الوادعين خمسمائة أسير كما ذكر الطبري وغيره ، فجاءوا بهم إلى المختار فعرضوهم عليه .

فقال : كل من حضر منهم قتل الحسين عليه السلام فاعلموني به ، فلا يؤتى بمن قتله إلا قيل هذا فيضرب عنقه حتى قتل منهم مائتين وثمانية

وأربعين رجلاً ، وقتل أصحاب المختار جمعاً كثيراً بغير علمه ، وأطلق
الباقين .

ثم علم المختار أن شمر بن ذي الجوشن خرج هارباً ومعه نفر ممن
شرك في دم الحسين عليه السلام ، فأمر عبداً له أسود يقال له رزين ،
ويقال : زربي ومعه عشرة ، وكان شجاعاً يتبعه فيأتيه برأسه .

قال مسلم بن عبدالله الطباطبي : كنت مع شمر حين هزمنا المختار ،
فدنا منا العبد فقال شمر : اركضوا وتباعدوا لعل العبد يطمع في فأمعنا في
التباعد عنه حتى لحقه العبد ، فحمل عليه شمر فقتله ومشى ، فنزل في
جانب قرية اسمها الكلبانية على شاطئ نهر إلى جانب تل ، ثم أخذ من
القرية علفاً فضربه ودفع إليه كتاباً وقال : عجل به إلى مصعب بن
الزبير ، وكان عنوانه للأمير مصعب بن الزبير من شمر بن ذي الجوشن ،
فمشى العلف حتى دخل قرية فيها أبو عمرة بعثه المختار إليها في أمر ومعه
خمسمائة فارس ، فرأى الكتاب رجع من أصحابه وقرأ عنوانه ، فسأل عن
شمر وأين هو فأخبره أن بينهم وبينه ثلاثة فراسخ .

قال مسلم بن عبدالله : قلت لشمر : لو ارتحلت عن هذا المكان
فإننا نتخوف عليك . فقال : ويلكم أكل هذا الجرع من الكذاب والله لا
برحت فيه ثلاثة أيام .

فبينما نحن في أول النوم إذ أشرفت علينا الخيل من التل وأحاطوا
بنا وهو عريان مؤتزرأً بمنديل ، فانهزمنا وتركناه ، فأخذ سيفه ودنا منهم
وهو يقول :

تبهتموا ليثاً هزبراً بأسلاً جهماً محيَّاه يدق الكاهلا
لم يك يوماً عن عدو ناكلاً إلا كذا مقاتلاً أو قاتلاً

فلم يك بأسرع من أن سمعنا قتل الخبيث قتله أبو عمرة ، وقتل

أصحابه ، ثم جيء بالرؤوس إلى المختار فخرّ ساجداً ونصبت الرؤوس في رجة الحذاق حذاء الجامع .

ثم قال رحمه الله تعالى : وأنا الآن أذكر من قاله المختار من قتلة الحسين عليه السلام وأهل بيته .

ذكر الطبري في تاريخه أن المختار تجرد لقتلة الحسين وأهل بيته ، فقال : اطلبوهم فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم . قال موسى بن يظرفة أول من بدأ به الذين وطؤوا الحسين عليه السلام بخيلهم ، وأنامهم على ظهورهم وضرب سكك الحديد في أيديهم وأرجلهم وأجرى الخيل عليهم حتى قطعتهم وأحرقهم بالنار ، ثم أخذ رجلين اشتركا في دم عبدالرحمن بن عقيل بن أبي طالب وفي سلبه كانا في الجبانة فضرب أعناقهما ، ثم أحرقهما بالنار ، ثم أحضر مالك بن بشير فقتله في النوق وبعث أبا عمرة فأحاط بدار خولى بن يزيد الأصبحي وهو حامل رأس الحسين عليه السلام وعبدالله بن زياد عليهما اللعنة فخرجت امرأته إليهم وهي النوار ابنة مالك .

كما ذكره الطبري في تاريخه ، وقيل اسمها العيوق ، وكانت محبة لأهل البيت عليهم السلام ، قالت : لا أدري أين هو وأشارت بيدها إلى بيت الخلا فوجدوه وعلى رأسه قوصرة ، فأخذوه وقتلوه ، ثم أمر بحلقه ثم بعث عبدالله بن كامل إلى حكيم بن الطفيل السنسي وكان قد أخذ سلب العباس ورماه بسهم ، فأخذوه قبل وصوله إلى المختار ونصبوه هدفاً ورموه بالسهم .

وبعث إلى قاتل علي بن الحسين عليهما السلام وهو قرة بن منقذ العبدي ، وكان شيخاً ، فأحاطوا بداره فخرج ويده الرمح وهو على فرس جواد ، فطعن عبدالله بن ناجية الشامي فصرعه ولم تضره الطعنة ، وضربه ابن كامل بالسيف فاتقاها بيده اليسرى ، فانشرع فيها السيف وتمطرت به

الفرس فافلت ولحق بمصعب وشلت يده بعد ذلك ، وأحضر زيد بن وقاد فرماه بالنبل والحجارة وأحرقه .

وهرب سنان بن أنس لعنه الله إلى البصرة فهدم داره وخرج ثم من البصرة إلى القادسية ، وكان عليه عيون ، فأخبروا المختار فأخذ بين العذيب والقادسية فقطع أنامله ، ثم يديه ورجليه وأغلى زيتاً في قدر وألقاه فيه .

وهرب عبدالله بن عقبة الغنوي إلى الجزيرة فهدم داره وفيه وفي حرملة بن الكاهل ، وقتل واحداً من أصحاب الحسين عليه السلام ، يقول الشاعر :

وعند غنى قطرة من دمائنا وفي أسد أخرى تعدّ وتذكر
وروى الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناده إلى المنهال بن عمرو قال : دخلت على علي بن الحسين عليهما السلام منصرفي من مكة ، فقال عليه السلام لي : يا منهال ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي ، فقلت : تركته حياً بالكوفة . قال : فرفع عليه السلام يديه جمعاً ، ثم قال : اللهم أذقه حر الحديد ، اللهم أذقه حر الحديد ، اللهم أذقه حر النار .

قال المنهال : فقدمت الكوفة وقد ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، وكان لي صديقاً ، فكنت في منزلي أياماً حتى انقطع الناس عني ، ثم ركبته إليه فلقيته خارجاً من داره ، فقال : يا منهال لم تأتني في ولايتنا هذه ولم تهنئنا بها ولم تشركنا فيها ، فأعلمته إني كنت بمكة واني قد جئت الآن وسأيرته ونحن نتحدث حتى أتى الكناسة ، فوقف وقوفاً كأنه ينتظر شيئاً ، وقد كان أخبر بمكان حرملة بن كاهلة ، فوجه في طلبه ، فلم يلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدون حتى قالوا : أيها الأمير البشارة قد أخذ حرملة بن كاهلة فما لبثنا أن جيء به ، فلما نظر إليه المختار قال لحرملة : الحمد لله الذي مكنتني منك ، ثم قال : الجزار الجزار ، فأتي

بجزار فقال له : اقطع يديه فقطعتا ، ثم قال له : اقطع رجله فقطعتا ، ثم قال : النار النار ، فأتي بنار وقصب فألقي عليه فاشتعل فيه النار . فقلت : سبحان الله . فقال لي : يا منهال إن التسييح لحسن فقيم سبحت . فقلت : أيها الأمير دخلت في سفرتي هذه منصرفي من مكة على علي بن الحسين عليهما السلام ، فقال لي : يا منهال ما فعل حرمة ابن كاهلة الأسدي . فقلت : تركته حياً بالكوفة ، فرفع يديه جميعاً فقال : اللهم أذقه حرّ الحديد ، اللهم أذقه حرّ النار .

فقال لي المختار : أسمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول هذا ؟ فقلت : والله لقد سمعته قال : فنزل عن دابته وصلى ركعتين ، فأطال السجود ثم قام فركب وقد اخرق فركبت معه وسرنا فحاذيت داري ، فقلت : أيها الأمير إن رأيت أن تشرفني وتكرمني وتنزل عندي وتحرم^(١) بطعامي ، فقال لي : يا منهال تعلمني أن علي بن الحسين عليهما السلام دعا بأربع دعوات فأجابه الله على يدي ، ثم تأمرني أن أكل هذا يوم صوم شكراً لله عز وجل على ما فعلته بتوقيفه وجرمته هو الذي حمل رأس الحسين عليه السلام .

وقال ابن نما بعد ذكر ما نقلناه عن الشيخ الطوسي رحمه الله بأدنى تفاوت : وانهزم عبدالله بن عروة الخثعمي إلى مصعب ، فهدم داره وطلب عمر بن صبيح الصيدائي يقول هذا الصيدائي ، فأتوه وهو على سطحه بعدما هدأت العيون ، وسيفه تحت رأسه ، فأخذوه وسيفه ، فقال : قبحك الله من سيف ما أبعدك على قربك ، فجيء به إلى المختار . فلما كان من الغداة طعنوه بالرماح حتى مات وأنفذ إلى محمد بن الأشعث بن قيس وقد

(١) الحرمة : ما لا يحل انتهاكه ، ومنه قولهم : تحرم بطعامه ، وذلك لأن العرب إذا أكل رجل منهم من طعام غيره حصلت بينهما حرمة وذمة يكون كل منهما آمناً من أذى صاحبه .

انهزم إلى قصر له في قرية إلى جنب القادسية ، فقال : انطلق فإنك تجده
 لاهياً متصيذاً أو قائماً متبلداً ، أو خائفاً متلذداً ، أو كامناً متعمداً ، فائتني
 برأسه ، فأحاطوا بالقصر وله بابان ، فهرب ومشى إلى مصعب فهدم القصر
 وهدم داره وأخذ ما كان فيهما^(١) .

قال المرزباني : وأتوه بعبد الله بن أسيد الجهني ، ومالك بن هشم
 البدئي ، وحمل بن مالك المحاربي من القادسية ، فقال لهم المختار : يا
 أعداء الله أين الحسين بن علي عليهما السلام فقالوا : أكرهنا على
 الخروج ، فقال : هلا منتقم عليه وسقيتموه من الماء ، وقال للبيدائي :
 أنت اخذت برنسه ، فقال : بلى ، وأمر بقطع يديه ورجليه والآخران ضرب
 أعناقهما .

وأتوه ببجدل بن سليم الكلبي وعرفوه أنه أخذ خاتمه عليه السلام ،
 وقطع إصبعه ، فأمر بقطع يديه ورجليه ، فلم يزل ينزف دماً حتى مات ، وأتوه
 بوقاد بن مالك وعمر بن خالد وعبدالرحمن البجلي ، وعبد الله بن قيس
 الخولاني ، فقال لهم المختار : يا قتلة الصالحين الحسين عليه السلام ،
 لقد أخذتم السورس في يوم نحس ، وكان في رحل الحسين عليه السلام
 ورس فاقتسموه وقت نهب رحله ، فأخرجهم إلى السوق وضرب أعناقهم .

وكان أسماء بن خارجة الفزاري ممن سعى في قتل مسلم بن
 عقيل ، فقال المختار : أما ورب السماء ورب الضياء والظلماء لتنزلن نار
 من السماء دهماً حمراء سحماً تحرق دار أسماء ، فبلغ كلامه إليه فقال :
 سجع أبو اسحق وليس ههنا مقام بعد ، فخرج من داره هارباً إلى البادية ،
 فهدم داره ودور بني عمه .

وكان الشمر بن ذي الجوشن قد أخذ من الإبل التي كانت تحت

(١) وفي رواية ابن نما وكان معنا بشر بن غالب الأسدي .

رحل الحسين عليه السلام فنحراها وقسم لحمها على قوم من أهل الكوفة ، فأمر المختار فأحصوا كل دار دخلها ذلك اللحم فقتل أهلها وهدمها ولم يزل المختار يتتبع قتلة الحسين عليه السلام حتى قتل خلقاً كثيراً وانهزم الباقون ، فهدم دورهم وأنزلهم من المعازل والحصون إلى المفاوز والصحون .

قال : وقتلت العبيد موالها فجاءوا إلى المختار فعتقهم وكان العبد يسعى بمولاه فيقتله المختار حتى أن العبد يقول لسيده : احملني على عنقك فيحمله ويدلي رجليه على صدره إهانة له ولخوفه من سعايته به إلى المختار .

أقول : قال بعض الفضلاء الأخيار بعد ذكر طرف من الأخبار الواردة في مدح المختار : ومن هنا تعرف السبب المقتضي لعداوة أهل الكوفة للمختار ورميهم له بما ليس فيه وأي تقصير صدر منه حتى يظن فيه السوء ، أليس قد بذل جهده في قتل قتلة الحسين عليه السلام وقتل جميع المباشرين لقتل أولاد الحسين عليه السلام وأخوته وأولاد أخوته وبني عمه وأنصاره وقتل جميع من هنك حرمة بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وتجرأ عليهم بنهب وسلب وضرب وقتل من تجرأ على قتل سيد العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ، فأى نصرة أعظم من هذه النصرة ، وأي توفيق أعظم من هذا التوفيق ، حيث أدخل السرور على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى فاطمة الزهراء وعلى أمير المؤمنين عليهما السلام وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، وأدخل السرور على جميع شيعتهم من أهل السموات والأرضين سيما علي بن الحسين عليهما السلام ، فإنه لما جيء برأس ابن زياد ورأس عمر بن سعد لعنة الله عليهما خسر ساجداً وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني ، ولما كان وقت الحلواء ولم يؤت بها لاشتغال علياً بخبر الرأسين . قال ندمائه عليه السلام : لم يعمل اليوم الحلواء ، فقال عليه السلام : لا نريد حلواً أحلى من نظرنا إلى هذين الرأسين ، انظر إلى من أدخل السرور على مؤمن كم

له عند الله ، فكيف بمن أدخل السرور على النبي والأئمة وفاطمة صلوات الله عليهم ورفع الحداد عن الهاشميات .

كما قال الصادق عليه السلام : ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام ، ولهذا دعا له الصادق عليه السلام والباقر وعلي بن الحسين عليهم السلام ، ولو لم يكن له إلا هذا لكفى والذي منعه من نصرة الحسين عليه السلام أيام القتال عدم تمكنه لأنه كان في سجن ابن زياد لعنه الله ، وكل من سمع بمصيبة الحسين عليه السلام يتعجب من أهل ذلك الزمان كيف لم ينصروا الحسين عليه السلام أولاً وآخرأ ، وكيف لم يقوموا على ابن زياد لعنه الله قيام رجل واحد ويقتلوه أشر قتلة ، فإذا قام من بين جميع ذلك الخلق رجل واحد يطلب بشار الحسين عليه السلام كيف تكون منزلته عند الله تعالى ؟

ثم العجب من بعض أهل الزمان كيف يتوقفون ويتكلمون على المختار مع أن الباقر عليه السلام نهى عن ذلك ، وقال : لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلنا وطلب بشارنا ، وزوج أراملنا ، وقسم فينا المال على العسرة ، وظهر السب للمختار من أهل الكوفة وبنو أمية ومن تبعهم من لا يعلم بكلام الأئمة ولا بما علل به الباقر عليه السلام في الرواية المتقدمة المتصدرة بالقسم بالله عن الباقر عليه السلام بأن مهر أمه كان من المختار ، ثم أتى الباقر عليه السلام بالاستفهام الإنكاري على من توقف في المختار بالعلة التي تدل على إخلاصه في محبتهم والتوفيق لصلتهم وجريان خصوص هذه الخيرات على يديه لأئمتهم مثل قوله عليه السلام : والله إن مهر أمي كان مما بعث به المختار .

ثم قال عليه السلام : أولم يبنني دورنا ، وقتل قاتلنا ، وطلب بدمائنا ، ثم بعد أن ترحم له وصفه بتوفيقه لخدمة فاطمة عليها السلام وأنه أصاب الحديث منها .

وذلك يدل على علمه واختصاصه وقابليته وانظر إلى فعل الباقر عليه السلام مع ولد المختار ، فإنه بعد أن منعه من تقبيل يده ثم لما أخبره أنه ابن المختار وكان متباعدًا من الباقر عليه السلام فمد يده إليه ولذناه حتى كاد يقعه في حجره ، ومن المعلوم أن إكرام الباقر عليه السلام لولد المختار لأجل محبته لأبيه ، ورفع الاشتباه عن الناس ، ولهذا قال له أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن وضعه على فخذه : يا كيس يا كيس ، كما قال عليه السلام : المؤمن هو الكيس الفطن .

وقال أيضاً : فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين وحزماً في دين وإيماناً في يقين .

فأما إيمانه فيكشف عنه فعله .

وأما يقينه فيكشف عنه قطعه بما أخبر به للعدو وللصديق بأنه يقتل من بني أمية سبعين ألفاً ومن أتباعهم ثلثمائة ألف ، وكلما تهدده ابن زياد لعنه الله بالقتل وغيره لم يتغير عن يقينه ، وهو من شدة توجعه كالحديدة المحمسة لا يستقر له قرار ، ولا يهجع في ليل ولا نهار ، إلا أن يأخذ بالثأر ، ويستأصل أولئك الكفار الذين يمشون على وجه الأرض بالافتخار بعد قتلهم لأبي عبدالله عليه السلام حامي الدمار ، وأعين بني هاشم وسيدهم علي بن الحسين عليهما السلام تنظر إليهم إلى أن قال : وبالجمل فجلالة المختار ومحبته وإخلاصه ومعرفته ويقينه وتوفيقه وجهاده ومدح الأئمة ودعائهم عليهم السلام له أظهر من الشمس .

وفي تفسير الصافي في قوله تعالى : ﴿ لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً ﴾ ، عن العياشي ، عن الصادق عليه السلام أنه فسر الفساد مرتين بقتل علي بن أبي طالب ، وطعن الحسن عليه السلام ، والعلو الكبير بقتل الحسين عليه السلام ، والعباد أولي بأس شديد يقوم يبعثهم الله تعالى قبل خروج القائم عليه السلام ، فلا يدعون وتراً لآل محمد صلى الله عليه وآله إلا قتلوه (انتهى) .

قال بعض الأكابر من المفسرين لهذه الآية : إنَّ المراد من العباد الذين هم أولو بأس شديد ، الذين وصفهم الصادق عليه السلام بأنهم قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم عليه السلام ، فلا يدعون وتراً لآل محمد صلَّى الله عليه وآله إلا قتلوه هو المختار والذي يشهد لهذا التفسير أنه لم يظهر أحداً في زمن الغيبة قتل جميع قتلة الحسين عليه السلام ، ولم يدع وتراً لآل محمد صلَّى الله عليه وآله إلا قتل غير المختار أعلى الله مقامه والله سبحانه فيه عناية (انتهى).

أقول : ثم ذكر الشيخ الجليل جعفر بن محمد بن نما رحمه الله مقتل عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد لعنهما الله ومن تابعه وكيفية قتالهم والنصر عليهم في المرتبة الرابعة من المراتب المشار إليها .

قال : فلما خلا خاطره وانجلي ناظره اهتم بعمر بن سعد وابنه حفص لعنهما الله حدث عمر بن الهيثم قال : كنت جالساً عن يمين المختار والهيثم بن الأسود عن يساره ، فقال : والله لأقتلن رجلاً عظيماً القدمين ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، يهز الأرض برجله ويرضي قتله أهل السماء والأرض ، فسمع الهيثم قوله ووقع في نفسه أنه أراد عمر بن سعد ، فبعث ولده العريان وعرفه قول المختار ، وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة أعز الناس على المختار ، وقد أخذ لعمر بن سعد أماناً حيث اختفى فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أمان المختار بن أبي عبيدة الثقفي لعمر بن سعد بن أبي وقاص أنك آمن بأمان الله تعالى على نفسك وأهلك ومالك وولدك ولا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً ما سمعت وأطعت ولزمت منزلك إلا أن تحدث حدثاً ، فمن رأى عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد عليهم السلام فلا يعرض له إلا بسبيل الخير والسلام ؛ ثم شهد فيه جماعة .

قال الباقر عليه السلام : إنما قصد المختار أن يحدث حدثاً هو أن

يدخل بيت الخلاء ويحدث ، فظهر عمر إلى المختار ، فكان يدينه ويكرمه ويجلسه معه على سريره .

فعلم قول المختار فيه ، فعزم على الخروج من الكوفة ، فأحضر رجلاً من بني تميم الآت اسمه مالك بن دومة ، وكان شجاعاً ، فأعطاه أربعمئة دينار ، وقال : هذه معك لحوائجك ثم خرجا ، فلما كانا عند حمام عمر أو نهر عبدالرحمن وقف وقال : أتدري لم خرجت؟ قال : لا . قال : خفت المختار ، فقال ابن دومة : هو أضيّق إستاً من أن يقتلك وإن هربت هدم دارك وانتهب عيالك ومالك وخرب ضياعك وأنت أعزّ العرب ، فاغتر بكلامه ورجعا على الرّوحا ودخلا الكوفة من الغداة هذا قول المرزباني .

وقال غيره : إن المختار علم بخروجه من الكوفة فقال : الله أكبر وفينا له وغدر وفي عنقه سلسلة لو جهد أن ينطلق ما استطاع ، فنام عمر بن سعد على النّاقة ، فرجعت به وهو لا يدري حتى رده إلى الكوفة ، فأرسل عمر ابنه إلى المختار ، فقال له : أين أبوك؟ قال : في المنزل ، ولم يكونا يجتمعان عند المختار وإذا حضر أحدهما غاب الآخر خوفاً أن يجتمعا ، فيقتلهما ، فقال حفص : أبي يقول : أتفي لنا بالأمان؟ قال : اجلس وطلب المختار أبا عمرة وهو كيسان التمار ، فأسر إليه أن أقتل عمر بن سعد لعنه الله وإذا دخلت عليه وسمعتة يقول يا غلام عليّ بطيلساني فاعلم أنه يريد السيف ، فبادره واقتله ، فلم يلبث أن جاء ومعه رأسه فقال حفص : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال له : أتعرف هذا الرأس؟ قال : نعم ولا خير في العيش بعده ، فقال : إنك لا تعيش بعده وأمر بقتله ، فقال المختار : عمر لعنه الله بالحسين عليه السلام وحفص لعنه الله لعلي بن الحسين عليهما السلام ولا سواء ، والله لأقتلن سبعين ألفاً كما قتل بيحيى بن زكريا عليه السلام .

وقيل : إنه قال : لو قتلت ثلاثة أرباع قریش لما وفوا بأنملة من أنامل الحسين عليه السلام .

وكان محمد بن الحنفية يعتب على المختار لمجالسته عمر بن سعد لعنه الله وتأخير قتله ، فحمل الرأسين إليه إلى مكة مع مسافر بن سعد الهمداني وظيفان بن عمارة التيمي ، فبينا محمد بن الحنفية جالساً مع نفر من الشيعة وهو يعتب على المختار فما تم كلامه إلا والرأسان عنده ، فخر ساجداً وبسط كفيه وقال : اللهم لا تنس المختار هذا اليوم واجزه عن أهل بيت نبيك محمد صلى الله عليه وآله خير الجزاء ، فوالله ما على المختار بعد هذا من عتب .

فلما قضى المختار من أعداء الله وطره وحاجته وبلغ فيه أمنيته قال : لم يبق عليّ أعظم من عبيد الله بن زياد لعنه الله ، فأحضر إبراهيم بن مالك الأشتر وأمره بالمسير إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله ، فقال : إني خارج ولكنني أكره خروجي ومعي عبيد الله بن الحر ، وأخاف أن يغدر بي وقت الحاجة ، فقال له : أحسن إليه وأملأ عينه بالمال ، وأخاف أن أمرته بالعودة عنك فلا يطيب له ، وخرج إبراهيم بن مالك ومعه عشرة آلاف فارس ، وخرج المختار في تشييعه . وقال : اللهم انصر من صبر واخذل من كفر ومن عصى وفجر وباع وغدر وعلا وتجبر ، فسار إلى سقر ، لا تبقي ولا تذر ، ليزوق العذاب الأكبر ، ثم رجع ومضى إبراهيم وهو يرتجز ويقول :

أما وحق المرسلات عُرفاً	حقاً وحق العاصفات عصفاً
لنعسفن من بغانا عسفاً	حتى يسوم القوم منا خسفاً
زحفاً إليهم لا نمل الزحفاً	حتى نلاقي بعد صف صففاً
وبعد ألف قاسطين ألفاً	نكشفهم للذي الهياج كشفاً

فسار إلى المدائن فأقام بها ثلاثاً ، وسار إلى تكريت فنزلها وأمر بجباية خراجها ففرقه ، وبعث إلى عبيد الله بن الحر بخمسة آلاف درهم ، فغضب فقال : أنت أخذت لنفسك عشرة آلاف درهم ، فما كان الحر دون مالك ، فحلف إبراهيم أنني لم آخذ زيادة عليك ، ثم بعث إليه ما أخذه لنفسه ، فلم يرض ، وخرج على المختار ونقض عهده وأغار على سواد

الكوفة ، فنهب القرى ، وقتل العمال ، وأغار على القرى ، وأخذ الأموال ، ومضى إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير . فلما علم المختار أرسل عبدالله بن كامل إلى داره فهدمها وإلى زوجته فحبسها وهي سلمى بنت خالد الجعفيّة .

ثم ورد كتاب المختار إلى إبراهيم بن مالك يحثه على تعجيل القتال ، فطوى المراحل حتى نزل على نهر الحارز على أربعة فراسخ من الموصل ، وعبيدالله بن زياد بها .

قال عبدالله بن أبي عقب الديلمي : حدثني خليلي أنا تلقى أهل الشام على نهر يقال له الحارز ، فيكشفونا حتى نقول هي هي ، ثم نكر عليهم فنقتل أميرهم ، فأبشروا واصبروا ، فإنكم لهم قاهرون ، فعلم عبيدالله بن زياد لعنه الله بقدوم إبراهيم ، فرحل في ثلاثة وثمانين ألفاً حتى نزل قريباً من عسكر العراق ، وطلبهم أشدّ طلب ، وجاءهم في جحفل لجبّ ، وكان مع إبراهيم بن مالك الأشتر أقل من عشرين ألفاً ، وكان في عسكر الشام من أشرف بني سليم عمير بن الجباب ، فراسله إبراهيم بن مالك ووعده بالحباء والاكرام ، فجاء ومعه ألف فارس من بني عمّه وأقاربه ، فصار مع عسكر العراق ، فأشار عليهم بتعجيل القتال وترك المطاولة .

فلما كان في السحر صلّوا بغلسٍ وعبّأ إبراهيم أصحابه فجعل على ميمنته سفيان بن يزيد الأزدي ، وعلى ميسرته علي بن مالك الخثعمي ، وعلى الخيل الطفيل بن لقيط النخعي ، وعلى الرّجاله مزاحم بن مالك السّكوني ، ثم زحفوا حتى أشرفوا على أهل الشام ، ولم يظنّوا أنّهم يقدمون عليهم لكثرتهم ، فبادروا إلى تعبئة عسكرهم ، فجعل عبيدالله لعنه الله على ميمنته شرحبيل بن ذي الكلاع ، وعلى ميسرته ربيعة بن مخارق الغنوي ، وفي القلب الحصين بن نمير لعنه الله ، ووقف العسكران والتقّى

الجمعان ، فخرج ابن ضبعان بن الكلبي ونادى : يا شيعة المختار الكذاب
يا شيعة ابن الأشتر المرتاب وهو يقول :

أنا ابن ضبعان الكريم المفضل من عصبية يبرون من دين علي
كذاك كانوا في الزمان الأول

فخرج إليه الأخوص بن شداد الهمداني وهو يقول :

أنا ابن شداد علي دين علي لست لعثمان بن أروى بولي
لأصلين القوم فيمن يصطلي بحر نار الحرب حتى تنجلي

فقال للشامي : ما اسمك؟ قال : منازل الأبطال ، قال له الأخوص :
وأنا مقرب الأجال ، ثم حمل عليه وضربه فسقط قتيلًا ، ثم نادى هل من
مبارز ، فخرج إليه داود الدمشقي وهو يقول :

أنا ابن من قاتل في صفينا قتال قرن لم يكن غبينا
بل كان فيها بطلاً حرونا مجرباً يوم الوغى كميناً

فأجابه الأخوص يقول :

يا ابن الذي قال في صفينا ولم يكن له في دينه غبينا
كذبت قد كنت بها مغبوناً مذبذباً في أمره مفتونا
لا يعرف الحق ولا اليقيناً يؤساً له لقد مضى ملعونا

ثم التقيا فضربه الأخوص فقتله ، ثم عاد إلى صفه ، وخرج
الحصين بن نمير السكوني وهو يقول :

يا قادة الكوفة أهل المنكر وشيعة المختار وابن الأشتر
هل فيكم قرم كريم العنصر مهذب في قوميه بمفخر
يرز نحوي قاصداً لا يمترى

فخرج إليه شريك بن حزيم التغلبي وهو يقول :

يا قاتل الشيخ الكريم الأزهر بكر بلاء يوم التقاء العسكر
أعني حسيناً ذا الثناء والمفخر وابن النبي الطاهر المطهر
وابن علي البطل المظفر هذا فخذها من هزبر قسور
ضربة قرم أربعي مضري

فالتقيا بضربتين فجذله التغلي صريعاً ، فدخل على أهل الشام من
أهل العراق مدخل عظيم ، ثم تقدم إبراهيم ونادى : ألا يا شرطة الله ألا يا
شيعه الحق ، ألا يا أنصار الدين ، قاتلوا الملحدين وأولاد القاسطين ، لا
تطلبوا أثراً بعد عين ، هذا عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ، ثم
حمل على أهل الشام وضرب فيهم بسيفه وهو يقول :

قد علمت مذحج علماً لا خطل أني إذا القرن لقيني لا وكل
ولا جزوع عندها ولا نكل أروع مقدماً إذ النكس فشل
أضرب في القوم وإن حان الأجل وأعتلي رأس الطرماح البطل
بالذكر البار حتى ينجدل

وحمل أهل العراق معه واختلطوا ، وتقدمت رايتهم وشبت فيهم نار
الحرب ودهمهم العسكر بجناحيه والقلب إلى أن صلوا بالإيماء والتكبير
صلاة الظهر ، واشتغلوا بالقتال إلى أن تجلى صدر الدجى بالأنجم الزهر ،
وزحفت عليهم عسكر العراق فرحاً بالمصاع وحرصاً على القراع ، ووثوقاً
بما وعدهم الله تعالى من النصر وحسن الدفاع ، وانقضوا عليهم انقضاض
العقبان على الرخم ، وجالوا فيهم جولان السرحان على الغنم ، وعركوهم
عرك الأديم ، ودحوا بهم إلى عذاب الجحيم ، وأذاقوهم أسنة الرماح
النازعة للمهج والأرواح ، فلم تزل الحرب قائمة والسيوف لأجسادهم
مستهيبة .

فولى عسكر الشام مكسوراً عليه ذلة الخائب الخجل ، وارتباع
الخائف الوجمل ، وعسكر العراق منصوراً وعلى وجوههم مسحة المسرور
والثقل ، وتبعوهم إلى متون النجاد وبطون الوهاد ، والنبل ينزل عليهم

كصيب العهد ، ثم انجلت الحرب ، وقد قتل أعيان أهل الشام مثل الحصين بن نمير وشراحبيل بن ذي الكلاع وابن حوشب وغالب الباهلي وأبي أشرس بن عبدالله الذي كان على خراسان وحاز إبراهيم بن مالك رحمه الله عاقبة هذا الفتح وفضيلة هذا المنح الذي انتشر في الأقطار ، ودام دوام الأعصار ، ولقد أحسن عبدالله بن الزبير الأسدي بمدح إبراهيم بن مالك الأشر فقال :

الله أعطاك النهاية والتقى وأقر عينك يوم وقعة خازر
وأحل بيتك في العديد الأكثر والخيل تعثر في القتال المتكسر
من ظالمين كفتهم أيامهم تركوا الحاجة وغير أعثر
ما كان أجراهم جزاهم ربهم يوم الحساب على ارتكاب المنكر

قالت الرواة : رأينا إبراهيم بعد ما انكسر العسكر وانكشف العير قوماً منهم صبروا وثبتوا وقاتلوا ، فلقطهم من صهوات الخيل ، وقذفهم في لهوات الليل ، حتى صبغت الأرض من دمائهم ثياباً حمراء ، وملاً الفجاج بياسه ذعراً ، وتساقط النُسور وأهوت العقبان على أجسادهم وهي كالعقيق المنثور ، واصطلح على أكل لحومهم الذئب والسبع والسيد والضبع .

قال إبراهيم بن مالك : وأقبل رجل أحمر في كبكة يفري الناس كأنه بغل أقمر لا يدنو منه فارس إلا صرعه ، ولا كمي إلا قطعه ، فدنى مني فضربت يده فأنبتها وسقط على شاطئ الخازر ، فشرقت يدها وغربت رجلاه ، فقتلته فوجدت منه رائحة المسك تفوح ، وجاء رجل نزع خفيه وظنوا أنه ابن زياد من غير تحقيق ، فطلبوه فإذا هو على ما وصف إبراهيم ، فاجتزوا رأسه واحتفظوا طول الليل بجسده ، فلمّا أصبحوا عرفه مهران مولى زياد ، فلمّا رآه إبراهيم بن مالك قال : الحمد لله الذي أجرى قتله على يدي وقتل في صفر .

وقال قوم من أهل الحديث في يوم عاشوراء وعمره دون الأربعين ، وقيل تسعة وثلاثون سنة ، فأصبح الناس وحووا ما كان وغنموا غنيمة

عظيمة ، ولقد أجاد أبو السّفاح الزبيدي يمدح إبراهيم بن مالك ويهجو ابن زياد لعنه الله فقال :

أتاكم غلام من عرانيين مدحج	جريء على الأعداء غير نكول
أتاه عبيد الله في شرّ عصابة	من الشام لما أرضوا بقليل
فلما التقى الجمعان في حومة الوغى	وللموت فيهم ثم جرّ ذبول
فأصبحت قد ودعت هند ^(١)	وأصبحت موله ما وجدها بقليل
واخلق بهند أن تساق سيئة لها	من أبي إسحاق شرّ جليل
تولى عبيد الله خوفاً من الردى	وخشية ماضي الشفرتين صقيل
جزا الله خيراً شرطة الله أنهم	شفوا بعبيد الله كلّ عليل

وقال يزيد بن مفرع يهجو ابن زياد لعنه الله :

إن المنايا إذا خلولن طاغية	هتكن عنه ستوراً بعد أبواب
إن الذي عاش غداراً بذمته	ومات هزلاً قتيلاً بالزاب
ما شقّ جيب ولا ناحتك نائحة	ولا بكتك جواد عند أسلاب
هلا جموع نزار إذ لقيتهم	كنت امرء من نزار غير مرتاب
أو حمير كنت قبلاً من ذوي يمن	إن المقاول في ملك وأحاب

وكان المختار قد سار من الكوفة يتطلع أحوال إبراهيم ، واستخلف على الكوفة السائب بن مالك ، فترّل سابط ، ثم دخل المدائن ، ورفى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وأمر الناس بالجد في النهوض إلى إبراهيم .

(١) يعني بقوله : هند بنت أسماء بن خارجة زوجة عبيد الله بن زياد لعنه الله لما قتل حملها أخوها غيبة إلى الكوفة ويقوله : أبي إسحاق هو المختار وهرب غلام عبيد الله بن زياد إلى الشام ، فسأله عبد الملك بن مروان عن مولاه ، قال : لما جال الناس تقدم فقاتل وقتل ثم قال : اثني بجرة فيها ماء فشرب وصبّ الماء بين درعه وجسده وصبّ على ناصية فرسه ، ثم حمل فهذا آخر عهدي به .

قال الشعبي : كنت معه فأتته البشري بقتل عبيد الله بن زياد وأصحابه عليهم اللعنة ، فكاد يطير فرحاً ورجع إلى الكوفة في الحال مسروراً بالظفر .

ثم قال رحمه الله : وذكر عمر بن شيبة قال : حدثني أبو أحمد الزبيري عن عمه قال : قال أبو عمير البرّاز : كنت مع إبراهيم بن مالك الأشتر لما لقي عبيد الله بن زياد بالخازر فعددنا القتلى بالقصب لكثرتهم قيل كانوا سبعين ألفاً وصلب إبراهيم ابن زياد لعنه الله منكساً فكأنني أنظر إلى خصيه كأنهما جعلان .

وعن الشعبي أنه لم يقتل قط من أهل الشام بعد صفين مثل هذه الواقعة بالخازر .

وقال الشعبي : كانت الواقعة يوم عاشوراء سنة سبع وستين ، وبعث إبراهيم بن مالك برأس عبيد الله بن زياد ورؤوس الرؤساء من أهل الشام وفي آذانهم رقع أسماهم فقدموا على المختار وهو يتغذى ، فحمد الله تعالى على الظفر ، فلما فرغ من الغذاء قام فوطىء وجه ابن زياد بنعله ثم رمى بها إلى غلامه وقال : اغسلها فإني وضعتها على وجه نجس كافر .

وعن أبي الطفيل عامر بن وائلة الكناني قال : وضعت الرؤوس عند السدة بالكوفة عليها ثوب أبيض ، فكشفنا عنها الثوب وحيّة تتغلغل في رأس عبيد الله بن زياد ونصبت الرؤوس في الرحبة .

قال عامر : ورأيت الحية تدخل في منافذ رأسه وهو مصلوب مراراً ، ثم حمل المختار رأسه ورؤوس القواد إلى مكة مع عبدالرحمن بن أبي عبيد الثقفي وعبدالرحمن بن شداد الجشمي وأنس بن مالك الأشعري ، وقيل السائب بن مالك ومعه ثلاثون ألف دينار إلى محمد بن الحنفية .

وكتب معهم إني بعثت أنصاركم وشيعتكم إلى عدوكم فخرجوا محتسبين آسفين فقتلوهم فالحمد لله الذي أدرك لكم الثار وأهلكهم في كل

فَجَّ عميق ، وغرقهم في كل بحر ، وشفى الله صدور قوم مؤمنين ، فقدموا بالكتاب والرؤوس والمال عليه ، فلما رآها خراً ساجداً ودعا للمختار وقال : جزا الله المختار خيراً ، فقد أدرك لثأرنا ووجب حقه على كل من ولده عبد المطلب بن هاشم .

اللهم واحفظ لإبراهيم بن الأشتر وانصره على الأعداء ووفقه لما تحب وترضى ، واغفر له في الآخرة والأولى ، فبعث رأس عبيدالله بن زياد لعنه الله إلي علي بن الحسين عليهما السلام فادخل عليه وهو يتغذى فسجد شكراً لله تعالى ، وقال : الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوي وجزا الله المختار خيراً .

ثم قال عليه السلام : ادخلت على عبيدالله بن زياد وهو يتغذى ورأس أبي بين يديه ، فقلت : اللهم لا تمنني حتى تريني رأس ابن زياد لعنه الله ، وقسم محمد المال في أهله وشيعته في مكة والمدينة وعلى أولاد المهاجرين والأنصار .

وروى المرزباني بإسناده عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال : ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رُوي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قتل عبيدالله بن زياد لعنه الله .

وعن عبدالله بن محمد بن أبي سعيد ، عن أبي العيلاء ، عن يحيى ابن أبي راشد قال : قالت فاطمة بنت علي عليه السلام : ما تحنت امرأة منا ولا أجالت في عينها مروداً ولا امتشطت حتى بعث المختار رأس عبيدالله بن زياد لعنه الله .

وروي أن المختار قتل ثمانية عشر ألفاً ممن شرك في قتل الحسين عليه السلام أيام ولايته ، وكانت ثمانية عشر شهراً أولها اليوم الرابع عشر من ربيع الأول سنة ست وستين وآخرها النصف من شهر رمضان سنة سبع وستين وعمره سبع وستين سنة .

أقول : قد تمّ خبر المختار وأخذه للشار من الكفرة الفجار للشيخ جعفر بن محمد بن نما تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه في أعالي جنانه إلا أنه لم يذكر فيه كيفية مقتل المختار ، وقد ذيله المقدّس الشيخ لطف الله ابن المرحوم الشيخ محمد بتمام القصة ، فقال بعد حمد الله سبحانه والصلاة والسلام على رسوله وآله صلوات الله عليهم أجمعين : لم يذكر الشيخ رحمه الله تمام القصة وكيفية مقتل المختار رحمه الله وأنا أشرح ذلك .

وأقول : لما أظهر عبدالله بن الزبير الدّعوة لنفسه بالخلافة حتى استولى على الحجاز ومواقع من العراق أنفذ أخاه مصعب إلى البصرة ، وكان معظم الجند عنده ، فكان كلّ من انهزم من خوف المختار انضم إليه مثل شيبث بن ربعي ومحمد بن الأشعث وكانوا يحشونه ويحرضونه على حرب المختار ، وهو يماطلهم الأمر لعلمه بعدم قدرة قيامه على حرب المختار لكثرة جنوده وشدة شوكته .

فقال : إن جاءني المهلب بن أبي صفرة استعنت به على حربته ، وكان المهلب والياً على الأهواز من قبل ابن الزبير ، وكان لا يرى الخروج على المختار ومحاربتة ، فخرج إليه محمد بن الأشعث ولم يزل به حتى غلب على رأيه ، وأقبل في عسكره حتى دخل البصرة ، فاعتد مصعب للمسير إلى الكوفة ، وخرج معه المهلب في جمع كثير ، وأنفذ عبدالرحمن بن مخنف الأزدي إلى الكوفة يخذل الناس عن نصرة المختار ، ويمنيهم الأمان ويخوفهم الفتن ، ويدعو الناس إلى بيعه ابن الزبير سرّاً .

فلما سمع المختار بمسير مصعب إليه وجّه ابن السميّط للقاءه في ثلاثين ألفاً ، والتقيا قرب الكوفة . فلما شبت الحرب خذل أهل الكوفة على جاري عادتهم أميرهم ابن السميّط وأسلموه لعدوّه فقتل ورجع جيش المختار مغلوباً .

وكان إبراهيم بن مالك الأشتر في نواحي الجزيرة لما فرغ من قتل

ابن زياد وذبح عسكر الشام بقي هناك ، فعزم المختار على الخروج بنفسه مع من بقي معه من أهل الكوفة فلقبهم وصدقهم الحرب ، فقتل ابن الأشعث وابن ربيع وسائر من معهما وأهل الكوفة يتسللون عن المختار لوأذاً حتى لم يبق معه إلا نفر قليل ، فدخل قصر الإمارة^(١) وبقي محاصراً حتى عيل صبره ولم يجد من يوصل كتابه إلى إبراهيم بن الأشتر ، فخرج من القصر في تسعة عشر رجلاً ، وحمل على أصحاب مصعب ، ولم يزل يقاتل حتى حباه الله بالشهادة في النصف من شهر رمضان سنة سبع وستين كما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى ، واجتزأ رأسه وأنفذ به مع عبدالله بن عبدالرحمن إلى أخيه عبدالله بن الزبير إلى مكة .

ولما سمع إبراهيم بن مالك الأشتر بمسير مصعب إلى الكوفة وكان مصداقاً ومكذباً ولم يأت خبر ولا أثر قبل وتحرك من نواحي الجزيرة يريد الكوفة لإدراك المختار ، فدخل على مصعب من مسيره إليه مدخل عظيم ، فأرسل إليه الرجال والكتب بالمهود والمواثيق المغلظة والأمان على نفسه وماله وجنده ، وتوليته ما تحت يده من الأعمال ، فوثق منه وبائع لابن الزبير ، ولم تطل المدة لمصعب بالكوفة حتى خرج إليه من الشام عبدالملك بن مروان متوجهاً إلى الكوفة ، فخرج إليه مصعب في أهل العراق وابن الأشتر ومن معه في جيش عظيم حتى التقيا ، ووقع بينهم الحرب ولم تزل كتب أهل الشام تورد على وجوه أهل العراق حتى خذلوا مصعباً وقتلوه ، وقتل إبراهيم بن مالك الأشتر ، وهذه كانت سجيّة أهل الكوفة وطبيعتهم المعروفة .

وزاد أبو مخنف : أنه لما قتل عبدالملك بن مروان مصعب بن الزبير أخذ رأسه وسار حتى وصل الكوفة ، وجلس في قصر الإمارة ، وأحضر رأس مصعب بن الزبير بين يديه في طشت ، فقال بعض مشايخ الكوفة :

(١) وفي رواية أبي مخنف فبقي في القصر أربعين يوماً حتى ضاق به وبأصحابه الخناق (منه).

لا إله إلا الله قد رأيت عجباً ، فقال عبد الملك : ما الذي رأيت يا شيخ؟ فقال : رأيت رأس الحسين عليه السلام في طشت وقد أحضر بين يدي عبيد الله بن زياد لعنه الله في هذا الموضع ، ورأيت فيه أيضاً رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار ، ورأيت فيه أيضاً رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ، ورأيت أيضاً رأس مصعب بين يديك . فقال له عبد الملك : لا أراك الله الخامس ، ثم استقر الملك في بني أمية إلى أن ظهرت الدولة العباسية .

المقام الثاني : في حديث السّفاح :

لما جلس على كرسيّ الإمارة للخلافة وسبب قتل بني أمية لعنهم الله على يده وتحريض العبد سديف مولى بني هاشم رضي الله عنه .

قال أبو مخنف : حدثنا محمد بن قتادة عن زيد بن علي أنه كان في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سمع أن ملك بني أمية إذا بَاد وانقضى رجعت الخلافة إلى بني العباس ، وأول من واليها السّفاح ، وقد تسامعت به ملوك الأرض وأذعنوا له بالطاعة وخطبوا له في مشارق الأرض ومغاربها ، وقد نقش اسمه على الدراهم والدنانير وخافته الملوك والتجأت إليه الأمم ، وهربت من سطوته شياطين العرب والعجم ، وتطأيرت بنو أمية شرقاً وغرباً ومنهلاً وجبلاً مخافة من سلطانه ، وشدة بأسه وسيفه وقهره لما كان منهم من الضغائن والأحقاد القديمة والأمور السّالفة ، ثم أنهم كتبوا إليه يطلبون منه الأمان ويسألونه التعطف والإحسان ، وأنه لا يؤاخذهم بما كان من المداخلة ، وأن يجعلهم أهل بطانته وظهارته وأهل مملكته .

فكتب لهم كتاباً وذكر لهم أنه غير غني عنهم ، وأنه يحتاج إلى خدمتهم ، وضمن لهم الأموال والعطايا والأقطاع ، واجتمع إليه منهم الكبير والصغير والرؤساء وآل زياد وآل مروان وآل يزيد بن معاوية .

فلما اجتمعوا كلهم إليه وكان عدّتهم سبعين ألف فارس ويقدمهم

يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وساروا في رتبهم وعددهم حتى قدموا الأنبار ، ودخلوا إلى أبي العباس أحمد السفاح على مراتبهم ، وأعد لهم كراسي الذهب والفضة ليجلسوا عليها يوماً يسلمون عن يمينه وشماله ، ثم إنّه جعل منهم أمراء وحجاب وندماء ووكلاء وكانوا يجلسون من حوله ، وأقرب الناس إليه وأعزهم عليه وكان الخاص والعام يتعجبون منه ومن فعله بهم ، ويقولون : ما رأينا رجلاً أعجب من هذا الرجل قط يقرب أعدائه ويقضي أثقالهم ويعطيهم أمواله وضياعه ، وكان القائل يقول : إنما يفعل بهم ذلك ليبيدهم وينعم عليهم حتى يجتمعوا ويتكاملوا ثم يأخذهم أخذة شديدة فينذرهم .

قال أبو الحسن البكري : فبينما السفاح ذات يوم جالس على مرتبه وبني أُمّية من حوله وعليهم الدروع المطرزة بطراز الذهب والعمائم الملونة متقلّدين بالسيف المحلاة بالذهب والفضة ، وفي أوساطهم المناطق المحلاة بالجواهر ، إذ دخل بعض حجابيه وهو مذعور فقال له : يا أمير المؤمنين العجب كلّ العجب!! فقال له : وما ذلك العجب؟ قال : يا أمير المؤمنين إنّ على الباب رجلاً ذميمة المنظر ، عظيم المخبر ، شخب اللون ، رث الأطمار ، قد علاه الغبار ، ممّا حلّ به الأسفار ، ومن تحته مطية بالية ، قد قطع بها غياهب الدجى ومهامه الثرى ، فلو أنّ لها لساناً لنطقت به ممّا لحقها من التعب والنصب ، والرجل فوقها جالس كالنسر البالي ، والشيخ الفاني ، فإني أتعجب منه ومن مطيته وقد أناخها ببابك وقد عقلها بفاضل زمامها ، ثم قال لها : أبشري يا ناقتي بالكرامة الكبرى ، والمسرة العظمى ، وقد بلغت مأمولك في سرور وجور ، وحللت بمن هو أهل للمجد ومحلّ للسعد ، وقد نال أعلى المراتب ، فالحمد لله فما عليك بعد اليوم سفراً ولا تعباً ولا جهداً ، فقلت له : إنك لعديم العقل تخاطب ناقة عجماء ، فقال : نعم أخاطبها وأبشرها ، ثم أنشأ يقول :

يا ناقتي سيري بخير وابشري بجود كريم الوالدين هجاني

فتى أبتغي منه الكرامة والعطاء ومن سفري تعفي وطول هواني
ألا أيها السّفاح والسّيد الذي له همم تسطو بكلّ مكان
أنت ناقتي تشكو إليك تأسفاً فصنها عن الاسفار والسّيران
أطال لك الله البقاء بمحمّد كفاني داع بالنبّي كفاني

ثم إنّه أقبل يريد الدّخول عليك عاجلاً والورود إليك آجلاً ، فمنعته من ذلك وقلت له : ما الذي تريد منه؟ فقال : استأذن لي بالدّخول على أمير المؤمنين ، فإنّي قد أتيت إليه من بلد بعيد ، وسفر صعب شاق شديد ، كنت أخوض سواد اللّيل وحنادس الظلام ، وأقطع المهامه والآكام شوقاً إلى طلّعه ومحبة في بهجته ، وأريد التطلع إلى رؤيته والأمور كامنة في الجوارح والنيّان مضمرة في الجوانح ، أريد برؤيته إخمادها وإطفاء شهوتها من كلامه وفتح منظره ومراّه ، فقلت له : امض وتطيب وغير ثيابك ليطرّد عنك وعتّ السّفر ، ثم أقبل حتى أوصلك إلى أمير المؤمنين ، فنظر إليّ بعين الغضب وهو مزور وقال : إنّي آليت على نفسي أن لا أنزع ثوباً ولا أستعمل طيباً ولا ألدّ بعيش حتى أصل إلى أمير المؤمنين ، وها هو على الباب ينتظر ردّ الجواب من أمير المؤمنين .

قال : فلمّا سمع السّفاح بنعته وصفته قال : هذا صاحبنا وعبدنا سديف وربّ الكعبة ، ثم إنّه أذن له بالدّخول عليه ، وقال : إنّه عزيز علينا قريب إلى قلوبنا .

قال : فلمّا سمع بنو اميّة بذكر سديف تغيّرت منهم الألوان واقشعرت منهم الأبدان ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وارتعدت منهم الفرائص ، وأخذهم الجزع والهلع قبل دخول سديف عليهم .

قال أبو الحسن : لأنّه كان عبداً لبني هاشم وكان فصيح اللّسان ، قويّ الجنان ، شاعراً ماهراً ، يصول بلسانه مقتدراً بكلامه ، وكان كلّ موسم من مواسم الحجّ يخرج فيعلو فيه زمزم ، ثم يصيح بالنّاس ، فيجتمعوا إليه ، ويعتمدوا بين يديه ، فإذا تكاملوا عنده يبسط لسانه بمدح

مواليه من بني هاشم ، ويهجو بني أمية ويصغر ملكهم ، ويحرض الناس عليهم ليخلعوا الخلافة منهم ، ويجعلوها في بني هاشم الذين جعلها الله فيهم ، وهم أهل بيت محمد المصطفى عليهم أفضل الصلاة والسلام .

فلما كان في بعض الأعوام وقد حضر الناس الموسم أكمل ما يكون من المواسم أقبل سديف فصعد زمزم ، ثم صاح برفيع صوته : يا أهل الأرض ، ويا أهل الأبطح والصفاء ، وباب مكة والكعبة العليا ، ومن سائر الأقطار شرقاً وغرباً ، فدونكم فاسمعوا ما أقول ، والله على ما أقول وكيل ، ثم تكلم في بني أمية بكلّ مিশوم ، فأخذه بنو أمية فضربوه حتى ظنوا أنهم قد قتلوه وألقوه على مزبلة ، فأقبلت إليه امرأة فسقته شراباً ولجأ إلى رؤوس الجبال .

قال : فلما سمع بنو أمية الذين هم عند السفاح بذكر سديف قال بعضهم لبعض : أليس قد قتل الله سديفاً فأراحنا منه وإنّا لنراه قد عاش بعد موته لينال مناه منا ، ثم إنه دخل على السفاح ونظر إلى بني أمية وما همّ عليه وأنشأ يقول :

أصبح الملك ثابت الأساس	بالبهاليل من بني العباس
طلبوا ثأر هاشم فسقوها	بعد ميل من الزمان ويأس
لا تقبلوا لعبد شمس عثار	اقطعوا كلّ وصلة وارس
ذلّها أظهر التودّد منها	وبهم منكم كحدّ المواسي
فلقد غاظني وغاز لغيري	قربهم من نمارق وكراسي
انزلوها بحيث أنزلها الله	بدار للأنفاس والانكاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد	وقتيلاً بجانب المهراس ^(١)
والقتيل الذي بحران ^(٢) أضحي	ثاوياً بين غربة واناس

(١) وقتيل المهراس حمزة بن عبد المطلب كما تقدم ، والمهراس : نهر ماء .

(٢) القتيل بحران إبراهيم الإمام أخو السفاح .

وقيل : إن سديفاً دخل على السّفاح ويده على يد سليمان بن عبد الملك بن مروان ، ثم أنشأ يقول :

لا يغرّنك ما ترى من رجال إن بين الضّلوع داءً دويّا
فضع السّيف وارفع الصوت حتّى لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فقال : فقال له السّفاح : أهلاً بطلعتك ومرحباً برؤيتك ، قدمت خير مقدم ، وغنمت خير مغنم ، فلك الاكرام والانعام ، وأما ما أنت له من الأعداء فالصّفح أجمل ، فإنّ أكرم الناس من عفى إذا قدر ، وصفح إذا ظفر ، ثم إن السّفاح نادى يا غلام عليّ بتخت^(١) من الثياب وكيس من الورق ، فاتاه بذلك ، فقال السّفاح : خذه وغيّر ثيابك وأصلح به حالك وعذّ إلينا في غداة غد إن شاء الله تعالى ، فلك عندنا ما تحبّ وترضى ، وستبلغ الرّضا وغير الرّضا . قال : فخرج سديف من عند السّفاح وهو فرحان شديد .

قال : وإنّ بني أميّة بقوا في دهشة وبهتة وحيرة ينظر بعضهم إلى بعض ، فعلم السّفاح ما عندهم وما خامرهم ، فأراد أن يطمئنّهم حتى يطمئنّوا إليه ويقبلوا بأجمعهم عليه ، فقال لهم : يا بني أميّة لا يكبرن عليكم ما سمعتم من هذا العبد ، فإنّه ما تكلم إلا بقلة عقله وكثرة جهله ، وليس له رأي سديد ، ولا ينبغي أن يلتفت إلى قوله ولا إلى رأي العبيد ، ولعمري أنّه ما كان الواجب أن يذكر مواليه ، وأن يفعل تلك الفعال التي لا يفعلها إلاّ الجهال ، فترك ما في قلوبهم وما خامرهم فقال : إنّ لكم عليّ أفضل الهبات ، وفوق ما تؤملون من الكرامات ، فذاك زمان وهذا زمان ، ولكل شيء أوان ، ونحن جرثومة العفو ودعامته ، فأبشروا وطيبوا قلوبكم ، فإنّي أقدم لكم العطايا ، وأحسن لكم وأبلغكم الأمل والمنى ،

(١) التخت وعاء يصان فيه الثياب ومنه الحديث أمر له بتخت ثياب (مجمع).

فخرجوا من عنده وقد كشف السِّفاح بعض ما كانوا يحذرون من الهمِّ والغمِّ ، ثم اجتمعوا في مسائهم بالمشورة ، فقال قائلهم : الهرب الهرب ما دام العبد سديف لكم في الطلب ، والله لا قر لكم قرار ، ولا كان لكم منجى ، ولا من طلبه وثأره ملجأ ، وقد كان يعاديكم وهو وحيد فريد لا معين له ولا نصير ولا مجير ، فكيف وقد أتت أيامه وارتفعت أعلامه وظهرت عداوته ، فخذوا لأنفسكم وانظروا أمامكم من قبل أن يغشكم من هذا الرجل أمر شنيع ، فقالوا : يا ويلك إن أمير المؤمنين قد أحسن إلينا في الخطاب ، ووعدنا بجائزة وسديف أقل عنده من ذلك وأضعف ، وتفرقوا إلى منازلهم .

فلما كان من الغد بكر القوم إلى السِّفاح فدخلوا إليه وسلموا عليه ، فردَّ عليهم بأحسن ردٍّ ، وقرب مراتبهم وأعلى منازلهم ورفع مجالسهم ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ، ثم أقبل إليهم وسألهم عن حالهم ومجيئهم إليه وقضى لهم الحوائج .

فبينما هم في أسر ما كانوا فيه إذ دخل عليهم سديف وقد غيَّر أثوابه ، فسلم على السِّفاح وأشار إليه بيده وقال : نعم صباحك وبيان فلاحك ، وظهر نجاحك كشف الله تعالى بك رواكد الهموم ، وفداك أبي لأنك آخذ بالثأر ، وكاشف عن قومك وخيمة العار ، والضَّارب بالسِّيف للثأر ، وقاتل الأشرار ، فحاشاك أن تكون من الغافلين عن ثأر قبيلتك ، فاغضب لعشيرتك يا بن الرؤساء من بني العباس والسَّادة من بني هاشم والسَّراة من بني عبد مناف ، ثم إن سديف أنشأ يقول :

أصبح الملك عالي الدَّرجات	بكرام وسادة وحمة
يا سليل المطَّهرين من الرِّجس	ويا رأس منبر الحاجات
لك أعني خليفة الله ذي المجد	والجود والفضل والكرامات
أي دهر أضلنا أي دهر قد	غصصنا بالموت والنكبات
غدرونا بني أمية حتى	لبس الجسم منهم سقمات

واستباحوا دمائنا وسبينا
 أين زيد وأين عون ومن
 والإمام الذي بحرّان أضحي
 كيف أسلو وقد أيدوا جميعاً
 ورمينا بالذلّ والنقمات
 حلّ ثاويّاً بأرض الفرات
 ثاويّاً في مَهْمِه وفلات
 لا داعي الله من سعي بالشتات

قال : فلمّا سمع السّفاح كلام سديف أطرق إلى الأرض زماناً حتى
 سكن ما لحقه ، ثم إنّه رفع رأسه وقال : قلّ كلامك ولا تذكر ما فات ،
 وخذ ما هوأت ، فإنّ أحلم الناس من صفح عمّن ثلمه وصان عرضه عمن
 ظلمه ، فلك عندنا أفضل الكرامة والجزاء وحسن المنظر وبلوغ المني
 فانصرف يا سديف ولا تعد إلى مثلها أبداً .

فخرج سديف من عند السّفاح يفور غضباً ويدمّ صحبته ، فلمّا خرج
 من عندهم أقبل السّفاح على بني أمية وهم منطرقون وجلون ، فقال لهم :
 إني أعلم أنّ كلام هذا العبد قد أرجفكم وقد أثر في قلوبكم ، فلا تعبثوا
 بكلامه ، فإنّي لكم كما تحبّون وفوق ما تأملون ، وسأزيد لكم العطاء
 وأقرب لكم الجزاء ، وأقدمكم على غيركم ، فخرجوا من عنده وقد سكن
 ما بهم ، واجتمعوا للمشورة فيما بينهم ، فقال قائل منهم : هلّموا بنا حتى
 ندخل على السّفاح بكلّيتنا ونسأله أن يسلم إلينا العبد فنقتله أو نستبعده ،
 فجدوا يا قوم في طلبه ، فإنّ السّفاح لا يمنعنا من ذلك ولا يعصينا ، ونحن
 سبعون ألف سيد لأجل عبد ذميم ، وإنكم إن فاتكم أو توانيتم لم يزل
 العبد معه حتى يهلككم ويدمركم وإنه لا شك قد نصب لكم اشراكاً ، فلا
 يفلت منكم أحد ، فاحذروا ثم احذروا .

وقال قائل منهم : إنّ السّفاح إنّما يظهر لكم ما يظهر لتطمثوا إليه ،
 خذوا على ما كان منكم فلا تعبثوا بكلام السّفاح ، فقال بعضهم : فما كان
 يمنعه منا وهو مالك رقابنا ما نراه إلّا محسناً إلينا ، ووطأ مجالسنا ورفع
 مواضعنا ووعدنا بالخير والعطاء الجزيل .

قال : يا قومي قد أضعتم قولي وعصيتم أمري وخالفتموني ، فإذا

دخلتم عليه فليدخل بعضكم ويبقى بعضكم على الباب حتى ننظر ما يكون ، فإذا أكرم قوماً بالعطاء والجزاء دخل الباقون ، ويفعلوا مثل ما فعلوا أول مرة ، وتقدموا عليه وأنتم آمنون على هذا الترتيب .

قال : فلما انسدل الظلام وجمع النوام بعث إلى سديف فأحضره عنده ، فلما دخل عليه سديف قال له : ويلك يا سديف إنك لعجول في أمرك مفش لسرك لا تستعمل الكتمان ، فقال سديف : الكتمان قد قتلني والتحمل قد أمرضني ، والنظر إلى هؤلاء الظلمة قد أسقمني ولن يخفى عليك شيء من أمري وما حلّ بي وبأهلك وعشيرتك ومواليك وأقاربك من قتل الرجال وذبح الأطفال وهتك النسوان وحمل حريم رسول الله صلى الله عليه وآله على الأقتاب بغير غطاء ولا وطاء يطاف بهم البلدان ، فأني عين ترقى مدامعها وأني قلب لا ينفجع عليهم ، فاستوف لهم الدماء واضرب بحسامك العدى وخذ بالثأر من الظلمة ، لأثمة الهدى ومصاييح الدجى ، وسادة الآخرة والأولى ، ثم أن سديفاً بكى وأنشأ يقول :

يحق لي ان آدم ما عشت في حزن	فأجري الدموع على الخدين والذقن
يا آل أحمد يا خير الورى كرماء	كان خيركم في الناس لم يكن
رجالكم قتلوا من غير ذي سبب	وأهلكم هتكوا جهرأ على البدن
سكينة لست أنساها وقد برزت	من خدرها ناشراً من شدة الحزن
أبكي الحسين وأبكي نسوة هتكت	أم أبكي فاطمة أم أبكي للحسن
أم أبكي ليث الوغى في الروع حيدرة	أم أبكي ابن رسول الله ذي المنن
أشكو إلى الله ممّا قد لقيت	من الظلم الشنيع وسوء الفعل والسّنن

قال : فعند ذلك بكى السّفاح بكاء شديداً وزاد عليه الأمر حتى اصفر لونه ، ونادى بأعلى صوته : وا محمداً وا علياه وا سيدها وا قوماه وا أهلاه وا عشيرتاه ، وبكى سديف حتى غمي عليه .

فلما أفاق قال له السّفاح : يا سديف قد بلغ الكتاب أجله ، وقد حان

قرب ما تؤمّله ، فكأن بي قد أطلقت لك السبيل تضرب بسيفك في
أعراضهم كيف شئت .

قال سديف : أما والله لأن أطلقت لي السبيل لأرضين الرب
الجليل ، وأخذ منهم ثار الرسول ، ولأرضينك يا مولاي . قال له السّفاح :
نم ليلتك قرير العين ، واثني في غداة غد أعطيك أملك ، وأبلغك
رجائك .

قال : فبات سديف في تلك الليلة ارقاً قلقاً يدعو ربّه ويسأله تمام ما
وعده السّفاح .

ثم إن السّفاح لما أصبح ذلك اليوم سمّاه يوم النيروز ، وهو الذي
سمّته بنو العباس نوروز القتل ، لأنه اليوم الذي قتل السّفاح بني أميّة وسن
ملك بني العباس ، فأمر السّفاح منادياً ينادي : إن أمير المؤمنين أبا العباس
السّفاح قد بسط الانطاع وصب عليها خزائنه ، وقال : اليوم يوم عطاء
وجوائز وضربت البوقات والطبول ، ونشرت الرايات ، وخفقت الأعلام ،
ثم إن السّفاح نصب سرير ملكه ، وزين قصره ، وبسط الانطاع بين يديه ،
وافرق الدنانير والذّراهم والأسورة ومناطق المراكب الثقال من الذهب
والفضة .

قال : فلمّا فرغ من ذلك ورتب الزّينة والعدّة عمد إلى أربعمائه من
غلمانهم ، وأشدّهم وأشجعهم ، فدفع إليهم الأعمدة والسيوف والمذّبة ،
وقال لهم : كونوا في الخزائن وأسبلوا عليكم السّتور ، فإذا رأيتموني قد
جلدت بقلنسوتي الأرض اخرجوا وضعوا السيوف في رقاب كلّ من ترونه ،
ولو كان من بني عمّي . قالوا : سمعاً وطاعة ، وقرّر معهم الوصيّة .

فلمّا تعالى النهار وأقبل إليه الناس في الزّينة والبهجة الحسنة للسلام
والعطاء . قال : وأقبل بنو أميّة حتى تكاملوا السبعين ألف من آل يزيد وآل
مروان ، فلمّا بلغوا القصر نزلوا عن خيولهم ودفعوا عددهم وسيوفهم على

عبيدهم ، ودخلوا على جاري عساتهم وهم يرفلون في حللهم واردائهم ويجرون أثوابهم ولم يعلموا ما يراد بهم ويزعمون أنهم مسرورون .

قال : وكان فيهم رجل من جلساء السفاح ، وكان شاعراً ، وقد مدح السفاح بقصيدة حسنة ، وقد أجازها عليها ، فقال له الحجاب الذين عرفوه : ارجع فما هو يوم عطاء ، فإنما هو يوم مكر وخداع ، فلا تورث نفسك مورد الهلاك والموت ، فقد رأينا أمير المؤمنين قد أعطاك وأرضاك ، فما نحب أن تقع في الهلاك .

قال : رضيت إن أرد مورد قومي وأصدر مصدرهم ، فقالوا له : ادخل إلى اللعنة والخزي ، فدخل مع القوم على مراتبهم وصعد السفاح إلى أعلى البيت وهو متقلد بسيفه ، ثم التفت إلى بني أمية فقال : هذا اليوم الذي كنت أعدكم فيه الجزاء والعطاء فبمن تحبون أن أبدأ بالعطاء بني أمية أم بني هاشم ؟ فقالوا بأجمعهم : يا خليفة الزمان إن بني هاشم سادات العرب ، فلا تقدم العبد على سيده ، فابدأ ببني هاشم واحداً بعد واحد ، فإنهم خير العالم وأرباب المواسم ، وإن خزائن الملك تعم الكبير والصغير .

قال : فصاح السفاح بعبد كان عن يمينه وقد أعلمه بما يريد ، فكان فصيح اللسان ، فرفعه حتى صار دونه ، ثم قال له : يا غلام ناد ببني هاشم واحداً بعد واحد حتى نجزل لهم العطاء ونحسن لهم الجوائز عن رضا بلا غضب ، فنادى الغلام برفيع صوته .

فقال ابن أبو عبيدة بن الحارث بن هاشم : هلم إلينا فاقبض عطائك ، فقال سديف : يا شيخ وأين أبو عبيدة بن الحارث ؟ قال : وما فعل الله به ؟ قال : قتله شيخ من هؤلاء القوم يقال له شيبه بن ربيعة بن عبد شمس ، فقال : ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب وادع لنا غيره ، فنادى الغلام أين أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، هلم إلينا واقبض عطائك .

فقال سديف : وأين حمزة . فقال السّفاح : وما فعل الله به ، قال : قتلته امرأة من هؤلاء القوم يقال لها هند بنت عتبة بن ربيعة في أحد ، وذلك لأنها أعطت لوحشي مولى حيدر ابن طاهر عدة حتى قتله ، وأقبلت فشقت جوفه وأخذت كبده لتأكلها ، فحوّلها الله في فيها حجراً ، فسميت أكلة الأكباد .

فلما لم تقدر أن تأكلها قطعت أصابعه وجعلتها قلادة في عنقها . فقال السّفاح : ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب ، وادع لنا غيره .

قال : فنادى الغلام : أين عقيل بن عبد المطلب بن هاشم ، هلم إلينا وخذ عطائك . قال سديف : يا أمير المؤمنين وأين عقيل؟ قال : وما فعل الله به؟ . قال : قتلته رجل من هؤلاء القوم وهو خارج من الشام يريد المدينة . قال السّفاح : ما علمت بذلك يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب وهات غيره .

فنادى الغلام أين أول الناس إسلاماً وأفضل الوصيين ويعسوب الدين الإمام البطين علي بن أبي طالب عليه السلام ، هلم إلينا وخذ عطائك ، فقال سديف : يا مولاي وأين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال : وما فعل الله به ، قال : قتلته المرادي عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله وزين معاوية الشام لقتله أياماً ، وفرح فرحاً شديداً ، فقال السّفاح : ما علمت بذلك اضرب اسمه إذا غاب وهات غيره .

فنادى الغلام أين ابن بنت رسول الله الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام سيّد شباب أهل الجنّة ، هلم إلينا فاقبض عطائك ، فبكى سديف فقال : يا مولاي وأين الحسن بن علي بن أبي طالب؟ قال السّفاح : وما فعل بولد رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال : قتلته جعدة امرأته بسمّ دسه إليها معاوية من الشام ، فقال : ما علمت بذلك ، يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب وهات غيره .

فنادى الغلام : أين مُسلم بن عَقِيل هَلَمْ إلينا واقبض عطائك ، قال
سديف : يا مولاي وأين مسلم بن عقيل؟ قال : وما فعل الله به؟ قال : قتله
هؤلاء القوم ، فأخذه عبيد الله بن زياد لعنه الله فرمى به من قصر الإمارة ،
وربطوا في رجله حبلاً وجروه في أسواق الكوفة ، ونادوا عليه هذا جزاء
من خرج على خلافة بني أمية وسبوا آبائه وجده . قال : ما علمت بذلك يا
غلام اضرب على اسمه وهات غيره إذا غاب .

فنادى الغلام : أين ابن بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسيد
شباب أهل الجنة الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، هَلَمْ إلينا
فاقبض عطائك ، فبكى سديف وقال : يا مولاي وأين الحسين بن علي
ابن أبي طالب عليهما السلام؟ قال السَّفاح : وما فعل بولد رسول الله
صَلَّى الله عليه وآله؟ قال : قتله أمير هؤلاء الذين هم مقرَّبين منطقين ،
وهم على كراسي الذهب والفضة في حضرتك قاعدين قتلوه بأرض كربلاء
عطشاناً والفرات ملآن ، وأخذوا رأسه وجعلوه على رمح طويل ، وحملوه
من الكوفة إلى أن أدخلوه دمشق إلى يزيد بن معاوية حتى ندبته الجن ، ثم
رثاه رجل من بعض الناس بقول صحيح يقول :

هلال بسدى وهلال أفل كذلك تجري صروف الدّول

فقال : ما علمت بذلك ، يا غلام اضرب على اسمه إذا غاب وهات

غيره .

فنادى الغلام : وأين العباس بن علي بن أبي طالب أخو الحسين
عليه السلام ، هَلَمْ إلينا فاقبض عطائك ، فقطع سديف عليه الكلام ، ثم
قال : يا أمير المؤمنين كأنك تريد تؤاخذ هؤلاء القوم بما فعلوا أو تجازيهم
بما صنعوا ، هؤلاء الذين ذكرتهم بكأس المنية قتلوهم هؤلاء بأرض كربلاء
جِئاعاً عطاشاً عرايا .

قال السَّفاح : يا سديف ما علمت بذلك ، يا غلام اضرب على

اسمه إذا غاب وهات لنا غيره .

فقال الغلام : وأين زيد بن علي بن الحسين عليه السلام هلم إلى الخليفة فاقبض عطائك منه ، قال سديف : يا مولاي وأين زيد؟ قال السفاح : وما فعل الله به؟ قال : قتله رجل من هؤلاء القوم يقال له هشام ابن عبد الملك بن مروان لعنه الله وصلبه منكوساً على أم رأسه ، وشق جوفه وبقي مصلوباً على خشبة مدة أربع سنين ، حتى عشعشت الفاختة في جوفه ، ثم ألقوه بعد ذلك وأحرقوه بالنار وسحقوا عظامه وذروه في الهواء ، فاجتمع على وجه الماء ، ثم غاص وخرج خلقاً سوياً ، وهو ينادي برفيع صوته ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ ، ثم قتلوا ولده من بعده وقبره هناك في الطرف الغربي من الكوفة معروف .

فقال السفاح : ما علمت بذلك ، يا غلام اضرب على اسمه وهات غيره ، ثم قال : إن هؤلاء ساداتنا عاشوا سعداء وماتوا شهداء بأسيايف العدى .

ثم نادى الغلام : أين الإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، هلم إلينا واقبض عطائك ، فسكت سديف ولم يعد قولاً ولا ردّ جواباً وأيقن بنو أمية بالهلاك لأنهم هم الذين قتلوه .

فقال السفاح : ويلك يا سديف كنت إذا ذكر لك رجل من بني هاشم تشرع في الجواب فما لك قد عجزت عن الخطاب عند ذكر أخي؟ قال : لأنني أستحي أن أقابلك فأواجهك بما قد فعل بأخيك ، فقال السفاح : سألتك بالله إلا ما تخبرني ما فعل بأخي . قال قبضه رجل من هؤلاء القوم يقال له مروان وادخل رأسه في جراب بقر ، وركب في أسفله كور الحدادين ، وأمر النافخ ينفخ والحداد يجلد حتى ضربه عشرة آلاف سوط في ثلاثة أيام ، وقبره بحران ، فصاح رجل عليه من أوسط القوم يقال له يزيد بن عبد الملك : يا ويلك يا عبد سوء لقد عظم تعريضك حتى أشرف أمير المؤمنين على إهلاكنا أجمع ، فقال : إن مقصودي ذلك فرمق السفاح لسديف بمؤخر عينيه وقد امتلاً حنقاً وغيظاً ، ثم أنشأ يقول :

حسبت أمية أن سترضى هاشم عنها ويذهب زيدها وحسينها
كذبت وحق محمد وصيه حقاً ستبصر ما يسيء ظنونها
وتسدين كل خلية بخليتها بالمشرفي وتقضين ديونها
ستعلم ليلي أي دين تداينت وأي ديون في البرايا ديونها

قال : ثم إنَّ السِّفاح بكى وعلا صياحه ، ثم خلع قلنسوته عن رأسه
وجلد بها سرير ملكه ، ونادى يا لثارات الحسين عليه السلام يا لثارات بني
هاشم ، يا لثارات بني عبد المطلب .

قال : فلما نظر الغلمان إلى السِّفاح وفعاله فتحوا أبواب الخزائن
وخرجوا وفي أيديهم السيوف والأعمدة فوضعوها في رقاب بني أمية ، فعاد
الشاعر يدور بينهم يميناً وشمالاً وهو يقول : أنا الذي مدحت السِّفاح ،
فقال السِّفاح : لو لم تكن منهم لما دخلت معهم ، فقتله السِّفاح بيده
وجرد سيفه وعاد يضرب يميناً وشمالاً فلم تكن إلا ساعة أو كحلب ناقة
حتى قتلوا عن آخرهم .

فبينما العبيد والخدم والغلمان حول القصر إذ خرج إليهم الدّم من
الأقنية وامتلاً البواليع من دماء القتلى ، كأنه النيل ، أو كأفواه القرب ،
فعظموا ذلك وأنكروه ، فلما فرغ السِّفاح من القوم لعنهم الله أمرهم أن
يجمعوا القتلى ويجعلوهم مثل المصطبة ويفرشوا فوقهم الانطاع ، ففعلوا
وجلس عليها السِّفاح وسدّيف وجماعة من بني هاشم وحشمه ، ثم أمر
بالموائد فنصبت ونقلوا إليها الطعام ، فأكل السِّفاح وأهله وقومه ، وجعل
القتلى يضطربون من تحتهم ، ثم أقبل السِّفاح على سدّيف وقال له : برد
ما بقلبك من الغليل؟ فقال : والله يا سيدي ما أكلت أطيب من أكلتي هذه
أبداً ، ثم إنَّ سدّيف قال : والله ما رضيت بقتل هؤلاء القوم وكبرائهم
وأشرافهم في منازلهم قد تفرقوا في أقطاعهم وأعمالهم .

قال : يا سدّيف ليت شعري ما أخرج هؤلاء القوم وقد خفت أن
يعلموا ما حلّ بقومهم فينهزموا شرقاً وغرباً سهلاً وجبلاً ، ولكن يا سدّيف

الذي عمل هذه الحيلة قادر أن يعملها على الباقيين حتى لا يبقى منهم صغير ولا كبير على وجه الأرض .

فقال سديف : فيها يكون زوال الفرحة ، فقال السّفاح : يا سديف ستري مني حيلة ما سبقني إليها أحد كان من قبلي .

ثم إن السّفاح بعث إلى القوم أن سيروا إليّ بأجمعكم فلإني قد منحت القوم كلّما ضمننت لهم من العطايا والجوائز ، وقد بلغهم ذلك ، فخشيت أنفسهم منه ، ثم إنهم تباطؤوا عنه فزعاً من كيده لهم ، فحصنوا أنفسهم منه لأنهم كانوا إذا أرادوا الدّخول على السّفاح اقتسموا شطرين شطر منهم يدخل عليه وشرط يتخلّف ، فلم يقدر السّفاح لتلك الفعال ولا عاد يقدر لهم على نفع ولا ضرر ، وقد كانوا تسعمائة وخمسة وأربعين رجلاً منهم سبعون قد قسموا بالخلافة والامارة ، فدعى السّفاح بالصّناع الحذّاق والمشيدين ، ثم قال لهم : إني أريد أن تبنيوا لي قصراً ما بني على وجه الأرض مثله ، ولم ير مثله في جميع البلدان والأمصار ، فقالوا : حباً وكرامة مكّنا من المال ، فإننا نعمل ما تريد إن شاء الله تعالى وتبلغ ما تحبه .

فقال لهم : امكنكم من الأموال ومن كلّ ما تريدون ، ثم رسم لهم الأساس ، فحفروه وكانوا ألف وخمسمائة صانع ، فلما فرغوا من حفر الأساس نقل على الحمير والبغال الملح وسدّ به الأساس ، ولم يزالوا كذلك حتى اكتفى الأساس من الملح ، ثم أمرهم أن يجعلوا اللبن فوق الملح ، ففعلوا ذلك ، واستحلف الصّناع بالايّمان المغلّظة أنّهم لا يفشون ذلك إلى أحد ، وأنهم متى فعلوا ذلك حلّ له دمايتهم وأموالهم ، فكتّموه ولم يظهروه ، ووعدهم أن يجزل لهم العطاء ، وأمرهم أن يكونوا في جوانب القصر وأن يخرقوا مجاري القصر للماء إلى الأساس ويصبروا عليه إلى وقت الحاجة إليه ، ففعلوا ذلك وأحكموه ، ثم أنّهم أخذوا في البناء والعمل ، وزتب قوماً في البناء وقوماً في عمل المقاصير ، وقوماً في

السقوف وقوماً يزوقون ، وقوماً في التجصيص وبياضه ، وقوماً يزوقون الأبواب بالذهب والفضة ، وقوماً في نحت العاج والابنوس ، فما مضت عليهم إلا أيام قلائل حتى فرغوا من القصر وسقوفه وجميع الآلة وادهانه وأبوابه ، ورفعوا مجالسه وركبوا أبوابه وأصاؤا مقاصيره .

فلما فرغوا من جميع ذلك علّقوا الستور الملونة ، ثم انهم فرشوه وزينوه وحملوا إليه جميع الآلات الحسنة الرّفيعة الغالية من أفخر ما يقدر ، ثم أذن للنّاس بالدخول إليه والفرجة عليه والتنزّه فيه ، فدخل الخاص والعام ، وحج إليه الناس من جميع الأقطار يتعجبون من حسنه وكماله ورتبه ، ودخل بنو أمية أولهم وآخرهم صغيرهم وكبيرهم .

فلما نظروهم وعابنوه حاروا ودهشوا وتحالفوا أنّه أشبه بآرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وجعلوا يقولون : لمن عمل هذا القصر واعدت هذه الآلات المفتخرة والزينة .

فقال قوم منهم : لا شك أنّه يكون هذا القصر لأخيه أبي جعفر المنصور ، وقال آخرون : ما هو إلاّ لعمه صالح ، واختلفت أقاويلهم فيه ، وبلغ ذلك أبو العباس السّفاح ، فركب إليهم وقال : يا بني أمية سيروا إليّ حتى أجزل لكم العطاء ، وأفضلكم على العرب والسّادات من ذوي الرتب ، فنفروا منه نفوراً عظيماً ، فبعث إليهم يقول : يا بني أمية ما عملت هذا القصر إلاّ لكم فاطمئثوا بكلامي ، وثقوا بما أقول ، فإنّ قومكم أخبروني بما دخل قلوبكم من الاضطراب ، وإنكم تتخلفون فزعاً مني ومن سطوتي وبأسي ومن يمنعني منكم إذا أردت بكم بأساً ، فادخلوا القصر ولا تدخلونه إلاّ وهو لكم ، وأنا أحلف لكم بالله ورسوله أنّه لكم .

قال : فلما جاءتهم البشارة اطمئثوا وقال بعضهم : اسعوا يا ويلكم إلى مقاصيركم ومنازلكم لكن البسوا سلاحكم وشدّوا عدتكم ، فإنّ ثار عليكم أحد من النّاس القوي ، ثم انكم تحصنوا في هذا القصر ، فلا يقدر عليكم أحد ، فقالوا : هذا هو الرأي والصّواب الذي ليس فيه ارتباب .

وقال بعضهم : إنا نخشى أنّا إذا حصلنا في هذا توثق علينا أبوابه وتركب علينا العساكر فنحاصر في القصر ، فتصير المقاصير والأحجار قبورنا ، فقال أحدهم : هيهات هيهات ما يكون ذلك أبداً لأنه رجل شريف ، وله اتصال برسول الله صلى الله عليه وآله وهو زعيم القوم وخليفة الله على خلقه ، ثم اجتمع رأيهم على النقلة إلى القصر ، وشاع في الناس أنه لم يرقط أحلم من السفاح لأنه عمد إلى قوم قتلوا أسلافه وعشيرته فأقطعهم الاقطاعات وبنى لهم الجنان ، ورفع لهم المراتب .

قال : فأقبلت إليه السادات ينقلون إلى ذلك القصر واحداً بعد واحد يتسابقون إليه ، وكل واحد يطلب له موضعاً ، فإذا استوى الرجل في الموضع لم يغالبه فيه أحد ، ثم إنهم لم يطمثوا حتى وقفوا منهم نفرأ مع عبيدهم على الباب بالسلاح مخافة الكبسة .

فلما تكاملوا أمر السفاح أن ييسط لهم البسط ، وعمل سباطاً حسناً ، وأكثر من الذبائح والحلاوات ، ثم إنه أجلس القوم على الموائد ، وجاء إليه الناصح من خلف ظهره بأنهم كلهم قد حصلوا في قصر الخليفة إن أردت أن تقتل القوم فافعل فما بقي إلا أعداء الله تعالى ورسوله ، وقد حصلوا في القصر ، فلم يكن إلا ساعة حتى إذا دار الماء بجوانب القصر وذاب الملح والقوم في القصر على الموائد ما يدرون ما حل بهم ، فارتج القصر وانصدع فهموا بالهزيمة فتصايحت حيطانه وانهدمت أركانه ، واهتزت العمدة ففرغ القوم من ذلك ، ودهشوا ووضعوا رؤوسهم على ركبهم ، وظنوا أن الأمر من السماء قد نزل بهم ، فقال قائلهم : قد أخذنا بما كان منا ، فهم في كلامهم إذ سقطت الجدران وانهدمت الأركان ، وهوت العمدان ، ففرغ القوم ودهشوا ، ووقع القصر عليهم بأجمعهم وهلكوا ، وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبش القرار ، فهلكوا وهم وعبيدهم وإمائهم ونسلهم وذريتهم ، فكأنما الأرض قد ابتلعهم وبلغ ذلك السفاح ، فركب وركب سديف معه وساروا إلى أن

وصلوا إلى القصر ، فوجدوهم قد هلكوا ، فسجدوا لله شكراً ، فأقبل
السفاح على سديف وقال له : هل أخذت بشارك وثأر مواليك ، فقال له
سديف : والله لو قتل مثل هؤلاء ألف ضعف ما وفي ولا عدل شسع نعل
الحسين عليه السلام ، ولا لأحد من مواليه ، وقد بلغني أن بالشام خلقاً
كثيراً وإن دمشق مملوءة منهم ومن أكابرهم ، فأننا أرجو من الله أن لا يفوتني
منهم أحد ، فقال السفاح : أقلت في هذا المعنى وهذا الأمر شيئاً يا
سديف ، فقال : نعم يا مولاي واسمع ما أقول :

الا مبلغاً سادات هاشم معشري	وجمع قريش والقبائل من فهر
وتيم ومخزوم وأبناء غالب	قريباً من النور المغيب في القبر
ومن كان منهم في المدينة ثاوياً	وسكان بيت الله والركن والحجر
ومن كان منهم في الغرين ساكناً	أمير علي صاحب النهي والأمر
ومن سكن السطف المعظم قدره	حسين الرضي المدفون بالبلد القفر
بأن سديفاً قد سقى الله صدره	بزقي رماح ثم مرهقة تبر
وإن أبا العباس ثار لثأرهم فلم	يدعو موتوراً يطالب بالوتر

قال أبو مخنف : ثم إن السفاح رجع إلى قصره وبات تلك الليلة
فرحاناً مسروراً بما أناله الله تعالى من العز والهيبة ، فلما أصبح دعى بعمة
صالح بن عبدالله ابن العباس وعقد له لواء علي عسكر وجند بخيار رجاله
وفرسانه ، ثم قال له : يا عم سر إلى الشام فقد وكلتكم دمشق
وأعمالها ، فسر إليها وجزاز المحسن على إحسانه والمسيء على قدر
إساءته ، وانظر إلى من بيننا وبينه معاداة أو غل فاعمل في هلاكه
ودماره ، وهذا سديف عندنا فخذ في صحبتك ، وقد علمت نصحه
ومروته ، فلا تمنعه أمراً يريد ، وآمنه على صحبتك وعشيرتك .

فقال عمه : حباً وكرامة ، ولو لم توص به لكان حقاً علي أن لا
أفعل شيئاً حتى أوقعه عليه وأشاوره فيه ، فلما سمع السفاح كلام عمه
شكره وجزاه خيراً ، ثم إن السفاح جرد الجيش معه واختار له الرجال

الجياد وضَمَّ إليه سديفاً وصاروا جميعاً يجردون في سيرهم حتى دخلوا إلى دمشق .

فلَمَّا دخلوها وجلسوا في دار الامارة جعل يرتب الأعمال في المواضع من أعمالها ، فلَمَّا استقرَّ أمره جعل يسأل عن أولاد يزيد وأولاد مروان بن الحكم فيحضرونهم بين يديه ، ثم إنَّه يقطعهم الاقطاعات الجيدة ، ويعطي لكل واحد منهم ما يطلب قلبه وسديف يستأذن فيهم ويحمل عليهم فيبيدهم طعنًا وضرباً حتى قتل منهم بدمشق ثلاثين ألفاً من بني أمية وهو يقول : والله لو قتلت أضعافاً مضاعفة من بني أمية بل كل من طلعت عليه الشمس منهم لما وافى ولا عدل شسع نعل مولاي الحسين عليه السلام وبلغ السفاح ما فعل سديف فسره ذلك ، فكتب إلى سديف كتاباً وأعاد فيه الشعر الذي قاله قبل مسيره مع صالح .

قال : فلَمَّا سمع فعل عم السفاح ما فعل وقتل كل من بقي من بني أمية وكان قد انهزم منهم قوم إلى السَّاحل وركبوا في البحر طالبين بلاد الغرب فجعل يسير وراءهم فأخذ خبرهم فأخبر أنهم ركبوا في المراكب فأركب خلفهم في المراكب جيشاً فقتل كل من انهزم ولم يسلم منهم أحد إلا قوم تزينوا بزينة النساء وهم المثلثة إلى يومنا هذا .

قال : فلَمَّا عاد صالح إلى دمشق وفي بنذر السفاح ، وكان قد نذر أنه متى أمكنه الله من بني أمية أن يخرّب ديارهم وأخربها جميعاً ولم يبق لهم غير الجامع بعد أن خربت دمشق ودامت أربعين يوماً ، ودام ملك بني العباس إلى أن ملك قلاوون إلى أن ملك منهم أربعون حتى تمّ قول رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لعَمِّه العباس ، لما قال : يا بن أخي رأيت كأن قد ظهر من دبري أربعون زنبوراً ، فقال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : يا عم سيظهر لك من صلبك أربعون رجلاً يأخذون الخلافة والامارة ، فاهتم العباس لذلك وهم هجم نفسه ، فقال له النبي صَلَّى الله عليه وآله : لا يا عم فقد قضي الأمر وحق القول ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً ،

وإهلاك بني أمية وأخذ ثار الحسين عليه السلام ، واعلموا أنه كان ثاره لا ينقطع إلى يوم القيامة ، وهذا ما انتهى إلينا من قصة السفاح والسديف على التمام والكمال ، والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

خاتمة

فيما جرى من العباسيين من حرث قبر الحسين عليه السلام وما ظهر من المعجزات عند ضريحه ومن تربته وزيارته صلوات الله عليه ويتلو ذلك كله ذكر حديث الكساء

روى الشيخ الطوسي رحمه الله في أماليه بإسناده إلى يحيى بن عبد الحميد الحماني أملى عليّ في منزله ، قال : خرجت أيام ولاية موسى بن عيسى الهاشمي الكوفي فلقيني أبو بكر بن عياش فقال : امض بنا يا يحيى إلى هذا فلم أدر من يعني ، وكنت أجّل أبا بكر عن مراجعته ، وكان راكباً حماراً له ، فجعل يسير عليه وأنا أمشي مع ركابه .

فلما صرنا عند الدار المعروفة بدار عبد الله بن حازم التفت إليّ فقال : يا بن الحماني إنما جررتك معي وجشمتك أن تمشي خلفي لأسمعك ما أقول لهذا الطاغية . قال : فقلت : من هو يا أبا بكر؟ قال : هذا الفاجر الكافر موسى بن عيسى ، فسكتت عنه ومضى ، وأنا أتبعه حتى إذا صرنا إلى باب موسى بن عيسى وبصر به الحاجب وتبينه وكان الناس عند الرحبة فلم ينزل أبو بكر هناك وكان عليه يومئذ قميص وإزار وهو محلول الأزار .

قال : فدخل على حمارة وناداني تعال يا بن الحماني ، فمضيت الحاجب فزجره أبو بكر وقال له : أمتنع يا فاعل وهو معي ، فتركني فما زال يسير على حمارة حتى دخل الإيوان ، فبصر بنا موسى وهو قاعد في صدر الإيوان على سريره وبجنتي السرير رجال متسلحون . وكذلك كانوا يصنعون .

فلَمَّا أن رآه موسى رَحِبَ به وقَرَّبَه وأقعدَه على سريره ، ومنعتُ أنا حين وصلت إلى الايوان أن أتجاوزَه . فلَمَّا استقر أبو بكر على السرير التفت فرآني حيث أنا واقف ، فناداني تعال ويحك فصرت إليه ونعلي في رجلي وعلي قميص وإزار ، وأجلسني بين يديه فالتفت إليه موسى فقال : هذا رجل تكلمنا فيه . قال : لا ولكني جئت به شاهداً عليك . قال : فبماذا؟ قال : إنني رأيتك وما صنعت بهذا القبر . قال : أي قبر . قال : قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان موسى قد وجَّه إليه من كربه وكرب جميع أرض الحائر وحرثها وزرع الزرع فيها فانتفخ موسى حتى كاد أن ينقد ثم قال : وما أنت وذا؟ قال : اسمع حتى أخبرك .

اعلم أنني رأيت في منامي كأنني خرجت إلى قومي بني غاضرة ، فلَمَّا صرت بقنطرة الكوفة اعترضني خنازير عشرة يريدوني ، فأغاثني الله برجل كنت أعرفه من بني أسد ، فدفعها عني ، فمضيت لوجهي ، فلَمَّا صرت إلى شامي ضللت الطريق ، فرأيت هناك عجوزاً ، فقالت لي : أين تريد أيها الشيخ ؟ قلت : أريد الغاضرة . قالت لي : تنظر هذا الوادي فإنك إذا أتيت إلى آخره اتضح لك الطريق ، فمضيت وفعلت ذلك . فلَمَّا صرت إلى نينوى إذا أنا بشيخ كبير جالس هناك ، فقلت : من أين أنت أيها الشيخ ؟ فقال لي : أنا من أهل هذه القرية . فقلت : كم تعد من السنين ؟ فقال : ما أحفظ ما مضى من سني وعمري ، ولكن أبعد ذكري أنني رأيت الحسين بن علي عليهما السلام ومن كان معه من أهله ومن تبعه يمنعون الماء الذي تراه ، ولا تمنع الكلاب ولا الوحوش شربه ، فاستفظعت ذلك وقلت له : ويحك أنت رأيت هذا؟ قال : أي والذي سمك السماء لقد رأيت هذا أيها الشيخ وعايته وأنت وأصحابك الذين تعينون على ما قد رأينا ممَّا أقرح عيون المسلمين ان كان في الدنيا مسلم ، فقلت : ويحك وما هو؟ قال : حيث لم تنكروا ما أجرى سلطانكم إليه . قلت : وما

جری . قال : أیکرب^(١) قبر ابن النبی ﷺ وآله وبحرث أرضه . قلت : وأین القبر؟ قال : هاهنا أنت واقف فی أرضه ، فأما القبر فقد عمی عن أن يعرف موضعه .

قال أبو بکر بن عیاش : وما كنت رأیت القبر قبل ذلك الوقت قط ، ولا أتیته فی طول عمري ، فقلت : من لی بمعرفته ، فمضى معي الشيخ حتی وقف بی علی حیر له باب وأذن لی وإذا جماعة كثيرة علی الباب ، فقلت للآذن : أريد الدخول علی ابن رسول الله ﷺ وآله ، فقال : لا تقدر علی الوصول فی هذا الوقت . قلت : ولم؟ قال : هذا وقت زیارة إبراهیم خلیل الله ومحمد رسول الله ﷺ وآله ومعهما جبرئیل ومیکائیل فی رعیل^(٢) من الملائكة كثير .

قال أبو بکر بن عیاش : فانتبهت وقد دخلني روع شديد وحزن وكآبة ومضت بی الأيام حتی کدت أن أنسى المنام ، ثم اضطرت إلى الخروج إلى بني غاضرة لدين كان لی علی رجل منهم ، فخرجت وأنا لا أذكر الحديث ، حتی صرت بقنطرة الکوفة ، لقيني عشرة من اللصوص ، فحين رأيتهم ذكرت الحديث ، ورعبت من خشيتي لهم ، فقالوا لي : الق ما معك وانج بنفسك ، وكانت مع نفيقة ، فقلت : ويحكم أنا أبو بکر بن عیاش ، وإنما خرجت فی طلب دين لي ، فالله الله لا تقطعوا بي عن طلب ديني وتضرّوا بي فی نفقتي ، فأني شديد الأمانة ، فنادى رجل منهم مولاي وربّ الکعبة لا تعرض له . ثم قال لبعض فتیانهم : کن معه حتی تصير به إلى الطريق الأيمن .

قال أبو بکر : فجعلت أتذكر ما رأيت في المنام وأتعجب من تأويل الخنازير ، فمضيت حتی صرت إلى نينوى ، فرأيت والله الذي لا إله إلا

(١) قوله : کربت الأرض إذا قلبتها للحرث .

(٢) الرعیل القطعة من الخيل .

هو الشيخ الذي كنت رأيته في منامي بصورته وهيئته ، رأيته في اليقظة كما رأيته في المنام سواء ، فحين رأيته ذكرت الأمر والرؤيا ، فقلت : لا إله إلا الله ما كان هذا إلا وحياً ، ثم سأله كمسألتي إياه في المنام ، فأجابني بما كان أجباني ، ثم قال لي : امض بنا فمضيت فوقفنا معه على الموضع ، وهو مكروب ، فلم يفتني شيء من منامي إلا الأذن والحير ، فلما لم أر حيراً ولم أر أدناً ، فأتق الله أيها الرجل فلما قد آليت على نفسي أن لا أدع إذاعة هذا الحديث ولا زيارة ذلك الموضع وقصده واعظامه ، فإن موضعاً يأتيه إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وجبرئيل وميكائيل لحقيق أن يرغب في إتيانه وزيارته ، فإن أبا حصين حدثني أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من رآني في المنام فليأني رأى ، فإن الشيطان لا يتشبه بي .

فقال له موسى : إنما أمسكت عن إجابة كلامك لأستوفي هذه الحماقة التي ظهرت منك ، وتالله لئن بلغني بعد هذا الوقت أنك تحدث بهذا لأضربن عنقك وعنق هذا الذي اجثت به شاهداً علي .

فقال أبو بكر : إذا يمنعني الله وإياه منك ، فلما إنما أردت الله بما كلمتك به ، فقال له : أتراجعني يا ماص^(١) وشتمه ، فقال له : اسكت أخزأك الله وقطع لسانك فازعل^(٢) موسى على سريرته ، ثم قال : خذوه فأخذوا الشيخ عن السرير ، وأخذت أنا ، فوالله لقد مررنا من السحب والجعر والضرب ، ما ظننت أننا لا نكثر^(٣) الأحياء أبداً ، وكان أشد ما مرر بي من ذلك أن رأسي كان يجر على الصخر ، وكان بعض مواليه يأتيني

(١) قال الجوهري : قولهم يا ماص وللأنثى يا ماصة شتم أي يا ماص فرج أمه ويقال أيضاً رجل ماص إذا كان يرضع الغنم .
(٢) زاعله : أزعجه .

(٣) قوله : أننا لا نكثر الأحياء أبداً هو كناية عن الموت أي لا نكون بينهم حتى يكثر عددهم بنا .

فيتفت لحيتي وموسى يقول : اقتلوهما ابني كذا وكذا بالزاني (١) لا يكني ، وأبو بكر يقول له : امسك قطع الله لمسائك وانتقم منك . اللهم إياك أردنا ولولد نبيك غضبنا ، وعليك توكلنا ففصم بيننا جميعاً إلى الحبس فما لبثنا في الحبس إلا قليلاً ، فالتفت إليّ أبو بكر ورأى ثيابي قد خرقت وسالت دمائي ، فقال : يا حماني قد قضينا لله حقاً واكتسبنا في يومنا هذا أجراً ، ولن يضيع ذلك عند الله تعالى ولا عند رسوله .

فما لبثنا إلا قدر غدائه ونومه حتى جاءنا رسوله فأخرجنا إليه وطلب حمار أبي بكر ، فلم يوجد ، فدخلنا عليه وإذا هو في سرداب له يشبه الدور سعة وكبراً فتعبنّا في المشي إليه تعباً شديداً ، وكان أبو بكر إذا تعب في مشيه جلس يسيراً ، ثم يقول : اللهم إن هذا فيك فلا تنسه .

فلما دخلنا على موسى وإذا هو على سرير له ، فحين بصر بنا قال : لا حياً الله ولا قرّب من جاهل أحمق متعرض لما يكره ، ويملك يا دعّي ما دخولك فيما بيننا معشر بني هاشم؟ فقال له أبو بكر : قد سمعت كلامك والله حسيبك ، فقال له : اخرج قبحك الله والله إن بلغني أن هذا الحديث شاع أو ذكر عنك لأضربن عنقك ، ثم التفت إليّ وقال : يا كلب وشتمني وقال : إياك أن تظهر هذا فإنه إنما خيل لهذا الشيخ الأحمق شيطان يلعب به في منامه ، اخرجنا عليكما لعنة الله وغضبه .

فخرجنا وقد آيسنا من الحياة ، فلما وصلنا إلى منزل الشيخ أبي بكر وهو يمشي وقد ذهب حماره ، فلما أراد أن يدخل منزله التفت إليّ وقال : احفظ هذا الحديث واثبته عندك ولا تحدثن هؤلاء الرّعاع ، ولكن حدث به أهل العقول والذين .

(١) قوله : بالزاني لا يكني أي كان يقول في الشتم ألفاظاً صريحة في الزنا ولا يكني بالكناية .

وروى فيه أيضاً عن محمد بن علي بن حشيش ، عن محمد بن عبدالله ، عن محمد بن علي بن هاشم الأبلبي ، عن الحسن بن أحمد بن النعمان الجوزجاني ، عن يحيى بن المغيرة الرازي قال : كنت عند جرير بن عبد الحميد إذ جاء رجل من أهل العراق فسأله جرير عن خبر الناس ، فقال : تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام ، وأمر أن نقطع السدرة التي فيه ، فقطعت .

قال : فرفع جرير يده وقال : الله أكبر جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : لعن الله قاطع السدرة ثلاثاً ، فلم نقف على معناه حتى الآن ، لأن القصد بقطعة تغيير مصرع الحسين عليه السلام حتى لا يقف الناس على قبره .

وروى فيه عنه أيضاً قال : حدثنا محمد بن عبدالله ، عن محمد بن جعفر بن محمد بن فرج الرجعي ، قال : حدثني أبي عن عمه عمر بن فرج ، قال : أنفذني المتوكل في تخريب قبر الحسين عليه السلام ، فصرت إلى الناحية فأمرت بالبقر فمر بها على القبور كلها ، فلما بلغت قبر الحسين عليه السلام لم تمر عليه . قال عمي عمر بن فرج : فأخذت العصا بيدي فما زلت أضربها حتى تكسرت العصا في يدي ، فوالله ما جازت على قبره ولا تخطته .

قال لنا محمد بن جعفر : كان عمي عمر بن فرج شديد الانحراف عن آل محمد صلى الله عليه وآله ، فأنا أبرأ إلى الله منه ، وكان جدي أخوه محمد بن فرج شديد المودة لهم رحمه الله ، ورضي عنه ، فأنا أتولاه لذلك وأفرح بولايته .

وفيه عنه أيضاً عن محمد بن عبدالله ، عن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمار الثقفي الكاتب ، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، عن أبي علي الحسين بن محمد بن مسلمة بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر ، عن إبراهيم الديزج قال : بعثني المتوكل إلى كربلاء لتغيير قبر

الحُسين عليه السلام ، وكتب معي إلى جعفر بن محمد بن عمار القاضي ،
اعلمك أنني قد بعثت إبراهيم الديزج إلى كربلاء لينبش قبر الحسين عليه
السلام ، فإذا قرأت كتابي هذا فقف على الأمر حتى تعرف فعل أولم
يفعل .

قال الديزج : فعرفني جعفر بن محمد بن عمار ما كتب به إليه ،
ففعلت ما أمرني به جعفر بن محمد بن عمار ، ثم أتيت فقال لي : ما
صنعت ، فقلت : قد فعلت ما أمرت به ، فلم أر شيئاً ولم أجد شيئاً ،
فقال لي : أفلا عمقته ، قلت : قد فعلت ، فما رأيث .

فكتب إلى السلطان إبراهيم الديزج قد نبش فلم يجد شيئاً ، وأمرته
فمخره^(١) بالماء وكربه بالبقر .

قال أبو علي العماري : فحدثني إبراهيم الديزج وسألته عن صورة
الأمر؟ فقال : أتيت في خاصّة غلماني فقط ، وإني نبشت فوجدت بارية
جديدة وعليها بدن الحسين بن علي عليهما السلام ، ووجدت منه رائحة
المسك ، فتركت البارية على حالها ، وبدن الحسين عليه السلام على
البارية ، وأمرت بطرح التراب عليه ، وأطلقت عليه الماء ، وأمرت بالبقر
لتمخره وتحرثه ، ولم تطأه البقر ، وكانت إذا جاءت إلى الموضع رجعت
عنه ، فحلفت لغلماني بالله وبالأيمان المغلظة لئن ذكر أحد هذا لأقتلنه .

وفيه عنه أيضاً عن محمد بن عبدالله ، عن محمد بن إبراهيم بن أبي
السلاسل ، عن أبي عبدالله الباقطاني قال : ضمنني عبيدالله بن يحيى بن
خاقان إلى هارون المعري ، وكان قائداً من قواد السلطان ، اكتب له ،
وكان بدنه كله أبيض شديد البياض حتى أن يديه ورجليه كانا كذلك ،

(١) مخرت الأرض أي أرسلت فيه الماء ، ومخرت السفينة إذا جرت تشقق الماء مع
صوت (بحار منة رحمه الله) .

وكان وجهه أسود شديد السّواد ، كأنه القير ، وكان يتفقاً^(١) مع ذلك مدّة متنتة .

قال : فلما انس بي سألته عن سواد وجهه ، فأبى أن يخبرني ، ثم إنّه مرض مرضه الذي مات فيه ، فعدت فسألته فرأيت أنّه يحبّ أن يكتّم عليه ، فضمنت له الكتمان ، فحدّثني قال : وجّهني المتوكّل أنا والذّيزج لنبش قبر الحسين عليه السلام ، وإجراء الماء عليه ، فلما عزمنا على الخروج والمسير إلى النّاحية رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله في المنام فقال : لا تخرج مع الذّيزج ولا تفعل ما أمرتم به في قبر الحسين عليه السلام .

فلما أصبحنا جاؤا يستحثوني في المسير ، فسرت معهم حتى وافينا كربلاء ، وفعلنا ما أمرنا به المتوكّل ، فرأيت النبي صلّى الله عليه وآله في المنام فقال : ألم أمرك أن لا تخرج معهم ولا تفعل فعلهم ، فلم تقبل حتى فعلت ما فعلوا ، ثم لطمني وتفل في وجهي ، فصار وجهي مسوداً كما ترى وجسمي على حالته الأولى .

وفيه عنه أيضاً عن محمد بن عبد الله قال : حدّثني سعيد بن أحمد بن العواد أبو القاسم الفقيه ، قال : حدّثني أبو بردة الفضل بن محمد بن عبد الحميد قال : دخلت على إبراهيم الذّيزج وكنت جاره أعوده في مرضه الذي مات فيه ، فوجدته بحال سوء ، وإذا هو كالمدّهوش وعنده الطيب ، فسألته عن حاله وكانت بيني وبينه خلطة وأنس توجب الثقة بي والانبساط إليّ ، فكأتمني حاله وأشار إلى الطيب فشعر الطيب بإشارته ، ولم يعرف في حاله ما يصف له من الدّواء ما يستعمله ، فقام فخرج وخلا الموضع ، فسألته عن حاله فقال : أخبرك والله وأستغفر الله أن المتوكّل أمرني بالخروج إلى نينوى إلى قبر الحسين عليه السلام ، فأمرنا أن نكربه

(١) التفقاً الذّمّل والقرح تشقّق (بحار).

ونطمس أثر القبر، فوافيت الناحية مساء ومعنا الفعلة والذركاديون معهم المساحي والمرور، فتقدمت إلى غلماني وأصحابي أن يأخذوا الفعلة بخراب القبر وحرث أرضه، فطرحت نفسي لما نالني من تعب السفر، ونمت فذهب بي النوم. فإذا ضوضاء شديد وأصوات عالية، وجعل الغلمان ينهوني، فقممت وأنا ذعر، فقلت للغلمان: ما شأنكم؟! قالوا: أعجب شأن. قلت: وما ذاك؟ قالوا: إن بموضع القبر قوماً قد حالوا بيننا وبين القبر وهم يرمونا مع ذلك بالنشاب، فقممت معهم لأتبين الأمر فوجدته كما وصفوا، وكان ذلك في أول ليلة من ليالي البيض، فقلت: ارموهم فرموا فعادت سهامنا إلينا فما سقط سهم منا إلا في صاحبه الذي رمى به فقتله، فاستوحشت لذلك وجزعت وأخذتني الحمى والقشعريرة، ورحلت عن القبر لوقتي ووطنت نفسي على أن يقتلني المتوكل لما لم أبلغ في القبر جميع ما تقدم إلي به.

قال أبو بردة: فقلت له: قد كفيت ما تحذر من المتوكل قد قتل بارحة الأولى، وأعان عليه في قتله المتنصر، فقال لي: قد سمعت بذلك وقد نالني في جسمي ما لا أرجو معه البقاء. قال أبو بردة: كان هذا في أول النهار، فما أمسى الديزج حتى مات.

قال ابن خشيش: قال أبو المفضل: إن المتنصر سمع أباه يشتم فاطمة عليها السلام، فسأل رجلاً من الناس عن ذلك؟ فقال له: قد وجب عليه القتل إلا أنه من قتل أباه لم يطل له عمر. قال: ما أبالي إذا أطعت الله بقتله أن لا يطول لي عمر، فقتله وعاش بعده سبعة أشهر.

وفيه عنه أيضاً عن محمد بن عبدالله، عن علي بن عبد المغنم بن هارون الخديجي الكبير من شاطيء النيل قال: حدثني جدي القاسم بن أحمد بن معمر الأسدي الكوفي، وكان له علم بالسيرة وأيام الناس. قال: بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيصير إلى قبره منهم خلق كثير

فأنفذ قائداً من قواده وضمَّ إليه كنفاً^(١) من الجند كثيراً ليشعب^(٢) من قبره ويمنع الناس من زيارته والاجتماع إلى قبره .

فخرج القائد إلى الطفت وعمل بما أمر ، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فصار أهل السواد به واجتمعوا عليه وقالوا : لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته ورووا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا . فكتب بالأمر إلى الحضرة فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكف عنهم والمسير إلى الكوفة مظهراً أنَّ مسيره إليها في مصالح أهلها والانكفاء إلى المصر ، فمضى الأمر على ذلك حتى كانت سبع وأربعين فبلغ المتوكل أيضاً مسير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام ، وأنه قد كثر جمعهم لذلك ، وصار لهم سوق كبير ، فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجند وأمر منادياً ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبره ونش القبر وحرث أرضه وانقطع الناس عن الزيارة وعمد على تتبع آل أبي طالب والشيعة فقتل ولم يتم له ما قدره .

وفيه عنه أيضاً عن أبي المفضل ، عن عبدالرزاق بن سليمان بن غالب الأزدي بارتاج قال : حدثني عبدالله بن ربيعة الطوري قال : حججت سنة سبع وأربعين ومائتين ، فلما صدرت من الحج صرت إلى العراق ، فزرت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على حال خفية من السلطان ، وزرته ثم توجهت إلى زيارة الحسين عليه السلام ، فإذا هو قد حرث أرضه ومخر فيها الماء ، وأرسلت الثيران العوامل في الأرض فبعيني وبصري كنت رأيت تساق في الأرض فتساق لهم حتى إذا حاذت مكان القبر حادت عنه يميناً وشمالاً ، فتضرب بالعصا الضرب الشديد ، فلا ينفع ذلك فيها ، ولا تطفأ القبر بوجه ولا سبب ، فما أمكنني الزيارة ، فتوجهت

(١) قوله : كنفاً من الجند أي جانباً كناية عن الجماعة منهم .

(٢) قوله : ليشعب أي يشق وينش وفي بعض النسخ المصححة ليشعث من القبر .

إلى بغداد وأنا أقول في ذلك :

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاك بنو أبيه بمثلها هذا لعمر كبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا في قتله فتبعوه رميما

فلما قدمت بغداد سمعت الهائعة فقلت: ما الخبر؟ قالوا: سقط الطائر
بقتل جعفر بن المتوكل، فعجبت لذلك وقلت: انحلى ليلة بليلة.

وفيه عنه أيضاً عن محمد بن عبدالله ، عن عمر بن الحسن بن
علي بن مالك القاصي الشيباني ببغداد ، عن المنذر بن محمد القابوسي ،
عن الحسين بن محمد الأزدي قال : حدثنا أبي قال : صليت في جامع
المدينة وإلى جانبي رجلان على أحدهما ثياب السفر ، فقال أحدهما
لصاحبه : يا فلان أما علمت أن طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من
كل داء ، وذلك أنه كان بي وجع الجوف ، فتعالجت بكل دواء ، فلم أجد
فيه عافية ، وخفت على نفسي واست منها ، وكانت عندنا امرأة من أهل
الكوفة عجوز كبيرة ، فدخلت علي وأنا في أشد ما بي من العلة ، فقالت
لي : يا سالم ما أرى علتك كل يوم الا زائدة . فقلت لها : نعم .
فقالت : هل لك أن أعالجك فتبرئ بإذن الله عز وجل ، فقلت لها : ما
أنا إلى شيء أخرج مني إلى هذا ، فسقتني ماء في قلع ، فسكنت عني
العلة وبرئت حتى كان لم يكن بي علة قط .

فلما كان بعد أشهر دخلت على العجوز فقلت لها : بالله عليك يا
سلمة وكان اسمها سلمة ، بماذا داويتني؟ فقالت : بواحدة مما في هذه
السبحة من سبحة كانت في يدها ، فقلت : وما هذه السبحة ، فقالت :
إنها من طين قبر الحسين عليه السلام ، فقلت لها : يا رافضية داويتني
بطين قبر الحسين ، فخرجت من عندي مغضبة وزجعت والله عنتي كأشد
ما كانت وأنا أقاسي منها الجهد وقد والله خشيت على نفسي ، ثم اذن
المؤذن فقاما يصليان وغابا عني .

وفيه عنه أيضاً عن محمد بن عبد الله ، عن الفضل بن أحمد بن أبي طاهر الكاتب عن أبي عبد الله محمد بن موسى السريعي الكاتب عن أبيه موسى بن عبد العزيز قال : لقيني يوحنا بن سراقبون النصراني المتطبيب في شارع أبي أحمد ، فاستوقفني وقال لي : بحق نبيك ودينك من هذا الذي يزور قبره قوم منكم بناحية قصر ابن بصيرة من هو من أصحاب نبيكم . قلت : ليس هو من أصحابه هو ابن بنته ، فما دعاك إلى المسألة لي عنه؟ فقال له عندي حديث طريف ، فقلت : حدثني به .

فقال : وجه إلي سابور الكبير الخادم الرشيدي في الليل ، فصرت إليه فقال لي : تعال معي فمضى وأنا معه حتى دخلنا على موسى بن عيسى الهاشمي فوجدناه زائل العقل منكباً على وسادة ، وإذا بين يديه طشت فيها حشو جوفه ، وكان الرشيد استحضره من الكوفة ، فأقبل سابور على خادم كان من خلصة موسى ، فقال له : ويحك ما خبره ؟ فقال له : أخبرك أنه كان من ساعة جالساً وحوله ندمائه وهو من أصح الناس جسماً ، وأطيبهم نفساً ، إذ جرى ذكر الحسين بن علي عليهما السلام .

قال يوحنا : هذا الذي سألتك عنه؟ فقال موسى : إن الرافضة ليغلون فيه حتى أنهم فيما عرفت يجعلون تربته دواء يتداوون به ، فقال له رجل من بني هاشم كان حاضراً : قد كانت بي علة غليظة فتعالجت بكل علاج فما نفعتني حتى وصف لي كاتبي أن آخذ من هذه التربة ، فأخذتها فنفعني الله بها وزال عني ما كنت أجده .

قال : فبقي عندك منها شيء؟ قال : نعم ، فوجه فجاء منها بقطعة فناولها موسى بن عيسى فأخذها موسى فاستدخلها دبره استهزاء بمن تداوى بها واحتقاراً وتصغيراً لهذا الرجل الذي هي تربته يعني الحسين عليه السلام ، فما هو إلا أن استدخلها دبره حتى صاح النار النار الطست الطست ، فجثناه بالطست فأخرج فيها ما ترى فانصرف الندماء وصار المجلس مائماً ، فأقبل علي سابور فقال : انظر هل لك فيه حيلة؟ فدعوت

بشمعة فنظرت فإذا كبده وطحاله وريته وفؤاده خرج منه في الطشت ، فنظرت إلى أمر عظيم ، فقلت : ما لأحد في هذا صنع إلا أن يكون لعيسى عليه السلام الذي كان يحيي الموتى . فقال لي سابور : صدقت ولكن كن ههنا في الدار إلى أن يتبين ما يكون من أمره . فبت عندهم وهو بتلك الحال ما رافع رأسه فمات في وقت السحر .

قال محمد بن موسى : قال لي موسى بن سريع : فكان يوجنا يزور قبر الحسين عليه السلام وهو على دينه ، ثم أسلم بعد هذا وحسن إسلامه .

وفي البحار عن دعوات الراوندي عن الشيخ أبي جعفر النيسابوري رضي الله عنه قال : خرجت ذات سنة إلى زيارة الحسين عليه السلام في جماعة ، فلما كنا على فرسخين من المشهد أو أكثر أصاب رجلاً من الجماعة الفالج ، وصار كأنه قطعة لحم . قال : وجعل يناشدنا بالله أن لا نخليه وأن نحمله إلى المشهد ، فقام عليه من يراعيه ويحافظه على البهيمة ، فلما دخلنا الحضرة وضعناه على ثوب وأخذ رجلان منا طرفي الثوب ، ورفعناه على القبر وكان يدعوه ويتضرع ويبكي ويبتهل ، ويقسم على الله بحق الحسين عليه السلام أن يطيب له العافية . قال : فلما وضع الثوب على الأرض جلس الرجل ومشى وكأنما نشط من عقال .

وفي العوالم عن نوادر علي بن اسباط عن غير واحد قال : لما بلغ أهل البلدان ما كان من أبي عبدالله عليه السلام قدمت لزيارته مائة ألف امرأة ممن كانت لا تلد ، فولدن كلهن .

وفيه أيضاً عن المناقب لابن شهر آشوب أخذ المسترشد من مال الحائر وكربلاء وقال : إن القبر لا يحتاج إلى الخزانة وأنفق على العسكر ، فلما خرج قتل هو وابنه الراشد .

وفيه عنه أيضاً عن كتابي ابن بطة والنظري روى أبو عبدالرحمن بن

أحمد بن حنبل بإسناده عن الأعمش قال : حدث رجل على قبر الحسين عليه السلام فأصابه وأهل بيته جنون وجذام وبرص وهم يتوارثون الجذام إلى الساعة .

وفي المنتخب عن سليمان الأعمش أنه قال : كنت نازلاً بالكوفة وكان لي جار وكنت آتي إليه وأجلس عنده ، فأتيت إليه ليلة الجمعة فقلت له : يا هذا ما تقول في زيارة قبر الحسين عليه السلام؟ فقال لي : هي بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ذي ضلالة في النار .

قال سليمان : فقممت من عنده وأنا ممتلىء عليه غيظاً ، فقلت في نفسي : إذا كان وقت السحر آتية وأحدثه شيئاً من فضائل الحسين عليه السلام ، فإن أصر على العناد قتلته .

قال سليمان : فلما كان وقت السحر أتيت وقرعت عليه الباب ودعوت به باسمه ، وإذا بزوجه تقول لي : إنه قصد إلى زيارة الحسين عليه السلام من أول الليل . قال سليمان : فسرت في أثره إلى زيارة الحسين عليه السلام ، فلما دخلت إلى القبر فإذا أنا بالشيخ ساجد لله عز وجل وهو يدعو ويبكي في سجوده ويسأله التوبة والمغفرة ، ثم رفع رأسه بعد زمان طويل ، فرآني قريباً منه ، فقلت : يا شيخ بالأمس كنت تقول زيارة الحسين عليه السلام بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، واليوم أتيت تزوره .

قال : يا سليمان لا تلمني فإنني ما كنت أثبت لأهل البيت إمامة حتى كانت ليلتي تلك ، فرأيت رؤيا هالتي ورؤعتني ، فقلت له : ما رأيت أيها الشيخ؟ قال : رأيت رجلاً جليل القدر لا بالطويل الشاهق ولا بالقصير اللأصق ، لا أقدر أصفه من عظم جلاله وجماله وبهائه وكماله ، وهو مع أقوام يحقون به حقيقاً ويزفونه زفيفاً ، وبين يديه فارس وعلى رأسه تاج ، وللتاج أربعة أركان ، وفي كل ركن جوهرة تضيء من مسيرة ثلاثة أيام ، فقلت لبعض خدامه : من هذا؟ فقال : هذا محمد المصطفى صلى الله

عليه وآله ، قلت : ومن هذا الآخر؟ فقال : هذا علي المرتضى وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم مددت نظري فإذا أنا بناقة من نور ، وعليها هودج من نور ، وفيه امرأتان والناقة تطير بين السماء والأرض ، قلت : لمن هذه الناقة؟ فقال : لخديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليهما السلام ، قلت : من هذا الغلام؟ فقال : الحسن بن علي عليهما السلام ، قلت : إلى أين يريدون بأجمعهم؟ فقال : لزيارة المقتول ظلماً شهيد كربلاء الحسين بن علي المرتضى عليهما السلام ، ثم إنني قصدت نحو الهودج الذي فيه فاطمة الزهراء عليهما السلام ، وإذا أنا برقاع مكتوبة تتساقط من السماء ، فسألت ما هذه الرقاع؟ فقال : هذه رقاع فيها أمان من النار لزوار الحسين عليه السلام في ليلة الجمعة ، فطلبت منه رقعة ، فقال لي : إنك تقول زيارته بدعة ، فإنك لا تنالها حتى تزور الحسين عليه السلام وتعتقد فضله وشرفه ، فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً وقصدت من وقتي وساعتي إلى زيارة سيدي الحسين عليه السلام وأنا تائب إلى الله تعالى ، فوالله يا سليمان لا أفارق قبر الحسين عليه السلام حتى يفارق روحي جسدي .

وقال فيه أيضاً وروى الثقات عن أبي محمد الكوفي ، عن دعبل بن علي الخزاعي ، قال : لما أنصرفت عن أبي الحسن الرضا عليه السلام بقصيدتي الثائية نزلت بالرّي وأنا في ليلة من الليالي وأنا أصوغ قصيدة وقد ذهب من الليل شطره ، فإذا طارق يطرق الباب ، فقلت : من هذا؟ فقال : أخ لك ، فبدرت إلى الباب ففتحته فدخل شخص اقشعر منه بدني وجلدي ، وذهلت منه نفسي ، فجلس ناحية فقال لي : لا ترع أنا أخوك من الجنّ ، ولدت في الليلة التي ولدت فيها ، ونشأت معك وأنا جئت أحدثك بما يسرك ويقوي نفسك وبصيرتك .

قال : فرجعت نفسي وسكن قلبي ، فقال لي : يا دعبل إنني كنت من أشد خلق الله بغضاً وعداوةً لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، فخرجت في نفر من الجنّ المردة العتاة ، فمررنا بنفر يريدون زيارة الحسين عليه

السلام قد جَنَّهُم الليل ، فهممنا بهم وإذا ملائكة تزجرنا من السماء وملائكة في الأرض تزجر عنهم هوامها ، فكأنني كنت نائماً فانتبهت أو غافلاً فتيقظت ، وعلمت أن ذلك لعناية بهم من الله لمكان من قصدوا له وتشرفوا بزيارته ، فأحدثت توبة وجددت نية وزرت مع القوم ووقفت بوقوفهم ودعوت بدعائهم ، وحججت بحججهم تلك السنة ، وزرت قبر النبي صلى الله عليه وآله ومررت برجل حوله جماعة ، فقلت : من هذا؟ فقالوا : هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله الصادق عليه السلام .

قال : فدنوت منه وسلمت عليه ، فقال لي : مرحباً بك يا أخا أهل العراق ، أتذكر ليلتك ببطن كربلاء وما رأيت من كرامة الله لأوليائنا ، إن الله قد قبل توبتك وغفر خطيئتك ، فقلت : الحمد لله الذي منّ عليّ بكم ونور قلبي بنور هدايتكم ، وجعلني من المعتصمين بحبل ولايتكم ، فحدثني يابن رسول الله صلى الله عليه وآله بحديث أنصرف به إلى هلي وقومي .

فقال عليه السلام : نعم حدثني أبي محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين ، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها أنا ، وعلى الأوصياء حتى تدخلها أنت ، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتي ، وعلى أمتي حتى يقرؤا بولايتك ويدينوا بإمامتك ، يا علي والذي بعثني بالحق لا يدخل الجنة أحد إلا من أخذ منك بسبب ، ثم قال : خذها يا دعبل فلن تسمع بمثلها من مثلي أبداً ، ثم ابتلعه الأرض ، فلم أره .

أقول : ولا بأس بإيراد حكاية زيد المجنون والبهلول لمناسبة المقام ، ذكر الشيخ فخر الدين بن طريح النجفي في المنتخب روي أن المتوكل من خلفاء بني العباس ، كان كثير العداوة ، شديد البغض لأهل البيت عليهم السلام ، وهو الذي أمر الحارثين بحرق قبر الحسين عليه

السلام ، وأن يخربوا بنيانه ، ويخفوا آثاره ، وأن يجروا عليه الماء من نهر العلقمي بحيث لا يبقى له أثر ولا أحد يقف له على خبر ، وتوعد الناس بالقتل لمن زار قبره ، وجعل رصداً من أجناده وأوصاهم كل من وجدتموه يريد زيارة الحسين عليه السلام فاقتلوه يريد بذلك اطفاء نور الله واخفاء آثار ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله .

فبلغ الخبر إلى رجل من أهل الخير يقال له زيد المجنون ، ولكنه ذو عقل شديد ، ورأي رشيد ، وإنما لقب بالمجنون لأنه أفحم كل لبيب ، وقطع حجة كل أديب ، وكان لا يعيا من الجواب ولا يمل من الخطاب ، فسمع بخراب بنيان قبر الحسين وحرث مكانه ، فعظم ذلك عليه ، فاشتد حزنه وتجدد مصابه بسيدة الحسين عليه السلام ، وكان مسكنه يومئذ بمصر .

فلما غلب عليه الوجد والغرام لحرث قبر الامام عليه السلام خرج من مصر ماشياً هائماً على وجهه ، شاكياً وجده إلى ربّه ، وبقي حزيناً كثيراً حتى بلغ الكوفة ، وكان البهلول يومئذ بالكوفة ، فلقية زيد المجنون وسلم عليه ، فردّ عليه السلام ، فقال له البهلول : من أين لك معرفتي ولم ترني قط؟ فقال زيد : يا هذا اعلم أنّ قلوب المؤمنين جنود مجنّدة ، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف . فقال له البهلول : يا زيد ما الذي أخرجك من بلادك بغير دابة ولا مركوب ؟ فقال : والله ما خرجت إلا من شدة وجدي وحزني ، وقد بلغني أنّ هذا اللعين أمر بحرث قبر الحسين عليه السلام وخراب بنيانه ، وقتل زوّاره ، فهذا الذي أخرجني من موطني ونقص عيشي وأجرى دموعي وأقلّ هجوعي .

فقال البهلول : وأنا والله كذلك ، فقال له : قم بنا نمضي إلى كربلاء لنشاهد قبور أولاد علي المرتضى عليه السلام . قال : فأخذ بيد صاحبه حتى وصلا إلى قبر الحسين عليه السلام وإذا هو على حاله لم يتغيّر ، وقد هدموا بنيانه ، وكلّما أجروا عليه الماء غار وحاد واستدار بقدرة

العزیز الجبار ، ولم یصل قطرة واحدة إلى قبر الحسین علیه السلام ، وكان القبر الشریف إذا جاءه الماء یرتفع أرضه بإذن الله تعالى ، فتعجب زید المجنون ممّا شاهده ، وقال : انظر یا بهلول یریدون لیطفئوا نور الله بأفواههم ویأبى الله إلا أن یتّم نوره ولو كره المشركون .

قال : ولم یزل المتوكل یأمر بحرث قبر الحسین علیه السلام مدّة عشرين سنة ، والقبر على حاله لم یتغیر ، ولا یعلوه قطرة من الماء ، فلمّا نظر الحارث إلى ذلك قال : آمنت بالله وبمحمد رسول الله صلّی الله علیه وآله ، والله لأهربن على وجهی وأهیم فی البراري ولا أحرث قبر الحسین علیه السلام ابن بنت رسول الله صلّی الله علیه وآله ، وإن لی مدّة عشرين سنة أنظر آیات الله وأشاهد براهین آل بیت رسول الله صلّی الله علیه وآله ولا أتعظ ولا أعتبر ، ثم إنه حل الثیران^(١) وطرح الفدان^(٢) وأقبل یمشي نحو زید المجنون ، وقال له : من أين أقبلت یا شیخ ؟ قال : من مصر . فقال له : ولأي شيء جئت إلى هنا وإنی لأخشي عليك من القتل ، فبكى زید وقال : والله قد بلغني حرث قبر الحسین علیه السلام فأحرقني ذلك وهیج حزني ووجدی ، فانكبّ الحارث على اقدام زید یقبلهما وهو یقول : فداك أبی وأمی فوالله یا شیخ من حین ما أقبلت إلىّ أقبلت إلىّ الرّحمة واستنار قلبي بنور الله ، وإنی آمنت بالله ورسوله وإن لی مدّة عشرين سنة وأنا أحرث هذه الأرض ، وكلّما أجريت الماء إلى قبر الحسین علیه السلام غار وحر واستدار ولم یصل إلى قبر الحسین علیه السلام منه قطرة ، وكأني كنت فی سكر وأفقت الآن ببركة قدومك إلىّ ، فبكى زید وتمثل بهذه الأبیات :

تالله إن كانت امیّة قد أتت قتل ابن بنت نبیّها مظلوماً

(١) ثیر الفدان بالكسر الخشبة المعترضة فی عنق الثورین والجمع الثیران الأثیار .

(٢) الفدان البقرة التي تحرث .

فلقد أتاه بنو أبيه يمثله هذا لعمر ك قبره مهْدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعموه رميما

فبكى الحارث وقال : يا زيد قد أبقيتني من رقدتي وأرشدتني من
غفلتي ، وها أنا الآن ماض إلى المتوكل بسر من رأى أعرفه بصورة الحال
إن شاء أن يقتلني وإن شاء أن يتركني ، فقال له زيد : وأنا أيضاً أسير
معك إليه وأساعدك على ذلك .

قال : فلما دخل الحارث إلى المتوكل وخبره بما شاهد من برهان
قبر الحسين عليه السلام استشاط غيظاً وازداد بغضاً لأهل بيت رسول الله
صلّى الله عليه وآله ، وأمر بقتل الحارث ، وأمر أن يشدّ به في رجله
ويسحب على وجهه في الأسواق ، ثم يصلب في مجتمع الناس ليكون
عبرة لمن اعتبر ولا يبقى أحد يذكر أهل البيت بخير أبداً .

وأما زيد المجنون فإنه ازداد حزنه واشتدّ عزائه وطال بكائه وصبر
حتى أنزلوه من الصّلب وألقوه على مزبلة هناك ، فجاء إليه زيد فاحتمله
إلى الدّجلة وغسله وكفنه وصلّى عليه ودفنه ، وبقي ثلاثة أيام لا يفارق
قبره ، وهو يتلو كتاب الله عنده .

فبينما هو ذات يوم جالس إذ سمع صراخاً عالياً ونوحاً شجياً وبكاء
عظيماً ، ونساء كثيرة منشرات الشعور مشققات الجيوب مسودات الوجوه ،
ورجال كثيرة يندبون بالويل والثبور ، والناس كافّة في اضطراب شديد ،
وإذا بجنازة محمولة على أعناق الرجال ، وقد نشرت لها الأعلام
والرايات ، والناس من حولها أفواجا قد انسدت الطرق من الرجال
والنساء .

قال زيد : فظننت أنّ المتوكل قد مات ، فقدمت إلى رجل منهم
وقلت له : من يكون هذا الميت؟ فقال : هذه جنازة جارية المتوكل وهي
جارية سوداء حبشية ، وكان اسمها ربحانة ، وكان يحبّها حبّاً شديداً ، ثم

إنهم عملوا لها شأنًا عظيمًا ودفنوها في قبر جديد ، وفرشوا فيه السورود والرياحين والمسك والعنبر وبنوا عليه قبة عالية .

فلما نظر زيد إلى ذلك ازدادت اشجانه وتصاعدت نيرانه ، وجعل يلطم وجهه ويمزق أطماره ويحني التراب على رأسه ، وهو يقول :
واويلاه وأسفاه عليك أقتل بالطف غريباً وحيداً ظمآنًا شهيداً وتسبى
نسائك وبناتك وعيالك وتذبح أطفالك ولم يبك عليك أحد من الناس ،
وتدفن بغير غسل ولا كفن ، ويحرق بعد ذلك قبرك ليطفئوا نورك وأنت ابن
علي المرتضى وابن فاطمة الزهراء ، ويكون هذا الشأن العظيم لموت
جارية سوداء ولم يكن الحزن والبكاء لابن محمد المصطفى صلى الله عليه وآله .

قال : ولم يزل يبكي وينوح حتى غشي عليه ، والناس كافة ينظرون إليه ، فممنهم من رق له ومنهم من جنى عليه ، فلما أفاق من غشوته أنشد هذه الأبيات يقول :

أبحرث بالطف قبر الحسين ويعمر قبر بني الزانية
لعل الزمان بهم قد يعود ويأتي بدولتهم ثانية
ألا لعن الله أهل الفساد ومن يأمن الذنية الفانية

قال : ثم إن زيدا كتب هذه الأبيات في ورقة وسلمها لبعض حجاب المتوكل .

قال : فلما قرأها اشتد غضبه وأمر بإحضاره ، فأحضر وجرى بينه وبينه من الوعظ والتوبيخ ما أغاظه حتى أمر بقتله ، فلما مثل بين يديه سأل عن أبي تراب من هو استحقاراً له ، فقال : والله إنك عارف به وبفضله وشرفه وحسبه ونسبه ، فوالله ما يجحد فضله إلا كل كافر مرتاب ، ولا يغيضه إلا كل منافق كذاب ، وشرع يعدد فضله ومناقبه حتى ذكر منها ما

أغاظ المتوكل ، فأمر بحبسه فحبس ، فلما أسدل^(١) الظلام وهجع جناء إلى المتوكل لعنه الله هاتف ورفسه برجله^(٢) ، وقال له : قم وأخرج زيداً من حبسه وإلا أهلكك الله عاجلاً ، فقام هو بنفسه وأخرج زيداً من حبسه ، وخلع عليه خلعة سنّية ، وقال له : اطلب ما تريد ؟ قال : أريد عمارة قبر الحسين عليه السلام ، وأن لا يتعرض أحد لزوارة ، فأمر له بذلك ، فخرج من عنده فرحاً مسروراً ، وجعل يدور في البلدان وهو يقول : من أراد زيارة قبر الحسين عليه السلام ، فله الأمان طول الأزمان .

ذكر حديث الكساء :

روى الشيخ فخر الدين بن طريح النجفي في المنتخب عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت : دخل عليّ أبي رسول الله صلّى الله عليه وآله في بعض الأيام فقال لي : يا فاطمة إني لأجد في بدني ضعفاً ، فقالت له فاطمة عليها السلام : أعيدك بالله يا أبتى من الضعف . فقال : يا فاطمة ايتيني بالكساء اليماني وغطيني به . قالت فاطمة عليها السلام : فغطيته به وصرت أنظر إليه ، وإذا وجهه يتلألأ كأنه بدر في ليلة تمامه .

قالت فاطمة : فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسن عليه السلام قد أقبل وقال : السلام عليك يا أمّاه ، إني أشم رائحة طيبة كأنها رائحة جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقالت : إن جدّك نائم تحت الكساء ، فأقبل الحسن عليه السلام نحو الكساء وقال : السلام عليك يا جدّاه ، السلام عليك يا رسول الله ، أتأذن لي أن أدخل معك تحت هذا الكساء ، فقال له : قد أذنت لك ، فدخل معه .

فما كان إلا ساعة وإذا بالحسين الشهيد عليه السلام قد أقبل ،

(١) الاسدال : ارخاء الستر وارساله وفيه استعارة .

(٢) الرفس : الضرب بالرجل (بحار) .

وقال : السّلام عليك يا أمّاه إنّي أشمّ عندك رائحة طيّبة ، كأنّها رائحة جدي رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقالت : نعم يا بنيّ إنّ جدك وأخاك تحت الكساء ، فدنى الحسين عليه السلام وقال : السلام عليك يا جداه ، السلام عليك يا من اختاره الله ، أتأذن لي أن أكون معك تحت هذا الكساء ؟ فقال له : قد أذنت لك يا حسين ، فدخل معه .

قالت فاطمة عليها السلام : فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : السلام عليك يا بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقالت : وعليك السلام ، فقال : كأني أشمّ رائحة أخي وابن عمي رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقالت : نعم ها هو مع ولدك تحت الكساء ، فأقبل نحو الكساء فقال : السلام عليك يا رسول الله أتأذن لي أن أكون معكم تحت هذا الكساء؟ قال : نعم قد أذنت لك ، فدخل علي عليه السلام تحت الكساء .

ثم أقبلت فاطمة عليها السلام وقالت : السلام عليك يا أباه ، السلام عليك يا رسول الله ، أتأذن لي أن أدخل معكم تحت الكساء؟ فقال : نعم قد أذنت لك ، فدخلت فاطمة عليها السلام معهم .

فلما اكتملوا تحت الكساء قال الله عزّ وجلّ : يا ملائكتي وسكّان سمواتي إنّي ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا شمساً مضيئة ولا قمرأ منيراً ولا فلکاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلکاً يسري إلّا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء .

فقال الأمين جبرائيل عليه السلام : يا ربّ ومن تحت الكساء؟ فقال : أهل بيت النبوة ومعدن الرّسالة ، وهم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها ، فقال جبرئيل : يا ربّ أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً ، فقال عزّ وجلّ : قد أذنت لك ، فهبط الأمين جبرئيل وقال : السلام عليك يا رسول الله العلي الأعلى يقرؤك السلام ويخصّك بالتحية والإكرام ،

ويقول لك : وعزّتي وجلالي ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً ولا شمساً مضيئة ولا بحراً يجري ولا فلکاً يدور ولا فلکاً يسري إلّا لأجلکم ، وقد أذن لي أن أدخل معكم تحت هذا الكساء ، فهل تأذن لي أنت يا رسول الله؟ فقال : قد أذنت لك فدخل جبرئيل تحت الكساء ، وقال لهم : إنّ الله عزّ وجلّ قد أوحى إليكم يقول : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ .

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : يا رسول الله أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله؟ فقال النبي صلّى الله عليه وآله : والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا إلّا ونزلت عليهم الرّحمة وحفت بهم الملائكة واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا ، فقال علي عليه السلام : إذا والله فزنا وفازت شيعتنا وربّ الكعبة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا وفيهم مهموم إلّا وفرج الله همّه ولا مغموم إلّا وكشف الله غمّه ولا طالب حاجة إلّا وقضى الله حاجته .

فقال علي عليه السلام : إذا والله فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

jabir.abbas@yahoo.com

فهرست الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة
في بيان أحوال ثالث الأئمة الإمام المظلوم والشهيد المغموم حجة الثقلين أبي عبدالله الحسين <small>عليه السلام</small> وفيه أربعة عشر فصلاً	٥
— الفصل الأول : في بدء خلقه وحمله وكيفية ولادته وتاريخها ورضاعه وتسميته الخ . وفيه مجلسان	٧
* المجلس الأول : في بدء خلقه وحمله وكيفية ولادته وتاريخها ورضاعه	٧
* المجلس الثاني : في تسميته وكنيته ولقبه وذكر بعض الملائكة الذين سعدوا ببركته	١٨
— الفصل الثاني : في ذكر بعض فضائله بخصوصه عدا ما مرّ في أحوال أخيه الحسن المشتركة بينهما الخ . وفيه مجلسان	٢٨
— الفصل الثالث : في بيان جمل من معجزاته قبل شهادته <small>عليه السلام</small> ..	٤٧
— الفصل الرابع : في بيان مكارم أخلاقه وزهده وعبادته وشجاعته ووجوده واحتجاجه على معاوية وأوليائه وفيه مجالس ثلاثة	٦١
* المجلس الأول : في مكارم أخلاقه وزهده وعبادته وشجاعته <small>عليه السلام</small>	٦١
* المجلس الثاني : في بيان نبذة من سخاوته وجوده وكرمه <small>عليه السلام</small> ..	٦٦

- * المجلس الثالث : في ذكر احتجاجاته على معاوية وأوليائه . . . ٧١
- الفصل الخامس : في إخبار الله تعالى أنبياءه ونبينا بشهادة الحسين عليه السلام ، وفيه مجالس ثلاثة . . . ٧٦
- * المجلس الأول : في جوامع ما أخبر به الأنبياء عليهم السلام في شهادته ولعنهم لقتلته عليهم اللعنة والعذاب . . . ٧٦
- * المجلس الثاني : في إخبار الله نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بشهادته وقت حمله وبعد مولده بوساطة جبرئيل عليه السلام وغيره . . . ٨٧
- * المجلس الثالث : في جوامع إخبار الله تعالى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بشهادته وشهادة أخيه وأمه وأبيه صلوات الله عليهم عموماً ، الخ . . . ٩٤
- الفصل السادس : فيما أخبر به النبي وأمير المؤمنين والحسن عليهم السلام ، وإخباره وإخبار بعض الصحابة بشهادته ، الخ . وفيه مجالس أربعة . . . ١٠٣
- * المجلس الأول : فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشهادة الحسين عليه السلام . . . ١٠٤
- * المجلس الثاني : فيما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام بشهادته عليه السلام . . . ١١١
- * المجلس الثالث : فيما أخبر به الحسن عليه السلام وإخباره صلوات الله عليهما وإخبار بعض الصحابة بشهادته عليه السلام . . . ١١٨
- * المجلس الرابع : فيما يدل على أن مصيبتَه من أعظم المصائب ، وذل الناس بقتله وردّ قول من قال أنه عليه السلام لم يقتل ، الخ . . . ١٢٦
- * تميم : . . . ١٤٠
- في ذكر نبذة من أحوال زكريا عليه السلام . . . ١٤١
- في ذكر نبذة من أحوال يحيى عليه السلام . . . ١٤٣

- في ذكر نبذة من أحوال يونس عليه السلام ١٥٣
- في ذكر نبذة من أحوال جرجس ١٥٨
- في أن سبعين نبياً ما ماتوا إلا بضراً الجوع والقمل ١٦٠
- الفصل السابع : فيما ورد في أيام المحرم وعاشوراء وفي ثواب البكاء والتبكي والإبكاء على خامس أهل العباء عليهم صلوات الله، الخ. وفيه مجالس ثلاثة ١٦٢
- * المجلس الأول : فيما ورد في أيام المحرم وعاشوراء ١٦٢
- * المجلس الثاني : في ثواب البكاء والتبكي والإبكاء عليه وعليهم، وفي آداب إقامة المآتم، الخ. ١٦٩
- * تميم ١٧٩
- * المجلس الثالث : في فضل الشهداء عليهم السلام وعلة عدم مبالاتهم بالقتل، وبيان أنه عليه السلام كان فرحاً لا يبالي بما يجري عليه، الخ. ١٨١
- الفصل الثامن : في سبب خروجه من المدينة وتوجهه نحو مكة وفيه مجلسان ١٨٩
- * المجلس الأول : فيما جرى عليه وهو بالمدينة ١٨٩
- * المجلس الثاني : فيما وقع له بعد خروجه من المدينة متوجهاً إلى مكة المعظمة ١٩٨
- الفصل التاسع : في بيان إرسال الحسين عليه السلام ابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة، ومبايعة أهل الكوفة، الخ. وفيه مجالس ثلاثة ٢٠٣
- * المجلس الأول : في إرسال الحسين عليه السلام ابن عمه إلى الكوفة وغير ذلك ٢٠٣
- * المجلس الثاني : في كيفية شهادة مسلم بن عقيل (رض) ... ٢١٥
- * المجلس الثالث : في كيفية شهادة ولدي مسلم بن عقيل عليه الرحمة ٢٢٥

- الفصل العاشر : في خروج الحسين عليه السلام من مكة إلى نزوله بكر بلاء وفيه مجلسان ٢٣٣
- * المجلس الأول : في بيان بعض أحواله عليه السلام عند عزمه على الخروج من مكة ونبذة مما اتفق له في الطريق، الخ ٢٣٣
- * المجلس الثاني : فيما يتعلق بإخبار من لاقاه في الطريق بقتل مسلم وما وقع بعد ذلك من استقبال الحر (ره) الخ ٢٤٤
- الفصل الحادي عشر : فيما وقع بعد نزوله عليه السلام في كربلاء إلى حين محاربته عليه السلام وفيه مجالس ثلاثة ٢٥٨
- * المجلس الأول : في إرسال ابن زياد عمر بن سعد (لع) إلى الحسين عليه السلام وترغيبه (لع) أهل الكوفة إلى قتاله، الخ ٢٥٨
- * المجلس الثاني : فيما وقع في ليلة عاشوراء إلى صبيحتها ... ٢٦٩
- * المجلس الثالث : فيما وقع في صبيحة يوم العاشوراء إلى أن أنجز الأمر إلى القتال ٢٧٨
- الفصل الثاني عشر : في مقاتلة أصحاب الحسين عليه السلام وأقاربه وأهل بيته وكيفية شهادتهم (رض) وفيه مجلسان ٢٨٩
- * المجلس الأول : في مقاتلة أصحابه وشهادتهم ٢٨٩
- * المجلس الثاني : في مقاتلة أقاربه وأهل بيته وكيفية شهادتهم (رض) ٣١٢
- الفصل الثالث عشر : في المصيبة العظمى والواقعة الكبرى ومقاتلته عليه السلام بنفسه الشريف ومبارزته بشخصه المنيف وشهادته ، الخ ٣٣٣
- * الرزية الأولى : في وداعه عليه السلام أهله وشهادة ولده الصغير ومقاتلته، وما وقع عليه من الجراحات حتى هوى عن فرسه ٣٣٤
- * تميم ٣٥١

- * الرزية الثانية : في شهادة عبدالله بن الحسن عليه السلام وكيفية
شهادته عليه السلام وما جرى بعد ذلك من سلب ثيابه، الخ ٣٥٣
- * تذييب ٣٦٦
- * الرزية الثالثة : فيما جرى على أهل بيته بعد قتله عليه السلام من
إحراق خيامه ونهب أمواله ورض الخيل جسده الشريف، الخ ٣٦٨

فهرست الجزء الخامس

- الفصل الأول : فيما ظهر له عليه السلام وأصحابه بعد قتلهم من
الكرامات ٣
- الفصل الثاني : في كيفية دفن الحسين عليه السلام وأصحابه ومن دفنهم
(رض) ١١
- * تذييب : في عدد المقتولين مع الحسين عليه السلام من أهل البيت
عليهم السلام ٢٠
- الفصل الثالث : في جمل أحوال أولاده وأزواجه عموماً ومدة عمره
عليه السلام ٢١
- * تذييب ٢٠.٥
- * الرزية الرابعة : فيما وقع في دخول أهل البيت عليهم السلام
الكوفة إلى خروجهم عليهم السلام منها إلى الشام وخبر قتل
الحسين عليه السلام، الخ ٣٥
- * تذييب ٦٠
- * الرزية الخامسة : فيما وقع من خروج أهل البيت عليهم السلام
من الكوفة إلى الشام ٦١
- * تذييلات : فيما وقع من الكرامات وغيرها بين الكوفة والشام ... ٧٤
- التذييل الأول ٧.٤
- التذييل الثاني ٧.٥

- التذييل الثالث ٧٦
- التذييل الرابع ٧٨
- * الرزية السادسة : في ورود أهل البيت عليهم السلام إلى الشام ٨١
- * الرزية السابعة : في إدخال الرأس الشريف على يزيد (لع) وما يتعلق بهذا المقام ٩١
- * الرزية الثامنة : في بيان دخول الحرم والسبايا على يزيد (لع) وذكر جملة مما وقع في ذلك اليوم من خطبة الصديقة الصغرى ومحاجتها معه (لع) ١٠٢
- * الرزية التاسعة : في ذكر الخطب والاحتجاجات لسيد الساجدين علي بن زين العابدين عليه السلام على يزيد (لع)، الخ .. ١٢١
- * الرزية العاشرة : في بيان بعض المنامات والمحاورات ١٣٧
- * الرزية الحادية عشرة : في بيان بعض الأمور التي صارت سبباً لإطلاق يزيد (لع) أهل البيت عليهم السلام ، الخ ١٤٥
- القول في مدفن رأس الحسين عليه السلام ١٤٨
- * الرزية الثانية عشرة : فيما ظهر بعد شهادته عليه السلام من بكاء السماء والأرض عليه سلام الله وانكساف الشمس والقمر وضجيج الملائكة، الخ ١٦٩
- الفصل الرابع عشر : في ذكر بعض الحوادث المتعقبة لوقعة كربلاء من تعجيل الله لأعدائه بالبلاء قبل يوم الجزاء، الخ. وفيه مطالب ثلاثة ١٨٠
- * المطلب الأول : فيما عجله الله من العذاب لأعدائه زيادة على ما مرّ في أثناء الكتاب ١٨٠
- * المطلب الثاني : في احتجاجات ابن عباس ومحمد بن الحنفية وعبدالله بن عمر على يزيد (لع) ، وما فيه من الطعن على الثاني ١٨٩

- * المطلب الثالث : في أحوال المختار وما جرى له في أخذ الثأر
لريحانة النبي المختار على سبيل الاختصار، ويلحقه صنع
السفاح في أبناء السفاح فاشمل على مقامين ٢٠٥
- المقام الأول : في أحوال المختار ٢٠٦
- المقام الثاني : في حديث السفاح ٢٦٢
- خاتمة : فيما جرى من العباسيين من حرث قبر الحسين عليه السلام وما
ظهر من المعجزات عند ضريحه ومن تربته وزيارته عليه السلام ويتلو
ذلك كله حديث الكساء ٢٨١
- * ذكر حديث الكساء ٣٠١



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي